اتجاهات التجديد في الرواية السعودية

سلطان بن سعد القحطاني

كلية الآداب – جامعة الملك سعود – الرياض

مقدمة :

إن ظهور الرواية في المملكة العربية السعودية في أول القرن العشرين ، يعتبر ضرباً من الخيال ، في عالم يسيطر عليه سلطان الشعر (ديوان العرب) في جزيرة العرب ، وبالرغم من ذلك فقد كان البعض من الأدباء يحاول في نظم النثر التقليدي على طريقة المسامرات والمقامات ، حفاظاً على التراث العربي في غياب اللسان العربي أو شبه غيابه ، وتفشي العجمة تحت الاحتلال التركي ، وانتشار الجهل والانحلال الخلقي ، وغلبة عنصر البداوة في أرجاء الجزيرة العربية ، ولذلك ظهر الأدب الركيك – شعراً ونثراً – وأصبح علامة من علامات عصر الانحطاط ، ذلك العصر الوسيط الواقع بين انهيار الدولة العباسية على أيدي التتر سنة ٦٥٦ هجرية ، الموافق ١٢٥٩م ، إلى عصر النهضة . ولكن هذه النهضة لم تكن شاملة لأجزاء الوطن العربي الكبير ، فقد تأخر وصولها إلى أجزاء كثيرة من الوطن ، وتم انتشارها في جزأين كان لهما التواصل الفكري مبكراً منذ نهاية القرن الثامن عشر ، وبداية القرن التاسع عشر ، إلا أنها كانت حركة بطيئة نوعاً ما . فكان دخول الثقافة الأوربية إلى بلاد الشام (لبنان) وحركة الترجمة ، وانتشار الثقافة النثرية الأوربية من خلال الصحافة الشامية ،

وتعرض الكثير من أصحاب تلك الصحف إلى الاضطهاد من السلطات التركية ، أما بالسجن أو الإعدام ، وهرب الناجون منهم إلى بلاد أخرى ، كان أحسنها مأمناً (مصر) ثم عقب ذلك فتنة الحرب الأهلية في بلاد الشام ، وهرب الكثير من المثقفين إلى أوربا ومصر ، أضف إلى ذلك الاضطهاد الديني والتعسف الذي حدا بالكثير إلى المهاجر الأمريكية ، ويكفينا فارس الشدياق مثالاً حياً على ذلك ..

إن وجود أولئك في مصر كان له شديد الأثر على الثقافة العربية بشكل عام ، وعلى الثقافة المصرية بشكل خاص ، فقد أسّست الصحافة العربية الحديثة على أيدي أولئك المهاجرين ، مثل (آل تكلا ، وجرجي زيدان ، وأمين صرّوف) وغيرهم الكثير . ونشأ المسرح لأول مرة على أيدي مجموعة من عشّاقه ومحترفيه ، مثل أبي سليم القبّاني ، وجورج أبيض ، وغيرهما . وهذا المسرح يحتاج إلى نصوص ، لذلك نشطت حركة الترجمة من اللغات الأوربية ، وخاصة الإنجليزية والفرنسية والإيطالية لتغذية ذلك المسرح ، وكان كل شيء ذي صلة بالسرد يسمى (رواية) استناداً إلى الفعل العربي (روى) والفاعل (راوي) الموجود في التراث العربي ، مثل راوي الحديث والأخبار والأشعار وتحويلها إلى أسلوب تشخيصي على خشبة المسرح ، وتقديمها على الطريقة الفرنسية التي كان (موليير) يقدم بها شخصياته ويدخل إليها الأسلوب الغنائي الشعري في أحيان كثيرة . كل ما تقدم كان في مصر ولبنان ، وفيهما توجد مراكز الثقافة ، ومنهما انتقلت هذه النهضة الأدبية – ربما تكون الأولى من نوعها – إلى البلاد المجاورة ، وأقربها مدن الحجاز الثلاث (جدة ومكة والمدينة المنورة) وكانت هذه المدن الثلاث تقوم ثقافتها – في البداية – على ثقافة تقليدية تراثية يغلب عليها الطابع الديني من جهة والتراثي من جهة أخرى . ويقف الباحث في مجال الأدب الحديث حائراً لولا وجود منفذين إلى عمق

تلك الثقافة ، وهما الصحافة والتعليم ، اللذان أفرزا – فيما بعد – طبقة من المثقفين . وقد وجدنا صعوبة بالغة في إيجاد شخصية أدبية متنامية قبل عام ١٩٣٢م، ذلك التأريخ الذي احتوى أكبر جزء من جزيرة العرب تحت مسمى وحدوي . هذا المسمى جعل القسم الأكبر من هذه الجزيرة دولة تبشر بظهور نواة لوحدة عربية أكبر ، استبشر بها الأدباء في كل مكان ، وجاءوا إليها يحملون قصائدهم وخطبهم ، ومنهم الشاعر والكاتب الروائي (علي أحمد باكثير) الذي جاء يحمل قصيدته المشهورة (تعيش قحطان وتحيا للأبد) حيث قدمها بين يدي الملك عبدالعزيز في الطائف، متفائلاً بظهور الوحدة العربية حلم كل الشباب العربي إلى الأبد . وقد قام بدراستها وتقديمها ، محمد أبو بكر حميد ، ونشرت في مجلة (أهلاً وسهلاً) التي تصدرها الخطوط العربية السعودية ، وذلك في عدد أكتوبر ١٩٩٧م.

لم يكن هناك صحافة في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية ، وأعني بذلك القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ما عدا الحجاز ، وكانت صحافة تركية ترسم سياستها الحكومة التركية ، حتى وإن كانت بعض صفحاتها تكتب باللغة العربية ، فإنها لغة ركيكة . تلك الصحف هي (شمس حقيقت ، وشمس الحقيقة ، والإصلاح الحجازي ، وصفا الحجاز ، والرقيب ، والمدينة المنورة) . وكلها صدرت سنة ١٩٠٩م .

يقول محمد عبدالرحمن الشامخ في كتابه (النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية) «ولم تعرف هذه البلاد فن الطباعة إلا في عام ١٨٨٣م ، الموافق ١٣٠٠ هجرية إذ أصبح يشارك في الكتابة فيها كتاب وأدباء من جميع بلدان المملكة ، وذلك عندما أنشأت الحكومة العثمانية مطبعة الولاية في مكة المكرمة . وقد تأخر ظهور الصحافة عن ذلك حوالي ربع قرن ، إذ صدرت جريدة (حجاز) الجريدة الرسمية لولاية الحجاز ، أولى الصحف في هذه البلاد بمكة المكرمة ، عام ١٣٢٦ هجرية ، الموافق ١٩٠٨م وتتالت بعد ذلك الصحف المذكورة . وحين انقضى الحكم التركي بمكة المكرمة وجدة في عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م ، اختفى ما بقي من صحف العثمانيين ، وحلت مكانها في هاتين المدينتين ثلاث جرائد هاشمية هي : القبلة والفلاح وبريد الحجاز ، كما صدرت إلى جانب ذلك جريدة عثمانية بالمدينة هي جريدة (الحجاز) وكانت هذه الصحف صحفاً محلية لا تمثل من شبه الجزيرة العربية سوى بلدان الحجاز ، ولكن عندما أصبح الحجاز جزءاً من المملكة العربية السعودية في عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، ظهرت في الحجاز صحف ومجلات أخرى كانت أرحب مجالاً ، وأكثر شمولاً من سابقتها ، إذ أصبح يشارك في الكتابة فيها كتاب وأدباء من جميع بلدان المملكة .

وقد صدرت حينئذ ثلاث جرائد هي – أم القرى وصوت الحجاز والمدينة المنورة . وثلاث مجلات هي – الإصلاح والمنهل والنداء الإسلامي – وحيث إن هذه الجرائد والمجلات السعودية رعت الأدب وخصته بعنايتها فقد أقبل الكتّاب على النشر وانصرف النشء إلى الأدب وتعلّقوا به»[1] .

وكان لهذه النهضة الصحافية الدور الأكبر في ظهور الأدب الحديث ، وخاصة في مجال القصّة بشكل عام ، وكان لعبدالقدوس الأنصاري الدور الأكبر الذي يجب ذكره في كل مناسبة تذكر فيها القصة ، والأنصاري صاحب مجلة المنهل الذي فتح أبوابها منذ تأسيسها سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م ، للقصة ، نقداً ودراسة ونصوصاً .

ويجب أن نلفت النظر بجانب الصحافة إلى الدور الهام الذي لعبته النهضة العلمية في تكوين طبقة المثقفين الذين قدموا إلى المملكة مدرسين وصحافيين ، أمثال أحمد رضا حوحو ، الذي درس ثم درّس في مدرسة العلوم الشرعية في المدينة المنورة ، وكان تلميذاً ثم زميلاً للأنصاري . وعبيد مدني ، الذي كوّن مع الأنصاري نادياً أدبياً لتدريب

الطلاب على الخطابة وتقويم اللسان العربي وتدريب الملكات على النثر الحديث ، وكانت هناك مشاركات من عدد من المثقفين ، مثل محمد عالم الأفغاني ومحمد أمين يحيى ، في كتابة القصة القصيرة ، وغيرهما من المثقفين الذين تتلمذوا على أيدي أولئك الأساتذة . وقد فتح الباب للكثير ممن أخذوا في التدرب على القراءة وكتابة القصة من خلال المدارس ، وأولها مدرسة الفلاح في كل من مكة وجدة ، ولا ننسى الدور الذي قامت به مدرسة البعثات ، في تكوين جيل المبتعثين إلى الجامعات المصرية .. وكان لوجود حوحو والأفغاني وغيرهما من كتّاب المقالة والقصة الحديثة دور يجب ذكره ، فقد ألّف حوحو رواية بعنوان (غادة أم القرى) سنة ١٩٤٧م على الطريقة الزيدانية السائدة في ذلك الوقت[٢] . ويعتبر الحجازيون حوحو مؤسساً لأدب القصة الحجازية ، مثلما يذكر ذلك أحمد محمد جمال في كتابه (ماذا في الحجاز) [٣] ، لكن الجزائريين يعتبرونه مؤسساً لفن القصة الجزائرية كما ذكر عبدالله ركيبي في كتابه (نفوس ثائرة) [٤] . وبهذا التأثير من حوحو ، ومن كتاب الرواية المصرية واللبنانية والترجمات ، وجد الأديب السعودي أن عليه عبء القيام بأدب روائي يواكب الأدب العربي من ناحية ، وضرورة ثقافية وفكرية من ناحية أخرى، وكان لعبدالقدوس الأنصاري فضل السبق بمحاولته الوحيدة ، التي سندرسها في الصفحات المقبلة .. لذلك سنحاول في هذه الدراسة إلقاء الضوء على ظروف الرواية السعودية واتجاهاتها الفنية تحت مظلة الرواية العربية .

البدايات :

تمهيد :

عرف العرب القصة مثلما عرفها الآخرون ولكنها قصة تختلف في مفهومها عن القصة التي تعرف في العالم اليوم على النهج الحديث ، كما أن القصة بشكل عام لون نثري لم يعرف الكتابة والقراءة ، وتدوين الأحداث ، أياً كان نوعها ولونها ، ومن ثم تستعاد قراءتها للمتلقي متى شاء ذلك . ولأن الأمية غلبت غيرها عند العرب ، فقد تناول الإنسان شؤونه وقضاياه من خلال الشعر ، رواية شفوية تعتمد على الحفظ والتناقل من جيل إلى جيل . لذلك صار الشعر (ديوان العرب) معتمداً على الإيقاع الشعري ، وموسيقى الأوزان التلقائية بشكل فطري ، حتى ظهر تعقيدها عندما وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي نظريته العلمية الفنية مستنداً إلى الأوزان الإيقاعية المتداولة في الشعر العروضي ، حيث اكتشفها - صدفة - عندما كان يسير في سوق الصفارين ، وطرقت سمعه إيقاعات النحاسين المتوالية على الأواني ، مما أوحى له بتقسيم الشعر إلى فئات سماها (بحور الشعر) وصادف ذلك الوقت ظهور بذور للقصة ، حيث جاءت من مصدرين :

الأول : الترجمات من اللغات الأجنبية - كليلة ودمنة من أصول الأدب الهندي ، وألف ليلة وليلة من الأدب الفارسي.

والثاني : إبداع ظهر منافساً للشعر في زمن أخذت القراءة والكتابة تزاحم الشعر باعتباره حفظاً متوارثاً ، وصارت هي الفن الراقي ، ولغة الحكام والطبقات الحضرية المثقفة ، حيث وصفها ابن قتيبة بقوله : إذا كان الشعر خيالاً وحساً ، فالكتابة عقل وحقيقة ، وقال عن الكتاب (هم ألسنة الملوك) [٥] . كما أن القصة عرفت عند العرب بالإخبارية ، ومنها ما ورد في القرآن الكريم . إضافة إلى كونها إخبارية ، فقد كانت وعظية مباشرة ، وقد كان السجع عند الكهان أسبق من الشعر . ولكن عندما ظهرت القصة الرمزية عند ابن المقفع وافدة من الهند من خلال بلاد فارس ، وهي قصص تحكى على ألسنة الحيوانات ، ذات مغزى ودلالة رمزية ، اتخذها العامة ركناً أساسياً للتسلية والمتعة لسهولة صياغتها وسذاجتها ، وهي ذات جانبين أساسيين دالين على معنى مباشر يطلق عليه في الدراسات الحديثة (البنية الظاهرية Surface Structure) وهو الذي اتخذه العامة مجالاً للتسلية ، وقضاء وقت الفراغ .

أما المعنى الآخر – الباطني – وهو الأساس الذي قامت عليه هذه القصص ، ومؤلفها (بيدبا) فيلسوف من فلاسفة الهند ، فهو ما يعرف في مصطلح الدرس الأدبي الحديث (البنية الباطنية Deep Structure) ولم تستغل هذه البنية الداخلية في الرواية استغلالاً فنياً مثلما استغلها الروائي الإنكليزي جورج أورويل George Orwell الذي ولد في الهند سنة ١٩٠٣م ، وتشبع بالفلسفة الشرقية والطقوس الصوفية منها على وجه الخصوص ، ومنها كتب روايته الرائعة الرمزية (مزرعة الحيوان The animal Farm) ونعود إلى الموروث القصصي العربي في كتب التراث لنجده عند وهب بن منبه ، وعبيد بن شريه ، كما يذكر ابن هشام ، وابن إسحاق في السيرة في بدايات العصر العباسي ، ومن ثم مقامات الحريري والهمذاني ، ثم مقامات المويلحي في بداية النهضة (حديث عيسى بن هشام) وقد أولع الغربيون في نهضتهم بهذه المقامات والقصص الشعبية ، مثل «ألف ليلة وليلة» التي حوروا منها الكثير ، شعراً ونثراً ، ودأبوا على تحليلها واستنباط ما فيها من فلسفة حوروها إلى رواية واقعية وأخرى رمزية ، ونجد أخيراً ملامح الرواية التقليدية (Classic novel) في سيرة عنترة ، وذات الهمة ، والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذي يزن ، وحمزة البهلوان ، وغيرها من السير الشعبية . وكانت القصة بشكل عام والرواية بشكل خاص من الآداب الوضيعة قبل ظهور النهضة الحديثة وثبات الفن الروائي ، واتخاذ شخصية مميزة للرواية دحضت الحجج الواهية التي كان يتذرع بها بعض الدارسين الأوائل ، وعذرهم في ذلك أن القصة تروى بالمعنى ، لذلك لا يثقون بها ، فكانوا إلى عهد قريب لا يروون القصة إلا ومعها قصيدة ، وكان الشعر برجولته محرماً للرواية لا تثبت صحتها إلا بوجوده ولياً مسؤولاً عنها ، يسند ضعفها في ديوان العرب . يذكر فاروق خورشيد أن وهب بن منبه كان لا يروي القصة إلا ومعها قصيدة ، وذلك بأمر من الخليفة معاوية بن أبي سفيان عندما كان يقص عليه قصص ملوك اليمن (٦) ويؤكد الكثير من الباحثين أن القصة كانت مداراً للتسلية عند الأطفال والنساء ، وليست سمة من سمات العلماء والأدباء إلى حد قريب (٧) ، إذن سنواجه سؤالاً طالما طرح علينا من كثير من الناس . كيف ظهرت الرواية في جزيرة العرب التي تغلب عليها حياة البداوة والتنقل من مكان إلى آخر ، ويعم الجهل أرجاءها قبل ظهور النهضة الحديثة ؟ وقبل الإجابة عن سؤال كهذا يجب أن نعرف أن الصلة العلمية لم تنقطع تماماً عن جزيرة العرب قبل توحيد أجزاء منها ، فقد كانت منطقة الحرمين الشريفين منطقة علم متواصل على مر الظروف التاريخية المتعاقبة . لكنها ظروف تعليمية تقليدية تغلب عليها العلوم الدينية واللغوية ، والدليل على ذلك مجابهة العلوم غير العربية واللغات الأجنبية باللغة العربية، واهتمام العلماء العرب والمسلمين بالحياة التعليمية ، وحماس بعض المسلمين الموسرين لنشر العلم العربي الديني في وجه اللغة الأجنبية في هذين الحرمين ومينائيهما (جدة وينبع) فقد أنشأ محمد علي زينل مدارس الفلاح في كل من جدة ومكة ، حيث أسسها في جدة سنة ١٩٠٥م وفي مكة سنة ١٩١٢م ، وكانت قبلها المدرسة الصولتية نسبة إلى السيدة «صولت النساء» محسنة من الهند ، عندما قدمت إلى الحج ورأت حالة التعليم رديئة في ذلك الوقت أمرت بتأسيس مدرسة نظامية، قام بتأسيسها وإداراتها الشيخ محمد رحمت الله العثماني (نسبة إلى عثمان بن عفان) وكان ذلك في سنة ١٨٧٥م ، وكان يديرها إلى وفاته سنة ١٨٩١م (٨) ، إضافة إلى الكتاتيب في أروقة الحرمين ، وبعض الحواضر في نجد ، والأحساء في شرق المملكة ، وجوار المنطقة الشرقية للهند وإيران ، ثم افتتاح المدارس النظامية في دولة البحرين (٩) لذلك التحق الكثير من أبناء المنطقة بتلك المدارس ، كما اتصلوا بالثقافة اللبنانية والمصرية عن طريق المجلات والنشر العلمي قبل التحاق البعض منهم

بالجامعات في هذين القطرين ، كما أن الصلة لم تكن مقطوعة بين المثقف في شبه الجزيرة العربية والعالم العربي، كما يصورها البعض ، ولكن تنقصها الهمة وحب المغامرة ، فقد كان عبدالقدوس الأنصاري ينشر مقالاته في المجلات السورية ، ومنها مجلة المرشد العربي في دمشق ، وبالتالي أصدر روايته (التوأمان) - التي سنعرضها بعد قليل - عن مطبعة الترقي في دمشق ، سنة ١٩٣٠م ، متأثراً بالأساليب التي مهدنا بها للدخول في هذه الدراسة . لذلك وجد المثقف السعودي أن الرواية أصبحت ضرورة أدبية بعد أن تحقق لها نصيب من التعليم وقد حصل النصيب في بداياته التي ذكرنا شيئاً منها ، وهي القادرة على معالجة مختلف القضايا . فالرواية لغة المدينة ، والمدينة قائمة على القراءة والكتابة ، وسنرى بعد قليل ، كيف اكتسحت الرواية بقية الفنون الأدبية الحديثة ، وحصلت على الزعامة ، بدليل الجوائز العالمية التي حازت عليها دون بقية الفنون الإبداعية الأخرى .

الأنصاري وهاجس التجديد الفني :

لقد أشرت فيما سبق إلى أن عبدالقدوس الأنصاري (١٩٠٦ - ١٩٨٣م) كان من أشد المهتمين بميلاد الرواية ورعايتها على وجه الخصوص ، والقصة على وجه العموم ، فقد كان يكتب أفكاره حول موضوع هذه الرواية قبل صدورها ، في مجلة المرشد العربي ، مثلما ذكرت قبل قليل، متأثراً بأساليب النثر القصصي عند العرب ، أمثال (الجاحظ وابن قتيبة وابن المقفع) وغيرهم من كتاب القص القديم ، ومحاولاً - إلى جانب ذلك - معالجة الوضع الدرامي الحديث . ولذلك نجد أن اهتمامه هذا بالأدب الحديث منصب على ما يدور في العالم العربي الإسلامي من نزاعات بين الشرق والغرب من خلال الظروف الدائرة على المسارين ، الثقافي والاجتماعي . فالثقافة يتنازعها أكثر من مصدر وفي مقدمتها مصدر اللغة والتمسك بالتراث ، ومصدر التغريب ، وأخيراً مصدر الضعف الثقافي بصفة عامة ، والفكري بصفة خاصة . ولم يكن حال النثر بأحسن من حال الشعر المقصور على المدائح والوصف الضعيف الركيك ، ومجال النثر القصصي يغلب عليه أسلوب القرن الوسيط المعروف بالمفاخرات والمسامرات بين الشتاء والصيف ، مثلما فعل الشيخ أبو بكر خوقير في منظومته في المفاخرة بين الشتاء والصيف حيث يرى كل من هذين الفصلين أنه خير من الآخر [١٠] كما أن هذه الأساليب يغلب عليها التصنع والتكلف ، باستعمال الصناعات البديعية ، وحشو الزخارف البلاغية . لذلك حاول الأنصاري أن يسمو بأدب الشباب إلى أدب حديث مع التمسك بالأصول العربية القيمية ، والابتعاد عن الإخوانيات ، والرسائل ، إلى أدب حديث أصيل بعيد عن الصنعة مغلف بالفائدة .. وهذا التطلع من الأنصاري إلى أدب حديث تكون الرواية لبه ، هو الرأي الذي أكده كبار النقاد العالميين حول موضوع الرواية ، ومنهم الناقد الروائي العالمي (آرثر هلبس Arther Helps) الذي يقول «إن أردت فهم عصرك فاقرأ الأعمال الروائية التي كتبت فيه ، فالناس يتكلمون بحرية من وراء الأقنعة» [١١] وفعلاً هذا ما قصده الأنصاري في فجر هذه النهضة الأدبية ، وشعوره بضرورة إيجاد أدب روائي حديث ، حيث كان المجتمع منقسماً على نفسه ، بين متطلع إلى فجر إسلامي عربي جديد ، وآخر مصاب بالإحباط ، مبهور بحضارة الغرب الحديثة ومخترعاته الباهرة . لذلك صور مضمون روايته هذه - والتي تجاوزنا كل المقاييس الفنية والعلمية ، وسميناها رواية نظراً لأولويتها في السرد القصصي في هذه البلاد - فقد صور العالم الإسلامي العربي في هيئة شيخ كبير لم يرزق في شبابه أبناء ، وعلى كبره رزق بولدين توأمين ، الأول سماه فريد والثاني سماه رشيد . الأول رمز به إلى الغرب ، والثاني رمز به إلى الشرق العربي الإسلامي . فالأول من الانفراد والثاني من الرشد. ولأن القصص الغربي المترجم أخذ في التوافد إلى بلاد

المسلمين والعرب ، تسنده المعاهد الغربية لتغزو بها عقول الناشئة من أبناء المسلمين ، ولأن فريداً درس في المعاهد الغربية ، فقد صارت أفكاره غربية حسب تعليمه ، وكانت نهاية حياته في حانة من حانات باريس .. بينما درس رشيد في المدارس العربية ، وبالتالي عاد بالنفع على مجتمعه العربي الإسلامي .

إنها نظرة عصرية لاحظها الأنصاري بكل أبعادها ، وجسدها في قصة اعتبرناها رواية ، وقد ذكرنا السبب من قبل ، ولكن تشفع لها قيمتها التاريخية ، حيث يلزم من يدرس الرواية السعودية الانطلاق من هذه الرواية وجهود مؤلفها الذي قال : إن اهتمامه بالقصة يعود إلى سببين :

الأول : إنها من الفنون الحديثة الراقية .

الثاني : خلو أدبنا من هذا النوع الأدبي الحديث[١٢].

لم يكتب عبدالقدوس الأنصاري من الرواية إلا هذا العمل ، إضافة إلى قصة قصيرة بعنوان (مرهم التناسي) نشرت في جريدة صوت الحجاز ، بعد صدور روايته بثلاث سنوات لكنه كان حاضراً في كل مراحلها ، حتى وفاته سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، يرحمه الله .

وبعد هذا العمل تكاسلت الجهود ، على مدى سبعة عشر عاماً ، حتى ظهور رواية السباعي ، ومن ثم المغربي . وكادت الرواية أن تغيب عن الساحة الأدبية السعودية التي لم تعد تعطي (فقد أعطت وما استبقت شيئاً) لكن الجهود القصصية بشكل عام لم تتوقف . فهاجس القص ونقده كان أقوى من بعض الظروف التي كادت تحاصر الإبداع فنياً واجتماعياً ودولياً ، خلال الحربين العالميتين وما بينهما، فكتب البعض القصة الطويلة التي كانت تسمى «رواية» مهما كان نوعها ، وكان المصطلح عائماً ، نظراً لدخول فن جديد لم يسبق للعرب معرفته ولا وراثته من ناحية ، ومن ناحية أخرى عاد البعض إلى اشتقاقه من الأصول العربية، فوجده مطابقاً للاشتقاق الذي كان يقصده . وكانت السرديات تدعى بهذا المسمى في البلاد التي سبقت هذه البلاد، مما زاد المصطلح الأدبي غموضاً إلى اليوم، وظهور فروع سردية جديدة أضيفت إلى هذا الجو الغامض. لذلك لا نستغرب أن يكتب الأنصاري على غلاف قصته هذه العبارة (أول رواية تصدر في الحجاز) . وقد كتب محمد سعيد دفتر دار ، قصتين ، الأولى بعنوان (المجيدي الضائع) والأخرى بعنوان (الحاجة فلحة) في الفترة نفسها، وهي قصص تتراوح بين القصيرة والطويلة، ولا تنطبق عليها شروط أي منهما . وكتب محمد نور جوهرجي قصة طويلة بعنوان «الانتقام الطبيعي» سنة ١٩٣٥م . كما كتب عبدالسلام هاشم حافظ قصة رومانسية طويلة بعنوان «سمراء الحجازية» صدرت متأخرة في القاهرة سنة ١٩٦٠م ، وقصتين طويلتين ، «إلى غرناطة ، والحرب والسلام» ١٩٥٥م ، صدرت الثانية بعنوان «الحرب والسلم» والسلم ، هو السلام !! . لذلك لم يوجد في الساحة ما نستطيع أن نسميه رواية حتى ظهرت رواية أحمد السباعي، سنة ١٩٤٧م .

ومن العجب أن نجد بعض الدارسين في مطلع التسعينات ، يؤكد على أن هذه القصص الطويلة ، روايات، أمثال محمد صالح الشنطي ، والذين نقلوا عنه مباشرة ، مثل السيد محمد ديب [١٣] . وتعتبر سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م ، حداً فاصلاً في ظهور نواة أدبية في المملكة العربية السعودية ، حيث يؤكدها محمد علي مغربي ، في كتابه (أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري) بقوله: (... والجو الأدبي يخيم عليه الركود والانحلال) [١٤] فقد كان ما قبلها مرحلة مخاض صعبة للغاية في نفسية المثقف السعودي ، وهو يحمل هم بلاده من أقصاها إلى أقصاها، وأكثر من حمل هذا الهم المثقف الحجازي على وجه الخصوص ، حيث تنازعته عدة تيارات فكرية وسياسية ، أثرت على التيار الفكري الوطني ، ففي سنين

قصيرة تعاقبت على بلاده ثلاث حكومات ، كل حكومة تمثل تياراً مختلفاً عن التيار الذي قبله . فالضعف الذي أحدثته الحكومة التركية التي ورثت التخلف الفكري من نشأتها الهمجية ، تدعي نشر الإسلام في بلاد الإسلام ، خيبت أمله في النهوض بالفكر الحديث وبقيت تجتر أذيال الماضي التعيس ، وتبني لنفسها مجداً منهاراً على لغتها الميتة ، وتحاول بكل جهد القضاء على اللغة العربية في مهد العربية ، ولا تقبل في جيشها إلا من يتكلم اللغة التركية . وظهور الأحزاب التركية المعادية للعرب ، جعل من الدولة التركية عدواً بين العرب ، في بلاد العرب ، فبدل أن تكون خلافة إسلامية ، صارت عدواً مستعمراً . حتى وصل الحال بهم إلى عقاب الطالب الذي يدرس في المدارس التركية عندما يتكلم مع زميله باللغة العربية (أثناء فسحته يعاقب بوضع لجام من الحديد في فمه) . وكانت ثورة الحسين بن علي على الدولة التركية قد لاقت قبولاً حسناً من المواطن العربي الذي كان يؤمل في الحسين منقذاً للعرب من التخلف التركي ، وتبعاته التي لا يرجى لها برء على مدى أربعة قرون . لكن الأمل خاب في الحسين - أيضاً - فقد اكتشف المثقف أنه رجل يحمل في داخله عقلية متخلفة ، لا تختلف عن العقلية التي يحملها الحكام الأتراك ، كان يؤمن بالسحر ، وبالعرافة ، ولا يعمل شيئاً إلا بما تمليه عليه الشعوذة وقول السحرة والعرافين ، وقد استخف به محمد حسن عواد ، في قصيدة بعنوان (وخز الضمير) ذكرها عبدالله عبدالجبار في كتابه (التيارات الأدبية في قلب جزيرة العرب) [١٥] وكان العواد من الوطنيين الذين وضعوا الأمل في الحسين ، لكن خاب الظن فيه ، كما خاب في الحكومات التركية [١٦] . وكان المثقف العربي في هذه الفترة يبحث عن وجوده ومن يمكنه من تحقيق هذا الوجود ، فلا يدري إن كان هذا الوجود سيتحقق على يدي الدولة الجديدة ، أم ستكون مثل غيرها من الحكومات السابقة ، وعود لا يتحقق منها شيء . كما عبر عنها ، عبيد مدني في قصيدة أثناء المعارك بين الجيش السعودي وجيش الحسين في المدينة المنورة [١٧] ، وهناك فئة من الأدباء أخذها التفاؤل بالعهد الجديد ، ووجدت الخلاص من الحكم الجامد ، ورأت في العهد الجديد بناء للثقافة العربية مبتدئة بالجذور العربية ، وإحياء التراث العربي . لذلك فكر عبدالقدوس الأنصاري في إنشاء عمل روائي يعالج فيه هذا الانقسام .

السباعي ، وهاجس النقد الاجتماعي :

لم تكن أفكار أحمد السباعي (١٩٠١ - ١٩٨٤م) ببعيدة عن أفكار عبدالقدوس الأنصاري ، من حيث النهوض بالأدب العربي وتحديثه ، بما يتماشى والوضع العربي السائد في مطلع النهضة الأدبية العربية ، وتجديد المفاهيم بالابتعاد عن الركاكة الأدبية واللغوية . فكل من الأنصاري والسباعي كان مدرساً وصحافياً ، يعايش الحياة الأدبية لحظة بلحظة ، وقد أدرك كل منهما - ومن كان يعيش هذا الجو الثقافي - أن الحياة الثقافية كانت تعيش حالة تخلف موروث من العهد التركي الذي كثرت فيه نقاط الضعف الأدبي واللغوي ، ولن تجدي في علاجه الطرق العقيمة في التدريس ونشر الوعي الثقافي . فقام السباعي بتأليف أول منهج مدرسي محلي بعنوان «سلم القراءة العربية» [١٨] أخذ عناصره ومفرداته من البيئة السعودية ، بدلاً من المنهج المصري ، هذه الرواية هي العمل الروائي الوحيد الذي أصدره السباعي ولكن أسلوبه في الكتابة النقدية الاجتماعية أسلوب يقرب - إلى حد كبير - من الأسلوب الروائي ، حيث يعتمد في كثير منه على الأسلوب الحواري، والطرح التنظيري ، وما يرويه عن ذكرياته ومذكراته الفنية والتربوية . ففي كل كتاباته ينحو منحى الرواية التي لم تكتمل عناصرها . لذلك عندما كتب روايته (فكرة) [١٩] كتبها على شكل مقال ينقد فيه أوضاع

المجتمع المتخلف ، يرمي من وراء ذلك إلى إيقاظ المجتمع على تراثه وأهمية إحياء هذا التراث حسب معطيات الحاضر ، فالبطلة (فكرة) بدوية تمثل جيلها القديم بأصالته وتراثه العتيد ، تعلم البدو والفلاحين مما علمها ذلك الشيخ الذي كان يعلم أبناء القرية بين مكة والطائف ، لأنه ورث هذا العلم وعلمه ، ووجد فيها التلميذ النجيب . وفكرة هذه فقدت من أهلها بين مكة والطائف في رحلة الصيف المعروفة عند أهل الحجاز - قديماً - خاصة أهل مكة وجدة، الذين يقضون الصيف في أجواء الطائف الباردة ، وظلت في كنف هذا الشيخ يعلمها وتتقبل تعليمه بصدر رحب ، وذاكرة بدوية صافية ، حتى ظل أخوها الطريق والتقى بها في ليلة شتوية ممطرة في جبال السروات ، وجمعهما كهف واحد ، كانت فيه مثال المرأة الصلبة ، وهو مثال المدني الرقيق ، وعلمته ما لم يكن يعلم[20] . لقد بالغ السباعي في ذكر الأحداث ، وتحمس لفكرته كثيراً ، وحط من قيمة الحضري وأبناء المدن . وكان يهدف من وراء ذلك إلى القول بأن النقاء ما زال في البادية التي لم تصل إليها أيدي الغزاة المدمرين . ثم يختم روايته باللقاء بين الأخت وأخيها في أحد شوارع مكة بعد عام من اللقاء الأول . كان السباعي يدعو المجتمع إلى التراث ، والأخذ بأسباب الحاضر، وأن الحج موسم للقاء وتدارس الأخطاء وتقويمها . وما كان ينوي كتابة رواية بمعناها الاصطلاحي كما صرح بذلك في أخريات حياته ، وأنكر كل مؤلفاته ، إلا (تاريخ مكة) [21] كان الهدف من هذه الرواية التعليمية ، الوصول إلى نقطتين:

الأولى : أن الرواية أقرب الفنون متعة إلى النفس ، ومنها يمكن الوصول إلى تربية حديثة .

الثانية : إرساء دعائم الأدب القصصي الحديث شبه المفقود في الأدب السعودي آنذاك .

المغربي ، وهاجس الرواية الإصلاحية :

وكتب محمد علي مغربي (١٩٠٠ - ١٩٩٠م) روايته - البعث - [22] من منطلق وطني تربوي ، ورسم لها شخصية روائية حقيقية ، نستطيع أن نقول عنها بداية الرواية السعودية الحقيقية ، وإن كانت تسير في الخط نفسه الذي سار فيه العملان السابقان ، إلا أن عناصر الرواية كانت متوفرة فيها أكثر من سابقتيها . كان محمد علي مغربي - رحمه الله - شاعراً ، ومؤرخاً ، وتاجراً في الوقت نفسه . وقد تقلب في مناصب كثيرة ، منها الرسمية والخاصة ، ولم تبعده عن مجال الأدب ومساعدة الأدباء المستحقين ، مادياً ومعنوياً ، ولم تدركه حرفة الأدب . هكذا يقول : إبراهيم الفوزان [23] وهذه الرواية كتبت سنة ١٩٤٨م ، أي بعد رواية السباعي بسنة أو أقل من سنة ، وكان محورها يدور حول فتى حجازي أصيب بداء السل الرئوي نتيجة خصام حدث بين والديه انتهى بالطلاق ، ركب الفتى أسامة الزاهر من ميناء جدة متجها إلى بمبي في الهند للعلاج ، يحمل كتباً دينية أعطاه إياها والده لقراءتها والتفقه في دينه ، قابل الفتى كثيراً من الناس ، منهم المسلمون ، ومنهم الأوربيون ، وكان الأوربيون ينقدونه في سلوكه الحضاري ، والمسلمون يعتزون به واحداً من أهل الديار المقدسة ؛ مر بعدد من البلدان ، ومنها جنوب اليمن المحتل آنذاك من بريطانيا ، ونزل في الشيخ (عثمان) إحدى المدن الهامة في جنوب اليمن ، ووجد فيها بعض المظاهر التي لم يألفها من قبل في ضيافة أحد أبنائها حيث كان يحمل له رسالة من أحد أقربائه في جدة [24] ، ومنها أخذ طريقه إلى بمبي ، وهاله التقدم الحضاري الذي كان يتمنى أن يجده في بلاده التي كانت تفتقده في ذلك الوقت . عشق الفتى فتاة هندية كانت تعمل ممرضة في دار النقاهة في أحد أرياف الهند ، لكنه رجع عندما علم بوفاة أبيه ، وباع البيت الذي ورثه عنه ليقيم بثمنه مدرسة في نواحي الطائف لتعليم أبناء البادية النجباء ، فهم الأمل في نهضة البلاد وتولي المناصب والحرف التي يحتكرها بعض

الوافدين الذين يهددون المواطنين ، بأنهم لو رحلوا فلن يجدوا من يخيط لهم (سراويلهم) وسيسيرون حفاة بلا حذاء ؟؟؟

أحد الفتى بدوية من أهل الطائف ، لكن أباها الجشع طلب مهراً عالياً تسبب في فسخ الخطوبة . وعاد إلى جدة ليؤسس مصنعاً للجلود بالتعاون مع أحد رجال الأعمال المصريين للاستفادة من جلود الأضاحي التي تضيع هدراً في موسم الحج . وفي يوم الحج الأكبر وجد (كيتي) وأمها - وهي الفتاة الهندية التي أحبها ، أسلمتا على يدي الشيخ علي أكبر ، صديقه الذي كان يتمنى أن يعيش في الديار المقدسة . وتزوجها أسامة الزاهر ، وسماها بلقيس ، على اسم خطيبته البدوية التي رفض أبوها تزويجها منه إلا بما طلب من المال . نهاية هذه الرواية هي النهاية نفسها التي انتهت عليها رواية أحمد السباعي ، كلاهما في مكة وبالمصادفة ، لكن تخيلات المغربي أصبحت حقيقة ، من الناحيتين ، الثقافية التعليمية والاقتصادية .

قابلته في جدة سنة ١٩٨٥م ، وكنت أجمع مادة البحث للدكتوراه في الرواية السعودية ، نشأتها وتطورها ، وعندما تطرقنا للحديث عن هذه الرواية ، قال : كنت خائفاً عندما ظهرت هذه الرواية ، وأفاجأ بخطاب من الأمير فيصل بن عبدالعزيز (الملك فيصل) نائب الملك عبدالعزيز على الحجاز ، يشكرني فيه على هذه الرواية .

وكان يحتفظ بهذا الخطاب . ثم قال : كانت هذه الآراء حلماً فصارت حقيقة ، والحمد لله .

هذه الأعمال الثلاثة وما تخللها من أعمال لا ترقى إلى درجة الرواية ، كانت تمثل مرحلة من مراحل التجديد في الأدب السعودي في الجزيرة العربية ، لكنه تجديد في الشكل فقط ، أما المضمون فلا يزال تقليدياً . وسنأتي إلى آراء النقاد في ذلك الوقت ، وسنرى إن كان هناك من تجديد ؟؟

دور النقد في هذه المرحلة :

مرت الرواية السعودية بأربع مراحل من نشأتها إلى اليوم ، وما سنذكره من نقد للرواية سيكون في بداية مراحلها ، ما بين ١٩٣٠ - ١٩٤٨م وهي الرواية التعليمية التي ذكرنا ثلاثاً منها ، هي التي نستطيع أن نسميها رواية ، وقد تعرضت هذه الأعمال الثلاثة إلى نقد آني مزاجي انطباعي في تلك المرحلة ، وهي سمة النقد البدائي آنذاك . وقد لاحظ الدارسون والناقدون للأدب السعودي - شعراً ونثراً - جهود الأنصاري والسباعي والمغربي ، وبقية الذين مارسوا النثر الأدبي من زملائهم وتلاميذهم ، أمثال أحمد رضا حوحو ، ومحمد عالم الأفغاني ، ومحمد أمين يحيى وغيرهم . ولأن هؤلاء كانت لهم حسنة الريادة في النثر الأدبي بصفة عامة ، والقصة بصفة خاصة ، فإن المصطلح النقدي كان غامضاً غموض الفن الروائي نفسه بين الرواية والقصة الطويلة والقصيرة ، وما زالت مشكلة القصة الطويلة إلى اليوم ، وقد ذكرنا بعض الأسماء في الصفحات السابقة ، أما القصة القصيرة فقد انتهى أمرها مع ظهور الرواية الفنية في ستينات القرن العشرين . وقد كان البعض يصنف الرواية بعدد الكلمات ، فكلما كانت الكلمات أكثر ، حسبت رواية ، والعكس صحيح [٢٥]. وكان هذا المنطلق يعود إلى سببين :

أولاً : الاستقاء من الثقافة العربية القديمة ، وقد ذكرنا ذلك في مقدمة الحديث ، استناداً إلى الراوي المأخوذ من الفعل (روى) حسبما تذكر المصادر العربية القديمة والمعاجم غير المتخصصة [٢٦] لذلك لم يكن المصطلح الأدبي النقدي الحديث الذي يفرق بين الأجناس الأدبية واضحاً في ذلك الوقت ، حتى في البلدان التي سبقت هذه البلاد في التعليم والتعرف إلى الفنون النقدية الحديثة.

ثانياً : تعلق البعض بالفنون الأدبية الغربية الحديثة والانسلاخ من التراث العربي ، والدعوة إلى الأخذ بالجديد وتقليد الفكر الغربي ، وقطع الصلة بين الجديد والقديم .

ومن هؤلاء - أو على رأسهم - محمد حسن عواد ،

وكان مولعاً بالأدب الغربي الحديث ، وبما أصدره المهاجرون العرب من حرية في الرأي، وجرأة في الطرح . وبالرغم من هذا فقد تورط في تصنيف المصطلح ، بين القصة والرواية ، والقصة القصيرة . فمرة يسميها «قصة» ومرة «رواية» . والقصة اسم عام لا يحدد به مصطلح بعينه، وذلك عندما شن هجومه على رواية عبدالقدوس الأنصاري، السالفة الذكر ، واتهمها وصاحبها بالعبث ، وإنها من أدب الصبيان، وقال عنها قصة دون أن يحددها، والأدهى من ذلك أنه ناقش قصة الأنصاري الثانية (مرهم التناسي) التي نشرها الأنصاري على عمود واحد في جريدة صوت الحجاز ، في عددها ٨٥ على أنها رواية ، وكان يصنف هذين العملين مرة بالقصة ومرة بالرواية [٢٧]. ولا ننكر عليه اهتمامه بالآداب الغربية الحديثة ، ولكن ننكر عليه عدم فهم مصطلح ذلك الأدب ، ثم إنكاره للتراث الفكري العربي . ولم تسلم الرواية الثانية من هجوم نقدي من ناقد آخر هو أحمد عبدالغفور عطار ، حيث نقد أحمد السباعي شخصياً من خلال روايته المذكورة ، وعندما تدخل الأدباء والمثقفون لإيقاف هجومه عليها وعلى صاحبها، ذهب إلى القاهرة وطبع جريدة من عدد واحد قام بتوزيعها على أنصاره ، لم يبق حسنة واحدة في رواية السباعي[٢٨] وكانت الرؤية الفنية رؤية عمومية إلى وقت قريب من هذا القرن فيما يتعلق بالرواية ، وما يشابهها من فنون السرديات . هذا عبدالله بن سعد الرويشد ، يقول - بعد مضي ثلاثين عاماً على مقالة العواد : «الأقصوصة هي نوع قصير من الرواية تعتمد على حادثة واحدة يحاول فيها الكاتب إبرازها بطريقة العقدة والحل ، حيث يبتدئ الكاتب بتأزيم المشكلة التي يريد معالجتها فيثير بذلك الرغبة في نفس القارئ لمعرفة الحل الذي لا يلبث أن يكتشف في النهاية ... وخير الأقاصيص هي تلك التي يمكن حدوثها لأي فرد عادي في سير أعماله وتصرفاته الفردية اليومية[٢٩] يقول سحمي ماجد الهاجري في دراسته للقصة القصيرة وتعليقه على هذه المقالة : ونجد في نهاية هذه المرحلة أن الأدباء عندما يعرفون القصة القصيرة يقتربون من مفهومها الفني [٣٠] . والحقيقة أن هذا التعريف الذي كتبه الرويشد وأكده الهاجري ، تعريف بعيد كل البعد عن الدراسات الأدبية الحديثة ، فالأقصوصة لا تمت إلى الرواية بصلة إلا أنهما تحت مسمى واحد ، هو «القصة» والقصة بحر واسع لا يحدد بتعريف واحد ، ولكل من النوعين أصوله وقواعده ، وهذا ما أكدته الدراسات الأدبية الحديثة في منتصف القرن التاسع عشر ، بعد أن اتضحت الرؤية النقدية ، لكن مشكلة الدارسين العرب تتلخص في النقل عن السابقين ، والتسليم ببعض المقولات، فإذا وجدنا للسابقين عذر الظرف الزمني في حداثة الفن الذي ظهر كتلة واحدة مثلما ظهرت العلوم الطبيعية ، فلن نجد للمتأخرين عذراً في عدم الاطلاع على النتاج النقدي الجديد ، وهذه مشكلة يعانيها العالم العربي إلى اليوم ، وقد أشرت إلى بعض من الدراسات التي اعتمد أصحابها على آراء السابقين ، وصار النقد يعتمد على بعض الشكليات ، مثل النقطة والفاصلة ، وتحول من نقد للذوق والبناء إلى درس في الكتابة وأصول التحرير» .

الرواية الفنية :

لقد كان لوجود القصة بشكل عام تحت هذا المسمى الواسع في زمن الرواية دور هام أعطى إرهاصاً جيداً لظهور الرواية الفنية التي مهد لها وجود الرواية التعليمية بظهور رواية أحمد السباعي (فكرة) التي كانت فاتحة خير في مسيرة الرواية السعودية ، وكذلك رواية محمد علي مغربي (البعث) وبالرغم من أن كلاً من الأنصاري والسباعي والمغربي لم يقدم إلا عملاً واحداً لم يشفع بثان ، إلا أن هذه الأعمال ومعها القصص الطويلة والقصيرة والمقالات النقدية حول القصة بشكل عام والرواية بشكل

خاص قد مهدت لظهور الرواية الفنية . ويعتبر تحول الناقد والقارئ إلى قراءة الرواية المحلية فتحاً في حد ذاته في هذه المرحلة الأولية من عمر الرواية السعودية ، والدليل على ذلك أن رواية الأنصاري (التوأمان) نفدت من الأسواق خلال سنتين ، وعددها ثلاثة آلاف نسخة ، في مدن الحجاز فقط . وكذلك نفدت الروايتان الأخريان في المدة نفسها تقريباً ، وذلك يعود إلى الجدل الذي دار حول روايتي الأنصاري والسباعي . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان لظهور القصة القصيرة – لأول مرة – الأثر الفعال في صقل مواهب الشباب المبتعثين إلى مصر للدراسة ، وقد عادوا متأثرين بكتاب القصة القصيرة في مرحلة الخمسينات ، وقبلهم نشرت قصص قصيرة لكنها بدائية ، مثل (أريد أن أرى الله) أحمد عبدالغفور عطار ، و(قلوب كليمة) عبدالسلام حافظ هاشم . حتى ظهرت قصص أمين سالم رويحي (الحنينة) ١٩٥٩م[٣٠] ، و(الأذن تعشق) في الفترة نفسها . وإضافة إلى ما سبق هناك عامل مهم جداً وهو ظهور الترجمات للقصة القصيرة ، وكانت مفيدة على قلتها وسوء ترجمة البعض منها ، إلا عند من تمكن من الصنعتين ، اللغة والأدب ، فكانت ترجمات عزيز ضياء وحمزة بوقري وأحمد رضا حوحو ، على رأس تلك الترجمات الجيدة لتمكنهم من اللغتين ودربتهم على الصياغات الأدبية . وكان لتذبذب هذا المصطلح أثر على الوجود الروائي ، حيث جعل المثقف يطلع على مختلف الفنون الأدبية ، وبالتالي يعطي تقييماً لما يقرأ ، ويتوسع في المفاهيم الأدبية . هذا من جانب المتلقي ، أما الروائي نفسه فقد أدرك أهمية الرواية ، من جهة كفن تحتمه الظروف الثقافية ، وفن تتطلبه النهضة الأدبية العربية والعالمية من جهة ثانية . لذا كان فضل الرواد من الوافدين والسعوديين كبيراً على وجود الفن الروائي[٣١] وتعتبر سنة ١٩٥٩م ، سنة التحول في الأدب الفني بصفة عامة ، حيث مهدت له العوامل المذكورة ، وظهرت فيها أول رواية فنية .

الجيل الأول :

ظهرت الرواية الفنية للجيل الأول على يدي روائيين متميزين – آنذاك – سبق أولهما الثاني بسنة أو أقل ، وكان لظهور هذين الروائيين أسباب كثيرة سنذكر بعضاً منها لأهميته في حياة مبدع حديث الثقافة والإبداع ، حيث استطاع أن يغير من وجهة الأدب الروائي التقليدي إلى الوجهة الحديثة بعد أن مهدت لظهور أعماله مجموعة من الظروف التاريخية والفنية والأدبية والاجتماعية . فقد كان التاريخ يمر بمرحلة هامة وخطيرة في حياة الأمة العربية الإسلامية إثر انقسامات في المجتمع بين الشرق والغرب ، ومن أخطرها كلمة (شرق) وما تعنيه في مضمونها البعيد. أما الفنية الأدبية فكانت ضرورة حياتية لنقل الصورة الحقيقية الواقعية في أدب حديث واقعي بعد أن مل القارئ قراءة الخيال المزيف ، ووقائع التاريخ الكاذب على سنان قلم كل من جورجي زيدان وإميل حبشي الأشقر اللذين قلدا الرواية التاريخية الغربية فشوها التاريخ الإسلامي بكتاباتهما ، ولم يكن في حاجة إلى مزيد من التشويه ، فأثارا النعرات الكامنة بين طوائف المسلمين من سنة وشيعة ، وكان بزعمهما أنهما يردان على دعوات التتريك المغرضة ، فصار العلاج أسوأ من الداء . لذلك كان لعودة المبتعثين إلى مصر وحضور الكثير من الندوات والمحاضرات وقراءة النتاج الأدبي المصري آنذاك كبير الأثر في نفوس أولئك الشباب الطموح الذي أتيحت له الفرصة لضمان مركزه الاجتماعي الأدبي والقيادي في فراغ الفن الأدبي الحديث ، ووجدوا أن الأدب الحديث ما زال موجهاً للإصلاح التربوي في صياغات تغلب عليها الإنشائية ، والقارئ يأخذ قراءته من مصر وبلاد الشام ، حسب مقولة أحد الكتاب السعوديين ، حيث يقول : «لا تجد هناك شادياً في الأدب ، ولا بادئاً في الشعر إلا وهو

يعلم عن أدبائنا المصريين ما يجهله كثير من المصريين المتعلمين»[٣٢].

وإذا كان هذا حال الأدباء داخل السعودية ، فماذا نقول عن الشباب الذين عشقوا الثقافة منذ دراستهم الأولية على أيدي أساتذتهم الذين تشربوا الثقافة التراثية العربية ثم طعموها بقراءة الأدب الحديث من أصوله ، وكانت للفرصة الدراسية في الجامعات المصرية التي ابتعثوا إليها أكبر الأثر في تنشيط تلك المواهب وصقلها والتدرب على فن الكتابة الحديثة على أيدي كبار العلماء والباحثين الذين استقوا الثقافة العربية وطوروها بقراءة الأدب العالمي ، وخاصة الإنجليزي والفرنسي .

وأول من بدأ في فن الرواية السعودية الحديثة ، حامد دمنهوري (١٩٢٢ - ١٩٦٥م) ، الذي درس في جامعة القاهرة ، وحصل منها على الدبلوم ، ثم أكمل دراسته في جامعة الإسكندرية ، وحصل منها على شهادة (الليسانس) كان يقول لأستاذه حسن ظاظا : لست مستعجلاً على التخرج والعودة ، فأنا أريد أن أستزيد من العلم الذي قد لا تسمح الفرص الوظيفية بالحصول عليه . وكانت مصر في ذلك الوقت إحدى منارات العلم والأدب ، لا يزاحمها إلا بيروت ، وكل الأنظار تتجه إلى كل من هذين القطرين ، وهذان القطران يبثان إشعاعهما إلى بقية البلاد العربية ، ولا تجد مثقفاً في كل أقطار الوطن العربي إلا ويكون مشغوفاً بقراءة الكتاب المصري قبل قراءة الكتاب المحلي - إن وجد - وهذا ما أكدناه قبل قليل ، وأكده الباحثون قبلنا ، من أمثال جميل سعيد[٣٣] ، ومحمد حسين هيكل الذي قدم لكتاب وحي الصحراء [٣٤] .

وقد ذكرنا من قبل وفي مناسبات كثيرة أن الدمنهوري تأثر تأثراً واضحاً بكتاب مصر من جيل الأربعينات والخمسينات ومن سبقهم من أصحاب المحاولات الأولى ، وبالذات محمد حسين هيكل ، صاحب رواية «زينب» حيث اتفق الاثنان في الشكل والمضمون ، إلا أن الشكل عند الدمنهوري يميل إلى الوصف الدقيق . أما المعاناة النفسية عند الكاتبين فكانت واحدة ، وهي عند هيكل أكثر منها عند الدمنهوري . ولا أريد أن أطيل في هذا الموضوع الذي تحدثت فيه طويلاً عند دراسة الرواية في المملكة العربية السعودية[٣٥] . ولم تكن محاولة الدمنهوري قد صدرت من فراغ ، بل جاءت من عدة مصادر ، ذاتية ومكتسبة .

الذاتية تمثلت في موهبته الفنية واستعداده الفطري الذي نماه بالقراءة والممارسة الفعلية عندما هيئت له الظروف الأدبية والعلمية على أيدي كبار أساتذة الأدب والبحث العلمي ، أضف إلى ذلك تمكنه من اللغة (مفردات وصياغة) منذ أن كان طالباً في المرحلة الثانوية ، ونبوغه المبكر ، وكثرة سكوته واستماعه للمتحدثين .

أما المكتسبة فمنها محاولاته المستمرة في الكتابة والمراجعة والتقديم والتأخير ، حيث وجد أن النهضة الحديثة بحاجة إلى نشوء أدب حديث تتزعمه الرواية في دخول زمن المدينة وتقلص زمن البداوة ، وانحسار الريف واقترابه من حياة المدينة ، ودخول عصر الصناعة واستخدام الآلة وتقارب الحدود الجغرافية الدولية ، واختصار مسافات الخريطة وتغير الحالة السياسية واللسان الاستعماري ومصطلحاته إلى العربي الذي أخذ في المد الدولي العربي بفضل المدارس العربية وتوسع الإعلام العربي . لذلك أصدر روايته الأولى بعد أن وجد الرغبة من قبل القارئ العربي الذي استنفد وقته في قراءة الخيال التاريخي الكاذب - كما ذكرنا من قبل - فأصبحت عنده الرغبة في قراءة رواية عربية محلية يشتم منها رائحة الأرض وعبق الذكريات الوطنية . وفعلاً حققت رواية الدمنهوري (ثمن التضحية) الصادرة سنة ١٩٥٩م [٣٦] فتحاً أدبياً جديداً في عالم الرواية السعودية ، وقد أشرنا إلى أن هذا العام هو عام التحول من الأدب التقليدي إلى

الجديد ، وأضافت رواية الدمنهوري هذه ملمحاً إلى الملامح التي تحدثنا عنها من قبل ، مما أغراه بكتابة روايته الثانية بعد صدور الأولى بأربع سنين على وجه التحديد [٣٧] . ولم تحقق الثانية نجاحاً فنياً مثلما حققته الأولى ، ومن هنا اختل التطور الفني ، وانقلبت نظرية التجربة الفنية ، كما أكد ذلك الدارسون لأدب الدمنهوري[٣٨] . لكن الدمنهوري انتقل إلى جوار ربه بعد صدور عمله الثاني بسنتين ، أي في ١٩٦٥م وقد أسس فناً روائياً جديداً ، وفتح الباب لتجارب رائدة في هذا المجال سنتناولها في هذه الدراسة .

تعتبر فترة الستينات وأواخر الخمسينات من القرن العشرين فترة تحولات فنية في ظهور الإبداع الفني الذي كسرت الطوق التقليدي في السرد القصصي وظهور أسماء جديدة على الساحة النثرية بشكل عام ، والرواية بشكل خاص ، وقد شكلت عودة كل من حامد دمنهوري وإبراهيم الناصر إلى المملكة في هذه الفترة الهامة في حياة الإنسان العربي وحضور بعض الأصوات الأدبية والامتزاج بالمنظور الحديث أهمية يجب ذكرها في التحولات الأدبية ، وتأثر كل منهما بالحس الفني الحديث الذي تفاعل معه هناك ، وبما أن الناصر درس في العراق وتأثر بالتيارات الأدبية الحديثة ، فقد عكس ذلك التأثر شخصية متنامية مع الإبداع الفني ، فكانت محاولاته في كتابة القصة القصيرة تنطلق من خلفيته الثقافية وتأثره الكبير بالفن غير «المؤدلج» الذي سرعان ما امتد إلى منطقة الخليج العربي في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات ، وتلقفه الأدباء والمثقفون مستبشرين بظهور بوادر التغيير الفني ، إضافة إلى انتشار التيار المهجري والخروج من نفق التقليد إلى مسالك التنوير ، أضف إلى ذلك المعارك الأدبية والفكرية التي ظهرت إبان هذه الفترة[٣٩] وتحولات الفكر العربي الناهض المستيقظ على الصوت العربي بعد احتلال فلسطين ، وظهور الأصوات العربية المنادية بالنهضة الحديثة ضد الاحتلال ، ووجود مساحة أكبر للتعبير عن هموم الإنسان في الظروف والمعطيات الراهنة . كل هذه المعطيات أعطت الجيل الجديد جرعة قوية لاستيعاب الجديد ، والاتكاء على أسس الماضي المشرف - لغة وأسلوباً وتراثاً - ونبذ الفكر السلبي الفاسد واستهجانه .

كتب إبراهيم الناصر (١٩٣٣ - ...) القصة القصيرة قبل أن يكتب الرواية ، وكانت القصة الأولى التي نشرها في مجلة (قريش) التي كان يرأس تحريرها أحمد السباعي ، بعنوان (الهدية)[٤٠] بداية لفنه القصصي ، ثم أصدر مجموعته القصصية - أمهاتنا والنضال ، وبعدها مجموعته الثانية ، أرض بلا مطر - قبل صدور روايته الأولى (ثقب في رداء الليل) سنة ١٩٦١م[٤١] ، ولم تمثل روايته هذه نضوجاً فنياً ، مثلما قدم نموذجاً فنياً في مجموعتيه القصصيتين ، بيد أنها كانت انطباعات فنية ، وقد أشار إليها صالح جواد الطعمة بقوله : هذه العناصر المتقابلة حيناً والمتنافرة أحياناً في كتابات الناصر الذي يحاول - دائماً - أن يوازن بينها فيما يتعلق بالشخصية والبيئة الاجتماعية ويلمح بصورة فنية لها علاقة بصميم الواقع الحقيقي بالرغم من بعض المبالغات في تصوير هذا الواقع[٤٢] . كانت هذه الرواية تعكس شيئاً من تجارب كاتبها ، ولم يتحقق الجانب الفني إلا في روايته الثانية (سفينة الموتى) الصادرة في الرياض سنة ١٩٦٩م[٤٣] ، وفيها تبلورت تجاربه الفنية ، وما زال يواصل عطاءه القصصي في فن الرواية والقصة القصيرة إلى اليوم ، فقد أصدر ثماني روايات وخمس مجموعات قصصية . وهذا التحول الذي بدأه الدمنهوري والناصر ، أعطى مجالاً لظهور أصوات روائية جديدة حالف الحظ بعضاً منها وتعثر في طريق البعض الآخر ، ولم يبق في الميدان بعد رحيل الدمنهوري إلا إبراهيم الناصر ، ما عدا بعض الأعمال القصصية التي لا ترقى إلى درجة الرواية ، فهي

قصص طويلة على الطريقة الزيدانية ، مثل (أمير الحب) لمحمد زارع عقيل ، الصادرة عن دار الهلال سنة ١٩٦٠م ، وهي قصة تاريخية . وصدرت قصة خيالية بعنوان (البراءة المفقودة) عن مطابع المصري في بيروت ، سنة ١٩٧٢م ، لهند صالح باغفار ، وأصدر غالب حمزة أبو الفرج تقريراً صحفياً على شكل قصة عن اختطاف وزراء منظمة البترول (أوبك) ، بعنوان (الشياطين الحمر) سنة ١٩٧٧م عن مطابع الأهرام . وأصدرت عائشة زاهر أحمد رواية بعنوان (بسمة من بحيرات الدموع) صدرت عن نادي جدة الأدبي، سنة ١٩٧٩م . وفي العام نفسه صدرت روايتان الأولى للكاتبة والإذاعية هدى عبدالمحسن الرشيد بعنوان (غداً سيكون الخميس) عن مطابع روز اليوسف ، وأخرى بعنوان (القصاص) عن نادي الطائف الأدبي ، للقاص عبدالله سعيد جمعان ، الذي أصدر رواية (ليلة عرس نادية) قبل وفاته سنة ١٩٩٠م عن النادي نفسه . ونلاحظ أن الفترة الواقعة ما بين ١٩٦٩ و ١٩٧٩م فترة جفاف شديد في الإنتاج الروائي ، بينما سنرى غزارة الإنتاج الروائي من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٩م ، حيث بلغت سبعاً وعشرين رواية دون القصص الطويلة التي اعتبرها بعض الدارسين روايات .

ولنا أن نتساءل لماذا كل هذا الكم من الروايات في ظرف عشر سنوات ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ، يجب علينا الإيجاز ، فالأسباب كثيرة سنوجزها في عدة نقاط :

أولاً : انتشار دور النشر التي صاحبت الطفرة الاقتصادية ، وقد أحصينا ٥٠٠٠ دار نشر ومطبعة ، بينما كانت إحصائية يحيى محمود بن جنيد (الساعاتي) في عام ١٩٧٩م ، فقد أحصى خمسمائة دار نشر ومكتبة [٤٤] .

ثانياً : قرار إلزام الجهات الرسمية بشراء ٣٠ في المائة من إنتاج المؤلف السعودي .

ثالثاً : اهتمام وسائل الإعلام بالرواية ، دراسة ودعاية وإشهاراً لمولدها واحتفاء بالروائي .

رابعاً : وجود قارئ للرواية ، أكثر من ذي قبل ، وجد في الرواية ما لم يجده في الشعر ، وسائر الفنون الأخرى.

خامساً : ثبوت الفن الروائي على أيدي كتاب أجادوا فن الصنعة الروائية ، مثل عبدالعزيز مشري - رحمه الله - وأمل شطا ، وحمزة محمد بوقري .

هذه بعض الأسباب التي جعلت هذا الفن يزدهر بعد أن كان فناً يستحي من نفسه وكان البعض من الدارسين يخشى من تسجيل رسالة علمية في الرواية ، بينما نجد اليوم سباقاً على دراستها ، وقد بلغ عدد الذين حصلوا على الماجستير في الرواية خمسة طلاب ، والذين لم ينتهوا ثلاثة في الماجستير وواحدة في الدكتوراه .

وليس كل ما ظهر في هذه الفترة التي اتسمت بالكم من الرواية الفنية الجديدة المبتكرة ، بل كان هناك الكثير من الروايات التقليدية ذات الأفكار الموجهة الجاهزة ، إلا أن ما يشفع لهذه الفترة أنها فترة انتقالية وأن أغلب الكتّاب لم يكرر تجربته ، وما ثبت إلا الكتّاب الذين يملكون الموهبة الروائية .

الاتجاه الجديد في الرواية :

شهدت الرواية العربية اتجاهاً جديداً في المضامين الروائية لم تشهده من قبل ، ويتلخص هذا التجديد في أمرين:

أولاً : جرأة الطرح من كتاب لم يسبق لهم خوض التجربة الروائية على مدى وجودهم في الساحة الأدبية ، وقد عرفوا في غير ميدان الرواية ، شعراء وسياسيين .

ثانياً : ظهور أدب الذكريات المكشوفة على شكل قصة، مما شكل لبساً لبعض القراء بأن هذا العمل أو ذاك رواية ، والبعض قال عنها سيرة [٤٥] . بينما في واقع الأمر أن هذه الأعمال لا تمثل إلا سرداً قصصياً ليس فيه من البناء الروائي ما يدل على شخصية روائية . ظهر هذا

التيار أول ما ظهر في العالم العربي بظهور سيرة محمد شكري (الخبز الحافي ١٩٨٨م ثم الجزء الثاني ، الشطار) ولاقى هذا العمل قبولاً حسناً في أوربا ، على غرار كتابات بعض الكتاب البريطانيين ، أمثال - جيمس جويس - في بعض أعماله ، مثل (رنة الغرفة) ، لكن الفرق هنا يكمن في الصياغات الفنية . لقد كتب بن جدو بوعلال الشكري - وهذا هو اسم محمد شكري - سيرته التي لم تنته بعد بصدق غطى بعض عيوبها . لكن كتاب التيار المضاد للقيمة الأدبية تحدثوا عن ذكرياتهم العبثية بشيء لم يضف إلى الفن الأدبي شيئاً . فكتبوا ما يرون أنه يشبع فضول الآخر، بذكر بعض من سلبيات المجتمع ، مما يشكل إثارة الفضول وحب المعرفة عن العالم الآخر . ولم يدع أحد منهم أنه كتب الرواية ، لكن العيب فيمن قرؤوا هذه الأعمال ، وانبروا لها على أنها روايات ، وهذا يعود إلى جهلهم بفن الرواية . وهذا لا يتعدى سرداً من الذاكرة نستطيع أن نجمله في إنتاج (تركي الحمد ، وغازي القصيبي ، وأحمد أبو دهمان ، وعبثيات رجاء عالم ، حيث نصبهم بعض الذين يدعون النقد على أنهم ، روائيون ، وسبح في هذا التيار بعض من الكتاب الشباب الذين أرادوا لإنتاجهم أن يسلك هذا المسلك ويعاكس الاتجاه المألوف ، فصدر عمل ليلى الجهني (الفردوس اليباب) عن دار الجمل ، في ألمانيا، ليعبر عن مخزون الذاكرة النسوية، كما عبر الرجال عن مخزونهم بطريقة القص ، ولا نستطيع أن نعزل المبدع عن إبداعه فيما يتعلق بالذاكرة ، لكننا نقول كما قالت العرب (ليس كل ما يعلم يقال) وتتخذ كتابات عبدالرحمن منيف ، وعبده خال منحى فكرياً - خاصة خماسية مدن الملح عند منيف ، والموت يمر من هنا ، عند عبده خال . وهذا المنحى يعاكس الظرف التاريخي من خلال الشخصية المفقودة ، والبحث عن الهوية التي غطت الضبابية معالمها عند عبده خال في عمله المذكور ومجموعته القصصية (من يغني لهذا الليل) وسلطان القحطاني في (خطوات على جبال اليمن) وعبدالعزيز الصقعبي في (رائحة الفحم) وقماشة العليان في (أنثى العنكبوت) وهناك الكثير الذين لا يتسع المقام للحديث عنهم . لكن نود من نافلة القول ، أن هذه الأعمال التي حققت نوعاً جيداً من التجديد في عالم الرواية السعودية - التي بدأت تقليدية ، ثم تأرجحت بين الفنية والتقليدية - أخذت عدداً من المناحي الفنية ، في المشروع التجديدي ، مع اختلاف في الرؤية الفنية في الصياغة . فعند سلطان القحطاني ، تراثية في ثوب جديد ، وعند عبده خال ، حداثية مغلفة في الستار الجماعي ، من خلال الرؤية النقدية . وعند ليلى الجهني ، مشكلة نسوية تبحث عن الحل . وعند قماشة العليان ، قضية أزلية ، تبدأ وتنتهي كما بدأت . وهذا المنحى الفكري الجديد الذي ظهر عند منيف مبكراً في سبعينات القرن العشرين كنوع من التمرد الفكري ، لم يكن هو التمرد الذي سيطر على فكر عبدالله القصيمي في خمسينات القرن العشرين ، وقد حاول بعض الدارسين أن يقارن بين فكر القصيمي ، والتيار الفكري التسعيني[٤٦] وهذه مقارنة غير واردة ، فالقصيمي كان (نتشوياً) [نسبة إلى نيتشه] يهدف إلى تغيير المجتمع فكرياً ، أما هذا التيار الفكري فكان تياراً ضد الأخلاقيات لا يتفق وأصول الفكر العربي الإسلامي (إذا بليتم فاستتروا) والكشف عن المسكوت عنه ، قد يؤدي في أحيان كثيرة إلى نوع من الترف الفكري عند بعض القراء، وإلى وقفة تأملية عند البعض الآخر ، ولكنها في النهاية عبثية سرعان ما يزول بريقها . لكنها عند الكتاب الذين ذكرناهم قبل قليل تمثل الطرح الفكري من خلال الكتابة الفنية . ولا ندعو إلى أدب موجه مؤسلم سلفاً ، فالفن يطرح ولا يدعو إلى هذا أو ذاك ، يحترم مشاعر كل القراء . ويجانب ما ذكرته ، وجدت الكتابة المضادة للمضادة ، تمثلت في بعض الكتابات الوعظية الإرشادية

في زمن المعلومات ، عند العريني ، في قصة طويلة ، تحكي رحلة شاب إلى الولايات المتحدة للدراسة ، وبجانب دراسته يعمل مرشداً ، استطاع أن يقنع الناس بالدخول في الإسلام(٤٧).

وبالرغم مما ذكر من اختلاف في الاتجاهات التي مرت بها الرواية السعودية فإنها قد أثارت جدلاً في الشكل والمضمون ، واحتلت الصدارة في ذهن القارئ ، كما هو حال الرواية الحديثة ، سواء في العالم العربي ، في العقد الأخير من القرن العشرين ، أو في العالم منذ أن أصبح لها شأن في ذاكرة المثقفين على يدي كبار كتابها ، في أوربا وأمريكا منذ ظهورها تاريخية على يدي الكاتب العالمي (السير ولتر سكوت ١٧٧١ - ١٨٣٢م)(٤٨) وتداول العالم هذا الفن حتى تطور في مراحله اللاحقة ولم يعد اعتماد القارئ العربي على حفظ الشعر في زمن القراءة وهو يجد الرواية بديلاً ومجدداً ، فمن أسباب رواج الرواية القراءة والكتابة وازدياد عدد المثقفين ، فالقارئ يجد في الرواية ما لم يجده في الشعر أو القصة القصيرة ، فالشعر والقصة القصيرة أو حتى الطويلة ذات اتجاه واحد بمعنى آخر لا تخدم إلا هدفاً واحداً محدداً ، بينما الرواية تستوعب الكثير من المشاكل تحت السقف الروائي في منظومة واحدة ، وهذه هي الرواية المتكاملة وقد أدرك الروائي اليوم هذا المطلب واستجاب له من منظور فني يختلف كل الاختلاف عن الكتابات التي تستدر عطف القارئ أو تدغدغ مشاعره بالجمل والعبارات الرنانة المحتوية على أنواع التسلية والإثارة ، أياً كان نوعها ومغزاها . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نضج المتلقي واستجابة الروائي ونضوج فكره الفني . وأؤكد على أن الفضل للمتقدم ، وأعني بذلك الرواد الذين مهدوا للروائي اليوم الطريق الصعب ، ولا عبرة بالكتابات التي ظهرت على هامش الرواية الحديثة ، فإنها (زبد يذهب جفاء) . ولن يبقى إلا الأعمال الجيدة ، تلك الأعمال التي حازت على أكبر الجوائز العالمية في زمن الرواية (٤٩) .

ونستطيع أن نلخص هذه الاتجاهات في خمس نقاط في نهاية هذا البحث :

١ - الصدمة الفنية ، ونتج عنها نص يكرر نفسه ، لم يستطع الكاتب أن يبلور أفكاره في قالب روائي يحمل روح الرواية الحية ، فقد أخذته الدهشة الفنية بكل أبعادها ، ولم يستطع السيطرة على النص .

٢ - الكتابة ذات الصورة المعبرة ، ونتج عنها مجموعة من السرديات الدرامية ، استطاع كل كاتب تكييفها حسب عالمه الروائي ، ويتلخص في فكرة واحدة تناولها مجموعة من الروائيين ، كل منهم شاء حسب منظوره الفني .

٣ - عرض الصورة المستهلكة ، ونتج عنها (عبث ، مراهقة، استدرار عواطف الآخرين) وتدرج أحداثها يخلو من اللون المميز ، فلم تأت بجديد .

٤ - التمرد على الشكل التقليدي ، وهذه الكتابة لم تقض على الشكل الفني في تمردها لكنها جددت في المضمون الفني، واحتوت على الغموض ، وعالجت النص من الداخل، وقدم أصحابها فناً مميزاً بالرغم من تمرده على الشكل ، وهذا اللون هو اللون الذي برز بشكل ملفت للنظر في العمل التجديدي في الرواية العربية بشكل عام والرواية السعودية بصفة خاصة في ثمانينات القرن العشرين (منذ ظهور مدن الملح ، لعبدالرحمن منيف).

٥ - الأسلوب الجاد البسيط ، وهو أسلوب أثار التفكير والجدل عند الكثير من المتلقين ، لسهولة فهمه من ناحية ، وعدم وجود الخلل والتكلف من ناحية أخرى ، إضافة إلى أنه ترك أوسع مجال للتفكير ، وهذا اللون من أنجح الاتجاهات التي سلكتها الرواية الحديثة في

الهوامش والمراجع

١ – محمد بن عبدالرحمن الشامخ، **النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية**، ص٨ – ٩ .- الرياض : دار العلوم، ١٩٨٠م .

٢ – سلطان سعد القحطاني، **الرواية في المملكة العربية السعودية، نشأتها وتطورها**، من ١٩٣٠ – ١٩٨٩م، ص١٨ .- الرياض : مكتبة الصفحات الذهبية، ١٩٩٨م .

٣ – أحمد محمد جمال، **ماذا في الحجاز**، ص٤٥، القاهرة، ١٩٤٦م.

٤ – انظر عبدالله ركيي، **نفوس ثائرة**، ص٢٠، القاهرة، ١٩٦٢م .

٥ – ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج١، ص٤٧ .

٦ – فاروق خورشيد، **الرواية في عصر التجميع**، جدة : دار الشروق، ص٧٢، د.ت .

٧ – يوسف عز الدين، **الرواية في العراق**، ص١٢٥ .- القاهرة : معهد البحوث العربية، ١٩٥٦م . وعبدالإله أحمد (**القصة في العراق**)، القاهرة ١٩٧٢م .

٨ – **مجلة المنهل**، عدد ٩، ١٠ أغسطس ١٩٥١م .

٩ – رفيقة حمود، **التعليم في البحرين**، ص٦٥، دائرة التربية، جامعة البحرين ١٩٨٧م .

١٠– محمد عبدالرحمن الشامخ، ص٢٨، مصدر سابق .

١١– محمد جابر الأنصاري، «ظاهرة القصيبي» **مجلة العربي**، ع٤٩٣ ديسمبر ١٩٩٩م .

١٢– عبدالقدوس الأنصاري، **مجلة المنهل**، العدد الفضي الخاص بالقصة بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تأسيسها، ١٩٦٠م .

١٣– محمد صالح الشنطي، **فن الرواية في الأدب السعودي المعاصر**، ص٥٠، نادي جازان الأدبي، ١٩٩٠م . ومحمد السيد ديب، **فن الرواية في المملكة العربية السعودية**، القاهرة، ١٩٨٩م .

١٤– محمد علي مغربي، **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري** .- جدة : تهامة، ١٩٨١م .

١٥– عبدالله عبدالجبار، **التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية**، ص١٤٩ .- القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م.

١٦– عبدالسلام طاهر الساسي، **شعراء الحجاز في العصر الحديث**، ص١٣، ١٤ .- القاهرة : دار الكتاب العربي، ١٩٥١م .

١٧– عبدالله عبدالجبار، ص١٤٥، ١٤٦، مصدر سابق .

١٨– أحمد السباعي (**سلم القراءة العربية**) .- القاهرة : الكاتب العربي، ١٩٥١م .

١٩– أحمد السباعي (**فكرة**) .- القاهرة: الكاتب العربي، ١٩٤٧م . وللمزيد عن السباعي، انظر كتابنا (**الرواية في المملكة العربية السعودية، نشأتها وتطورها**) ملحق رقم ١، ص٢٧٣ .

٢٠– **الرواية، ص٩٥، وما بعدها .**

٢١– **لقاء في التلفزيون السعودية** بمناسبة حصوله على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، **وهو العام الذي توفي فيه .**

٢٢– محمد علي مغربي (**البعث**) .- القاهرة : الكاتب العربي، ١٩٤٨م .

٢٣– إبراهيم الفوزان، **الأدب الحجازي بين التجديد والتقليد**، ص٣٠٦ .- القاهرة : دار الخانجي، ١٩٨١م .

٢٤– لمزيد من المعلومات حول الشيخ عثمان وما وجده فيها المؤلف من ملاهي الحياة والنساء، انظر : مذكرات الطبيبة الفرنسية (كلودي فايان) (**كنت طبيبة في اليمن**) ترجمة محسن العيني .- بيروت : دار العودة، ١٩٧٣م .

٢٥– إبراهيم الفوزان، ص٣٠٦ ج٢، مصدر سابق .

٢٦– **مختار الصحاح** لأبي بكر الرازي، ص٢٥٧، تحقيق محمود خاطر، القاهرة، د.ت .

٢٧- محمد حسن عواد ، **خواطر مصرحة** ، ص٣٦٨ -. القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦١م .
٢٨- أحمد عبدالغفور عطار (**البيان**) جريدة من عدد واحد ، القاهرة ، ١٩٥٠م.
٢٩- عبدالله بن سعد الرويشد ، **قافلة الزيت** ، عدد شعبان ١٣٨٢/١٩٦٢م .
٣٠- سحمي ماجد الهاجري ، **القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية**، ص٢٥٧ ، النادي الأدبي في الرياض ، ١٩٨٨م .
٣١- سلطان سعد القحطاني ، (الرواية في المصطلح الفني عند الرواد) **مجلة العقيق** ، ص١٣٦، مج١٢ ، ع٢٣/٢٤ محرم وربيع الأول ١٤٢٠هـ ، نادي المدينة المنورة . ومجلة (**قوافل**) ص٢٦ وما بعدها -. الرياض: النادي الأدبي، العدد السابع ١٩٨٦م .
٣٢- أحمد أبو بكر إبراهيم ، **الأدب الحجازي في النهضة الحديثة** ، ص٥٨ ، وما بعدها -. القاهرة : مطبعة نهضة مصر ، ١٩٤٨م .
٣٣- جميل سعيد ، **نظرات في التيارات الأدبية المعاصرة**، ص٤٨ -. القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٤م .
٣٤- **وحي الصحراء**، تأليف محمد سعيد عبدالمقصود، وعبدالله بلخير ، المقدمة ص(ز، ح) القاهرة : مطبعة البابي الحلبي، ١٩٢٦م .
٣٥- سلطان سعد القحطاني ، **الرواية في المملكة العربية السعودية ، نشأتها وتطورها** ، ص١٢٨ ، مصدر سابق .
٣٦- حامد دمنهوري (**ثمن التضحية**) القاهرة ، ١٩٥٩م .
٣٧- **ومرت الأيام** -. بيروت : دار العودة ، ١٩٦٣م .
٣٨- بكري شيخ أمين ، **الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية** ، ص٤٧٥ وما بعدها ، بيروت ١٩٨٢م. ومنصور الحازمي (**فن القصة في الأدب السعودي الحديث**) ، ص٤٨ -. الرياض : دار العلوم ١٩٨١م . ويحيى ساعاتي ، **ثمن التضحية** ، الطبعة الثانية -. الرياض : النادي الأدبي ، ١٩٨٠م . ومحمد صالح الشنطي ، **فن الرواية في الأدب السعودي المعاصر** ، ص٥٠ ، مصدر سابق . وعبدالله عبدالجبار ، مقدمة الطبعة الأولى ، ١٩٥٩م . ومنصور الخريجي ، **مجلة كلية الآداب** ، ص٨٥ ، جامعة الرياض، ١٩٧٣م . وعزت إبراهيم ، **مجلة الفيصل** ، عدد أكتوبر ١٩٧٨م . ونبيلة إبراهيم سالم، **عالم الكتب** ، مج١ ، ص٨١، الرياض ، ١٩٨١م .
٣٩- من هذه المعارك ، ما دار بين عبدالقدوس الأنصاري ، وحمد الجاسر ، حول - ضم جيم جدة - وما دار بين أدباء الأحساء وأدباء البحرين . إبراهيم عبدالله غلوم ، المرجعية والانزياح ، ص١٢٧ - البحرين ، مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع (بواكير ٢) .
٤٠- إبراهيم الناصر ، الهدية ، **مجلة قريش** ، عدد يناير ١٩٦٠م .
٤١- إبراهيم الناصر ، **ثقب في رداء الليل** -. القاهرة : الدار القومية، ١٩٦١م ، **سفينة الموتى** -. الرياض : مطابع الأنوار ، ١٩٦٩م .
٤٢- صالح جواد الطعمة ، الناصر قاصاً ، **عالم الكتب** ، المجلد الأول ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
٤٣- سلطان سعد القحطاني ، **الرواية في المملكة العربية السعودية ، نشأتها وتطورها** ، ص ١٠٨ ، مصدر سابق.
٤٤- يحيى ساعاتي ، **حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية** ، ص١٨٠ -. الرياض : النادي الأدبي، ١٩٧٩م .
٤٥- سعدية مفرح، **جريدة القبس الكويتية** ، ١٣/١١/١٩٩٤م ، ص٣٤.
٤٦- معجب الزهراني ، **مجلة العربي**، عدد ٤٩٨ ، محرم ١٤٢١هـ/ مايو ٢٠٠٠م ، ص٥٨ .
٤٧- عبدالله العريني ، **رحلة الليالي الشاتية** ، الرياض : المؤلف ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
٤٨- السير ، ولتر سكوت (إفان هو)
Sir Walter Scott, Ivanhoe, Penguin Popular Classics 1994.
٤٩- جابر عصفور ، **زمن الرواية** ، دار المدى ، ١٩٩٩م .

المكتبات في مدينة القدس

ربحي مصطفى عليان
كلية التخطيط والإدارة - جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

مقدمة :

يشكل تاريخ المكتبات وتطورها في أي حضارة أو دولة أو مدينة ، جانباً مهماً من تاريخها العام . وقد أعطت الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها المختلفة اهتماماً خاصاً بالكتب والمكتبات، ولهذا انتشرت خزائن الكتب ودورها في بغداد ودمشق والقاهرة وفارس وقرطبة والقدس، وغيرها من مراكز الحضارة العربية الإسلامية .

بالنسبة للمكتبات العربية الإسلامية ، فقد كانت النتاج الطبيعي للحضارة العربية الإسلامية وانعكاساً لها . وقد ساهمت هذه المكتبات في توسيع نطاق هذه الحضارة ونقلها إلى العالم وإلى الأجيال المسلمة . وعندما اتسع أفق المسلمين وازدهرت حضارتهم وتنوعت اهتماماتهم الفكرية والعلمية ، تطورت المكتبات وظهرت الأنواع التالية منها في الحضارة العربية الإسلامية :

١ - مكتبات المساجد والجوامع .
٢ - المكتبات الخاصة بالخلفاء والأمراء والحكام .
٣ - المكتبات الخاصة بالعلماء والأدباء ورجال الدين .
٤ - المكتبات العامة .
٥ - المكتبات المدرسية .
٦ - مكتبات أخرى مثل مكتبات المشافي والمارستانات [١] .

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على التطور التاريخي للمكتبات المختلفة في مدينة القدس منذ الفتح الإسلامي للمدينة وحتى هذه الأيام . كما تقدم الدراسة معلومات عن الانتهاكات الإسرائيلية للكتب والمكتبات في فلسطين بشكل عام وفي مدينة القدس بشكل خاص ، والمشكلات التي تواجه المكتبات في مدينة القدس .

مكتبات مدينة القدس عبر العصور :

نظراً للتاريخ الطويل لمدينة القدس ولتاريخ المكتبات فيها كذلك ، يمكن تقسيم هذا التاريخ للمكتبات على النحو التالي :

أ - الفترة الأولى : وتمتد من الفتح العربي الإسلامي لمدينة القدس وحتى بداية الحروب الصليبية (٦٣٧ - ١٠٩٩م) .

ب - الفترة الثانية : وتمتد من العصر الأيوبي والعصر المملوكي وحتى بداية العصر العثماني ١١٨٧م حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي) .

جـ - الفترة الثالثة : وتمتد من أواسط القرن التاسع عشر الميلادي حتى اليوم .

مكتبات مدينة القدس (٦٣٧م - ١٠٩٩م) :

يقول العسلي [٢] : إن أي حديث عن وجود مكتبات في فلسطين قبل القرن الثالث للهجرة غير ممكن [٣] . ونستثني من ذلك وجود عدد من نسخ القرآن الكريم في المساجد القديمة منذ القرن الأول للهجرة . وفي هذا الشأن يشير ابن القلانسي إلى المصاحف العثمانية التي أرسلها الخليفة عثمان بن عفان إلى البلاد الإسلامية سنة ٣٠هـ (٦٥١م) ، ومنها مصحف أرسل إلى طبرية في فلسطين ، ولا شك أن نسخاً كثيرة من هذا المصحف قد نسخت ووضعت في مساجد فلسطين والقدس .

واستناداً إلى ما سبق فإن مكتبات المساجد والجوامع هي أولى المكتبات العربية التي عرفتها فلسطين ومدينة القدس . وقد أضيفت إلى هذه المكتبات في القرن الثالث للهجرة مجموعات من الكتب التي بدأت تنتشر في بلاد الشام في تلك الفترة مثل كتب الزهري والأوزاعي والوليد ابن مسلم، وكذلك الكتب التي ألفها المحدثون الفلسطينيون والمحدثون الذي أموا فلسطين في القرنين الثالث والرابع بشكل خاص . ومن كتب تلك الفترة كتب المسند والجامع والطبقات وغيرها .

وهناك نصوص تتعلق بخزائن المسجد الأقصى يتضح منها أن أهم ما كانت تضمه هذه الخزائن نسخ القرآن الكريم التي كانت توضع في المسجد أو توقف عليه أو تهدى إليه . فقد ذكر ابن الفقيه (٤) في كتاب "البلدان" الذي ألّفه سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م أنه كان في المسجد الأقصى في زمنه (ستة عشر صندوقاً للمصاحف) . وقال ابن عبد ربه (٥) المتوفى سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م في العقد الغريد وفيه (أي المسجد الأقصى) سبعون مصحفاً .

وهناك نص ثالث عن خزائن المسجد الأقصى كتب بعد هذه الفترة التي نتحدث عنها ، وقد أورده محمد بن علي بن ميسر (٦) سنة ٦٧٧هـ في تاريخه إذ يقول : "إن الإفرنج حاصروا بيت المقدس في رجب سنة ٤٢٩هـ / ١٠٩٩م ... فهدموا المساجد ... وأحرقوا المصاحف .

ويعتقد العسلي (٧) أن بقية من المصاحف القديمة ما تزال موجودة حتى اليوم في مكتبة المتحف الإسلامي بالقدس التي تضم أكثر من ٦٥٠ مصحفاً تاريخياً كتب معظمها بين القرن الثالث والقرن الثاني عشر للهجرة من بينها نصف مصحف قديم مكتوب على رق بخط كوفي كتب عليه : "كتبه محمد بن الحسن بن الحسين بن بنت رسول الله" .

وللأسف الشديد لم تصلنا المخطوطات الأصلية لما ألف قبل القرن السابع للهجرة ، وذلك أن الحروب الكثيرة، والفتن الأهلية ، والحرائق والزلازل ، وعوامل الطبيعة الأخرى ، إضافة إلى غارات السلاجقة والحروب الصليبية قد أتلفت هذه المخطوطات .

*** مكتبات العصر الأيوبي والمملوكي والعثماني في القدس :**

يمكن القول أنه ابتداءً من أواخر القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) بدأت تتضح ملامح جديدة لحركة الكتب والمكتبات في فلسطين بشكل عام وفي مدينة القدس بشكل خاص . ذلك أن العصر الأيوبي والعصر المملوكي وبدايات العصر العثماني كانت عصور نهضة علمية وبالتالي نهضة مكتبية تمثلت في مظاهر حضارية متعددة أهمها :

- بناء المساجد والجوامع .
- إنشاء المدارس المختلفة .
- انتشار بيوت الصوفية من خوانق ورباطات وزوايا.
- ازدهار معاهد العلم .
- كثرة التأليف ورواج الكتب .
- إنشاء المكتبات المختلفة والتي من أهمها :

أ - مكتبات المدارس والزوايا :

لقد وصل عدد المدارس وبيوت الصوفية في مختلف أنحاء فلسطين عدة مئات ، وكان منها في القدس وحدها أكثر من سبعين مدرسة ، بالإضافة إلى عشرات الزوايا والرباطات والخوانق (٨) وكان في هذه المدارس والزوايا مكتبات . وهناك عدد من النصوص تؤكد ذلك . ومن أشهر مكتبات المدارس والزوايا في مدينة القدس في هذه الفترة:

- مكتبة المدرسة (الزاوية) النصرية في ساحة الحرم الشريف ، أنشأها الشيخ نصر إبراهيم المقدسي في أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

- مكتبة المدرسة (الخانقاه) الفخرية التي وقفها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله المتوفى سنة (١٣٣١م) . وكانت هذه المكتبة غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية التي وصل عددها عشرة آلاف مجلد .

- وكان في المدرسة الأمينية برواق الحرم المقدسي

الشمالي غرفة مخصصة للكتب تدعى (الكتبية) .

– مكتبة المدرسة البلدية وهي مكتبة الشيخ محمد بن محمد الخليلي مفتي السادات الشافعية ، وهي مكتبة هامة.

– خزائن كتب المدرسة الأشرفية السلطانية .

– خزائن كتب المدرسة الغادرية .

– ومن الزوايا التي لا تزال بها مكتبة حتى اليوم الزاوية البخارية (النقشبندية) .

ب – مكتبات المساجد والجوامع :

على الرغم من انتشار خزائن الكتب في مساجد القدس وجوامعها في العصر الأيوبي والمملوكي والعصر العثماني ، إلا أنه يمكن القول إن أهم تلك الخزائن كانت خزائن المسجد الأقصى فقد كان المسجد الأقصى كغيره من المساجد الإسلامية الكبيرة ولا يمكن للمسجد أن يكون مركزاً علمياً دون وجود المخطوطات والكتب والمكتبات .

وقد بدأت خزائن المسجد الأقصى تضم بوجه خاص أمهات الكتب وخاصة القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف والتفاسير والفقه وغيرها من الكتب الدينية ، ثم تطورت هذه الخزائن مع مرور الزمن لتضم آلاف المخطوطات والكتب في العلوم الأخرى مثل علوم العربية والحساب والمنطق والتاريخ إضافة إلى مؤلفات الذين عملوا في المسجد الأقصى عبر العصور المختلفة .

وعندما حرر صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس أعاد حال الصخرة المشرفة كما كانت عليه قبل الحروب الصليبية وعين لها أماماً حسن القراءة ، ووقف عليها الأوقاف، وحمل إليها مصاحف وختمات وربعات شريفة[9]، وبشكل عام ، كانت المصاحف الشريفة أهم الكتب التي كان يقفها السلاطين والأمراء على مكتبات المساجد في القدس . كذلك كان الكثير من العلماء يحرصون على إرسال نسخة من مؤلفاتهم إلى خزائن المسجد الأقصى .

ويقول العسلي [10] : إن خزائن الكتب في الحرم المقدسي الشريف كانت موزعة بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وأنه كان في كل منهما خزائن خاصة للكتب .

ويدلنا على ذلك أنه كان لكل من المسجد الأقصى وقبة الصخرة خزنة للكتب أو أمناء خاصون . ويذكر السخاوي من هؤلاء شمس الدين محمد بن أحمد بن حبيب الغانمي المقدسي الذي كان خازن الكتب في المسجد الأقصى في أواسط القرن التاسع الهجري . وممن تولى أمانة الكتب في الصخرة المشرفة في القرن الحادي عشر الهجري الشيخ بشير الخليل .

الجدير بالذكر أنه كان هناك مكتبات كثيرة في مساجد فلسطين وجوامعها بشكل عام ومدينة القدس بشكل خاص، ولكن الوثائق والمعلومات الخاصة بهذه المكتبات قليلة ونادرة .

جـ – المكتبات الخاصة :

تشير المصادر المختلفة وخاصة سجلات المحاكم الشرعية في القدس ، أنه كان هناك الكثير من المكتبات الخاصة في المدينة المقدسة خلال الفترة المملوكية والعثمانية . ويبدو أن وجود الكتب والمخطوطات في بيوت العلماء ورجال الدين وحتى العامة من الناس كان أمراً شائعاً في تلك الفترة . وقد أشارت المصادر المختلفة إلى أسماء عدد كبير من علماء القدس الذين كانت لهم مكتبات خاصة ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر :

* مكتبة الشيخ برهان الدين بن جماعة خطيب المسجد الأقصى ومدرس المدرسة الصلاحية (١٣٢٤ – ١٣٨٨م) ، وكانت مكتبة نفيسة .

* مكتبة الشيخ أحمد بن بدير القدسي المتوفى سنة ١٨٠٥م، وكان من علماء القدس الكبار ، وقف مكتبته المعروفة باسم مكتبة البديري وكانت تضم ألف مخطوط .

* مكتبة الشيخ أحمد بن محمد الشهير بالموقت ، وكان مفتي الحنفية ومدرساً في المسجد الأقصى، توفي سنة ١٧٦٧م .

* مكتبة حسن بن عبداللطيف الحسيني ، مفتي القدس في القرن الثالث عشر الهجري (توفي سنة ١٨١١م)، وكانت مكتبة حافلة حوت كتباً في موضوعات

مختلفة من بينها الطب والبيطرة فضلاً عن الموضوعات الدينية والأدبية.

* مكتبة محمد صنع الله الخالدي الذي كان رئيس كتاب المحكمة الشرعية بالقدس ، وتوفي سنة ١٧٢٧م وقد وقفها على أولاده الذكور وأحفاده .

* مكتبة الشيخ إمت خليفة بن إبراهيم ، من علماء القرن العاشر، وقد وقف مكتبة على نفسه ثم على أولاده، فإذا انقرضوا آلت الكتب إلى مكتبة المدرسة الأرغونية في القدس .

* مكتبة الشيخ محب الدين محمد بن الدويك قاضي القدس .

* مكتبة الشيخ عبدالله بن النقرزان من علماء القرن العاشر الهجري .

* مكتبة الشيخ محمد أفندي زادة مفتي القدس في القرن الثالث عشر الهجري .

* مكتبة الشيخ عبدالمعطي الخليلي ، مفتي الشافعية في القدس ، ومن علماء المسجد الأقصى، توفي عام ١٧٤١م .

* مكتبة الشيخ محمد بن محمد الخليلي مفتي الشافعية بالقدس ومن شيوخ الطريقة الصوفية القادرية في القدس ، وكان مقرها المدرسة البلدية .

* مكتبة الشيخ يحيى شرف الدين بن محمد الشهير بابن قاضي الصلت ، إمام المسجد الأقصى المبارك (توفي عام ١٦٣٠م) . وكانت غنية بكتب الفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو .

ملاحظات حول مكتبات القدس في الفترة المملوكية والعثمانية :

١ - كان يطلق على مكتبات القدس ، كما هو الحال في البلاد العربية والإسلامية ، اسم (خزائن) ، ذلك أن الكتب الموضوعة في الخزائن كانت تشكل المكتبة . ولم يكن هناك قاعات للقراءة والمطالعة والبحث .

٢ - كانت الخزائن تصنع من الخشب غالباً وكانت لها أقفال ومفاتيح تحفظ بيد خازن الكتب .

٣ - كانت الكتب ترتب على رفوف الخزائن فوق بعضها البعض (الصغير فوق الكبير)، بشكل أفقي وليس عمودياً كما هو شائع حالياً بحيث إذا أراد أحدهم استخراج كتاب ما ، اضطر إلى تنزيل ما فوقه من الكتب ، ويستثنى من ذلك صناديق الربعة الشريفة التي كانت توضع فيها أجزاء القرآن الكريم .

٤ - وكانت الكتب ترتب حسب الموضوعات ، وكانت المصاحف توضع على رأس هذه الموضوعات ، تليها كتب التفاسير ، ثم الحديث الشريف والسيرة النبوية، ثم كتب الفقه، ثم كتب الأصول والتوحيد والتصوف والقراءات والفرائض، أي الموضوعات الدينية أولاً، وتليها كتب اللغة والأدب ، ثم كتب العلوم والحساب والمنطق والطب ، ثم الموضوعات الأخرى . وهكذا كان ترتيب المكتبة [11] .

٥ - كانت فهارس المكتبات ترتب في مجلد واحد أو أكثر حسب موضوعات المكتبة .

٦ - بالنسبة للاستعارة ؛ فإن الأصل فيها أن تتم حسب شروط الواقف ، وفي أغلب الأحيان كان يسمح بالاستعارة الداخلية للكتب ، ولا يسمح بالاستعارة الخارجية وذلك لحفظ الكتب وصيانتها .

٧ - كان يعمل في المكتبة أمين المكتبة (أمين الكتب) أو الخازن (خازن الكتب) أو ناظر الوقف أو المتولي ، وإلى جانبهم المناولون والمساعدون والنساخ .

٨ - كانت صناعة النسخ رائجة وأجورها جيدة ، ولذلك كانت الكتب غالية الثمن .

٩ - لقد ضاع قسم كبير من كتب هذه الفترة ومخطوطاتها، وتلف قسم آخر ، وسرق قسم ثالث أو بيع بأبخس الأثمان ، كما تضافرت النكبات والزلازل والجهل والحروب فضاع قسم آخر ، يضاف إلى كله ما أخذه الغربيون من كتب ومخطوطات إلى مكتباتهم في أوربا وأمريكا بطرق مختلفة .

*** مكتبات القدس منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى اليوم :**

لقد توالت على مدينة القدس منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى اليوم أربعة عهود مختلفة هي :

١ - القسم الأخير من العهد العثماني الذي انتهى عام ١٩١٧م :

وقد شهدت هذه الفترة ظروفاً متغيرة ، فقد تعاظم التغلغل الاستعماري، واتخذ أشكالاً مختلفة (سياسية واقتصادية وثقافية) . ومن جهة أخرى قامت في الدولة العثمانية محاولات إصلاح في مختلف المجالات ومنها مجال الثقافة والتعليم . تؤسس في القدس مدارس تابعة للدول لتحل محل المدارس الدينية القديمة .

وفي هذه الفترة من تاريخ القدس أخذت الإرساليات الأجنبية البريطانية والفرنسية والألمانية والروسية وغيرها من الإرساليات تنشئ المدارس في مدينة القدس . كما أخذ علماء الآثار يدرسون آثار فلسطين والقدس وينشئون معاهد أثرية ومكتبات تابعة لهذه المعاهد . وقد دخلت المطابع الحديثة فلسطين لأول مرة في هذه الفترة ، فقد أسس الآباء الفرنسيون (الفرنسيسكان) مطبعتهم عام ١٨٤٧م ، وأسس الروم الأرثوذكس مطبعتهم سنة ١٨٥١م. كما بدأت الصحف تظهر في مدينة القدس وخاصة بعد الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨م .

وفي هذه المرحلة من تاريخ القدس ازدادت الاتصالات الثقافية بين فلسطين وأوروبا ، وظهر أوائل المقدسيين الذين تلقوا العلم في المعاهد الأوروبية ومنهم يوسف ضيا باشا الخالدي ، وروحي الخالدي وغيرهم .

وقد كان لمجمل هذه المتغيرات الثقافية في مدينة القدس الأثر الكبير في مجال الكتب والمكتبات . فقد تم فتح مكتبات جديدة من جهة ، كما تم إعادة تنظيم المكتبات القديمة من جهة ثانية . ومن أشهر مكتبات هذه الفترة .

- المكتبة الخالدية (١٩٠٠م) .
- مكتبة الجمعية الروسية الأرثوذكسية .
- مكتبة المعهد الإنجيلي الألماني لدراسة آثار فلسطين (١٩٠٢م) .
- مكتبة المعهد الكتابي والآثاري الدومينيكاني (١٩٠٠م) .
- مكتبة المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية (١٩٠١م) .
- مكتبة المعهد الكتابي الفرانسيسكاني (١٩٠١م) .

ومن المكتبات التي أعيد تنظيمها ووضعت فهارس لبعض محتوياتها في هذه الفترة من تاريخ القدس مكتبة البطريركية الأرثوذكسية (دير الروم) التي تأسست عام ١٨٦٥م، ومكتبة المخلص التي تأسست عام ١٥٥٨م .

٢ - الحكم البريطاني لمدينة القدس (١٩١٧ - ١٩٤٨م):

لقد عمل الحكم البريطاني على قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين ، ولهذا أعطى الإنجليز شؤون تعليم اليهود إلى الوكالة اليهودية ، بينما أبقوا شؤون تعليم الفلسطينيين في أيديهم . وقد قصر الإنجليز تقصيراً شديداً في فتح المدارس في فلسطين وخاصة في القرى والريف ، حتى أنه لم يكن في فلسطين قبل نهاية الانتداب البريطاني سوى ٣ مدارس ثانوية كاملة هي : دار المعلمين (الكلية العربية) ، ودار المعلمات ، والمدرسة الرشيدية ، وجميعها في مدينة القدس .

وقد ظهر التقصير واضحاً في مجال المكتبات المدرسية كما ظهر في سائر مجالات الخدمة المكتبة وخاصة المكتبات العامة . ولم تعط إدارة المعارف أي اهتمام واضح للمكتبات المدرسية . ففي العشرينات ظلت معظم المدارس بدون مكتبات وكانت عملية إنشاء المكتبات المدرسية تسير بشكل بطيء لعدم رصد ميزانية لهذا الغرض . وكانت الكتب تشترى من تبرعات التلاميذ أو من الهدايا التي تقدم من المحسنين . ولم يكن هناك غرف مخصصة للمكتبة في المدرسة ؛ بل كانت هناك خزائن لحفظ الكتب ، يشرف عليها معلمون حيث لم يكن هناك مكتبيون مدربون ، ولهذا غابت الفهرسة والتصنيف عن هذه الكتب .

يقول العسلي : حتى نهاية فترة الانتداب البريطاني كانت المكتبات المدرسية في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية فقيرة، فقد كان متوسط عدد الكتب في المدرسة الابتدائية الكاملة ٦٠٠ كتاب ، وفي المدرسة الثانوية ١٢٠٠ كتاب وكانت أكبر المكتبات الأكاديمية الرسمية مكتبة الكلية العربية في القدس التي ضمت ٧١٢٢ كتاباً عام ١٩٤٦م .

أما المكتبات العامة سواء الحكومية منها أو التابعة لأية جهة أخرى فلم تفتح منها مكتبة واحدة في القدس زمن الانتداب البريطاني، وذلك لحرص سلطات الانتداب البريطاني المتعمد على تجهيل الشعب الفلسطيني .

ونتيجة لهذا الواقع الصعب للمكتبات في مدينة القدس، فقد حاولت مؤسسات غير رسمية أن تسد جزءاً من الفراغ في هذا المجال وقد نشطت النوادي والجمعيات وكان لبعضها نشاطات ثقافية ومكتبات خاصة ومن أهمها في القدس :

- مكتبة المركز الثقافي الفرنسي (١٩٣٧م) .
- مكتبة المجلس الثقافي البريطاني (١٩٤٤م) .
- مكتبة جمعية الشبان المسيحية (١٩٣٣م) .

وقد أنشئت خلال الانتداب البريطاني على فلسطين مكتبات متخصصة تابعة للدوائر الحكومية مثل :

- مكتبة دائرة الزراعة (١٩٢٠م) .
- مكتبة دائرة المعارف (١٩٢٠م) .
- مكتبة متحف الآثار الفلسطيني (١٩٣٥م) .
- مكتبة دائرة الإحصاءات (١٩٣٦م) .
- مكتبة دار الإذاعة (١٩٣٦م) .
- مكتبة دائرة المطبوعات (١٩٤٤م) .

أما أهم هذه المكتبات الرسمية المتخصصة فقد كانت مكتبة متحف الآثار الفلسطيني في القدس التي تأسست عام ١٩٣٥م، في العام نفسه الذي تم فيه بناء المتحف الذي أنشيء بتبرع من الثري الأمريكي (جون روكفلر) . وتشغل المكتبة جانباً مهماً من المتحف وتتألف من طابقين . يضم الطابق السفلي الكتب المرتبة على رفوف معدنية حديثة، أما الطابق العلوي فيحتوي غرفة للمطالعة و يضم المراجع والدوريات والفهارس . وكانت المكتبة تضم أيام الانتداب البريطاني أكثر من ١٧ ألف كتاب بلغات مختلفة غالبيتها في مجال التاريخ والآثار، ومن بينها كتب ومخطوطات نادرة أهمها مخطوطات البحر الميت . وكانت المكتبة مصنفة ولها فهارس للمؤلفين والموضوعات . وقد استولت السلطات الإسرائيلية على المكتبة عام ١٩٦٧م .

ومن المكتبات المتخصصة التي أنشئت أيام الانتداب البريطاني في القدس : مكتبة غولنبكيان في دير الأرمن (١٩٢٩م) ، ومكتبة الآثار البريطانية (١٩٢٠م)، ومكتبة الآباء اليسوعيين (١٩٢٨م) . ومن أشهر المكتبات الخاصة في القدس في زمن الانتداب البريطاني : مكتبة حسن صدقي الدجاني (١٩٣٨م)، مكتبة خليل الخالدي (١٩٤١م)، ومكتبة عبدالله مخلص (١٩٤٧م)، ومكتبة إسعاف النشاشيبي (١٩٤٨م)، ومكتبة خليل السكاكيني، ومكتبة أحمد سامح الخالدي، ومكتبة إسحق الحسيني ، ومكتبة عارف العارف . ومن مكتبات العائلات : مكتبة الخالدية والبديرية وآل الخطيب وآل جارالله وقطينة وأبي السعود والفتياني وغيرها .

٣ - مكتبات القدس خلال الحكم الأردني (١٩٤٨ - ١٩٦٧م) .

بعد حرب ١٩٤٨م أصبحت مدينة القدس (الشرقية) والضفة الغربية بشكل عام تحت إشراف الأردن . وقد كانت الظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بالمنطقة صعبة للغاية ومع ذلك فقد فتحت المدارس والمؤسسات العامة ، وتم تطوير المكتبات ولكن في نطاق ضيق .

وقد ساهم تأسيس قسم المكتبات المدرسية في وزارة التربية والتعليم الأردنية عام ١٩٥٨م في إدخال بعض التحسينات على مكتبات المدارس من خلال :

أ - تزويدها بالكتب وغيرها من المواد المكتبية .

ب - تنظيم دورات تدريبية للعاملين فيها .

ج - إدخال نظام المكتبات المتنقلة .

وقد كان وضع المكتبات المدرسية الثانوية خلال هذه الفترة أفضل بكثير من وضع المكتبات في المدارس الإعدادية والابتدائية التي كان معظمها بدون غرف خاصة وبدون أمناء مكتبات متفرغين . كما كان الكثير من المدارس الابتدائية في تلك الفترة بدون مكتبات مدرسية .

أما التطور الجديد في مجال المكتبات والذي حدث خلال هذه الفترة في مدينة القدس فهو تأسيس المكتبة العامة عام ١٩٦٤م . وتسمى حالياً مكتبة القدس المركزية وتشرف عليها بلدية القدس وفيها أكثر من ٥٠ ألف كتاب ، وهي مفهرسة ومصنفة وتقدم الخدمات التقليدية للمكتبات العامة ويعمل بها ٤ موظفين .

وفي عام ١٩٦٣م تم تأسيس جمعية المكتبات الأردنية والتي لعبت دوراً مهماً في تطوير المكتبات والمكتبيين في الضفة الشرقية والغربية من خلال فتح فروع لها في الضفتين ونشر الأدب المكتبي وعقد الدورات التدريبية للعاملين في المكتبات المختلفة (١٢) .

والجدير بالذكر أن في مدينة القدس عدداً كبيراً من المكتبات الخاصة بالأسر والعائلات والتي من أشهرها : المكتبة الفخرية ، مكتبة الشيخ خليل الخالدي ، مكتبة آل البديري (أسسها محمد أفندي البديري)، مكتبة آل قطيفة، مكتبة آل المؤقت ، ومكتبة عبدالله مخلص .

*** مكتبات الكنائس والأديرة في مدينة القدس :**

لقد نشأت أوائل المكتبات المسيحية من خلال جمع مجموعة من الكتابات المسيحية في الكنائس منذ العهد الذي تلا عهد الحواريين ، ذلك أن رغبة أوائل المسيحيين في جمع أقوال السيد المسيح وأقوال الحواريين ، ورسائل الرسل وأوائل الأناجيل وحفظها في مكان أمين وتعليمها للأجيال اللاحقة ، كل ذلك أدى إلى تأسيس مكتبات ألحقت بالكنائس فقد أسس الأسقف إسكندر مكتبة مهمة في القدس قبل سنة ٢٥٠م . وفي الوقت نفسه أسس زوريجين وبامفيلوس مكتبة مهمة في قيسارية في فلسطين (١٣) .

وتنتشر المكتبات في كنائس مدينة القدس وأديرتها بشكل واسع هذه الأيام وقد قامت كوسا وزميلتها روك (١٤) برصد مكتبات الكنائس والأديرة التي يزيد عدد مجموعتها عن ٣ آلاف مجلد على النحو التالي :

١ - مكتبة جولبنكيان في دير الأرمن (دير مار يعقوب) (١٩٢٩م) .

٢ - مكتبة المجمع العلمي الأثري البروتستانتي (١٨٩٠م) .

٣ - مكتبة معهد الطنطور للدراسات اللاهوتية (١٩٧١م) .

٤ - مكتبة الفرنسيسكان في دير اللاتين (١٥٦١م) .

٥ - مكتبة كنيسة القدسية آن (١٨٨٢م) .

٦ - مكتبة البعثة البابوية (١٩٦٠م) .

٧ - مكتبة بطريركية اللاتين (١٨٤٨م) .

٨ - مكتبة Studium Biblicum Fransiscanum (١٩٢٧م) .

٩ - مكتبة بطريركية الروم الأرثوذكس (١٨٠٠م) .

١٠- مكتبة بطريركية الروم الكاثوليك (١٨٩٠م) .

١١- مكتبة القديس المخلص في دير اللاتين (دير الإفرنج) (١٥٥٨م) .

*** الانتهاكات الإسرائيلية للكتب والمكتبات في مدينة القدس (١٩٦٧م - حتى الآن) :**

عندما احتلت القوات الإسرائيلية مدينة القدس عام ١٩٦٧م ، كان فيها ٥٠ مكتبة مختلفة تضم أكثر من ١٠٠ ألف كتاب ، وأكثر من ٥٠٠ ألف وثيقة ومخطوط وسجل (١٥)، ومنذ ذلك العام (١٩٦٧م) والقدس تتعرض إلى إجراءات وانتهاكات إسرائيلية بالغة الخطورة هدفها الرئيسي تهويد القدس . ومن مظاهر الانتهاكات الإسرائيلية في مجال الكتب والمكتبات كما رصدها البديري (١٦) :

١ - مصادرة مكتبة القدس العامة ، حيث قامت السلطات الإسرائيلية مباشرة بعد الاحتلال بمصادرة هذه المكتبة بكل محتوياتها من الكتب والدوريات ، ونقلت

ملكيتها وإداراتها من بلدية القدس العربية إلى ما يسمى ببلدية القدس الموحدة . كما قامت في الوقت نفسه بمصادرة عدد من الكتب والدوريات الموجودة في المكتبة واعتبرتها ممنوعة ونقلتها إلى مكان مجهول. كما حددت نوعية الكتب والدوريات المسموح بإدخالها إلى هذه المكتبة .

٢ – حظرت سلطات الاحتلال استيراد العديد من الكتب وتوزيعها ومنعت تداولها في أسواق ومكتبات القدس، ولم يقتصر الحظر على الكتب السياسية والكتب الخاصة بفلسطين والقضية الفلسطينية، بل امتد ليشمل بعض كتب التاريخ والتراجم والأدب وخاصة الشعر .

٣ – فرضت سلطات الاحتلال رقابة صارمة على طباعة الكتب العربية ونشرها في القدس حيث أصدرت أوامر عسكرية بضرورة مرور أي مطبوع على دائرة الرقيب العسكري الإسرائيلي للاطلاع واتخاذ قرار بشأن السماح بالنشر، وقد أدى ذلك إلى انخفاض كبير وملموس في حركة التأليف والنشر في مدينة القدس التي تراجعت إلى الوراء .

٤ – منع المكتبات في القدس الشرقية (العربية) من اقتناء كل ما تقتنيه المكتبات في القدس الغربية وتداوله . على سبيل المثال كانت الكتب الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الأبحاث الفلسطيني موجودة في مكتبات الجامعات والمعاهد الإسرائيلية ، ولكنها منعت في مكتبات القدس العربية .

٥ – قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بإغلاق العديد من المؤسسات الثقافية في القدس العربية. فقد قامت بإغلاق جمعية الدراسات العربية لمدة ٤ سنوات ومصادرة العديد من الكتب والوثائق ، مما أدى إلى إلحاق أضرار بالغة في مكتبة الجمعية وأرشيفها . كما تم إغلاق اتحاد الكتاب وغيره من المؤسسات الثقافية .

٦ – فرض الرقابة الصارمة على الصحف والدوريات الصادرة في القدس بدعوى الحفاظ على أمن الدولة ، حيث ألزمت سلطات الاحتلال جميع الصحف والمجلات بضرورة إرسال كافة موادها إلى الرقيب العسكري . وقد عانت صحف القدس من هذه الإجراءات كثيراً ، فقد كانت عملية الشطب والحذف تصل أحياناً إلى نصف حجم الصحيفة .

٧ – سحب تراخيص وإغلاق مؤقت ومنع توزيع العديد من الصحف والمجلات الصادرة في القدس وإغلاقها مؤقتاً ومنع توزيعها بدعوى أنها تشكل خطراً على الأمن الإسرائيلي . فقد سحبت سلطات الاحتلال تراخيص سبع صحف عربية منها على سبيل المثال : الشراع ، والعهد، والوحدة ، والدرب، والميثاق . كما قامت سلطات الاحتلال أحياناً كثيرة بمصادرة أعداد كاملة من الصحف والمجلات المطبوعة والمعدة للتوزيع إما من داخل المطابع ومراكز التوزيع ، أو عند مداخل مدينة القدس . كما منعت سلطات الاحتلال في أحيان كثيرة خروج الصحف والمجلات من مدينة القدس إلى الضفة الغربية وقطاع غزة .

٨ – الاستيلاء على وثائق وأوراق ومستندات وسجلات المحكمة الشرعية بالقدس وأوراقها ومستنداتها وسجلاتها، وتحتوي هذه المحكمة على وثائق ومعلومات على جانب كبير من الأهمية لأنها تخص حياة المسلمين في القدس منذ عام ١٥١٧م .

٩ – اتباع سياسة الاعتقال والإبعاد وفرض الإقامة الجبرية ومنع السفر بحق العشرات من الكتاب والصحفيين والباحثين والأدباء والفنانين والمثقفين من أبناء القدس وخاصة الذين نشطوا في الدفاع عن عروبة المدينة المقدسة.

١٠– إغلاق القدس ومنع الدخول إليها وعزلها عن الضفة الغربية وقطاع غزة ، مما أدى إلى حرمان أساتذة الجامعات والباحثين والدارسين والطلبة من الوصول إلى مراكز الأبحاث والمكتبات في المدينة للاستفادة

من الكتب والمراجع الموجودة فيها .

ويقول العسلي [١٧] في مجال الانتهاكات الإسرائيلية للكتب والمكتبات في مدينة القدس :

* هناك مكتبات دمرت جزئياً أو كلياً من جراء العمليات العسكرية ، ومن تلك المكتبات مكتبة عبدالله مخلص التي خبأها في دير القربان في القدس ، فدمرت عندما نسف الإسرائيليون الدير، وضاعت تحت الأنقاض (ويقال إن الإسرائيليين نهبوها قبل النسف) .
* منع استيراد الكتب ومنع تداولها في المكتبات ونشرها . وقد شمل هذا الإجراء (٥٤١٠) كتب منع تداولها منذ عام ١٩٦٧م وحتى مطلع ١٩٨٥م وتأتي في مقدمة هذه الكتب تلك التي تتحدث عن الإسلام والقضايا العربية والقضية الفلسطينية . وتهدف سلطات الاحتلال من وراء ذلك إلى محاربة الوعي القومي وقطع الصلة بين المواطن العربي الفلسطيني وتراثه وتاريخه .
* إحراق محتويات مخازن شركة التوزيع الإردنية في القدس عام ١٩٨٣م .
* بسبب القيود الشديدة المفروضة على النشر فقد تقلص عدد دور النشر في الضفة الغربية من ٢٣ داراً إلى ٤ دور ، ثلاث منها في مدينة القدس .
* لم تسمح سلطات الاحتلال بإنشاء مكتبات عامة في القدس .

وفي بحث حول الانتهاكات الإسرائيلية للكتاب والمكتبات في فلسطين من واقع الأوامر العسكرية الإسرائيلية يقول طوقان [١٨] مدير مكتبة بلدية نابلس العامة ورئيس جمعية المكتبات والمعلومات الفلسطينية : دأبت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م على فرض قيود صارمة على الحياة الثقافية والفكرية في فلسطين ... حيث عمدت إلى مراقبة حاجات القادمين والغادرين الشخصية وخاصة الكتب التي كانوا يحملونها، حيث كانت تصادر العديد من هذه الكتب بذريعة الأمن .

وقد لعبت هذه القيود دوراً مركزياً في إعاقة نمو المكتبات العامة والمدرسية التي ألزمت بالقوة على سحب الكتب الممنوعة من على رفوفها وتسليمها إلى الإدارة العسكرية . كل ذلك أوجد فراغاً كبيراً في الحياة الثقافية وأسهم في عزلها عن العالم الخارجي . وقد بلغ عدد الكتب التي تمت مصادرها من المواطنين بين عامي ١٩٦٧- ١٩٩٠م وتعود ملكيتها إلى مكتبة بلدية نابلس العامة (٦٥٠٠) كتاباً . وقد حاول الباحث استعراض بعض النماذج من الكتب الممنوعة ليجد أن الأسباب واهية مثل استخدام كلمة فلسطين على الخارطة بدل إسرائيل ، أو ورود كلمة الكيان الصهيوني في الكتاب ، أو عبارة في ديوان شعر أو رواية تشير إلى ممارسات إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني ، أو منع كتب مؤلف معين مثل محمود درويش وغيره .

الجدير بالذكر أنه مع كل هذه الممارسات الإسرائيلية ضد المكتبات في المدينة المقدسة ، فقد تم إنشاء العديد منها في مرحلة الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين في مدينة القدس أو ضواحيها ومن أشهر هذه المكتبات [١٩] :

- مكتبة جمعية الدراسات العربية (١٩٨٠م) .
- مكتبة قسم إحياء التراث الإسلامي (١٩٨٣م) .
- مكتبة جامعة القدس (١٩٨٤م) وتضم :
  ١ - مكتبة كلية الدعوة وأصول الدين .
  ٢ - مكتبة كلية العلوم والتكنولوجيا .
  ٣ - مكتبة كلية الآداب المختلطة .
- مكتبة مركز مصادر الطفولة المبكرة (١٩٨٥م) .
- مكتبة المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف (١٩٨٥م) .
- مكتبة مركز الأبحاث الإسلامية (١٩٨٦م) .
- مكتبة الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية (١٩٨٧م) .
- مكتبة مركز الدراسات النسوية (١٩٨٩م) .
- مكتبة مركز العمل التنموي (معاً) (١٩٨٩م) .
- مكتبة المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات البديلة بانوراما (١٩٩٢م) .

- مكتبة مركز الأرشيف الفلسطيني (١٩٩٩م) .

وبشكل عام تواجه المكتبات في مدينة القدس مجموعة من المشكلات التقليدية التي تواجه المكتبات في معظم المدن العربية والإسلامية والتي تتلخص في النقاط التالية :

١ - الفقر في المقتنيات والمصادر في شكلها التقليدي (المواد المطبوعة) بشكل عام وفي شكلها غير التقليدي (المواد السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمية والمصادر الإلكترونية) بشكل خاص .

٢ - الغياب الواضح للكادر البشري المتخصص والمدرب والمؤهل في علوم المكتبات والتوثيق والمعلومات .

٣ - فقر الميزانية والمخصصات المالية وغياب الدعم المادي المناسب .

٤ - غياب التنسيق والتعاون والقواعد والنظم والتشريعات والمعايير المكتبية .

٥ - ضيق المباني المخصصة للمكتبات والنقص الواضح في الأثاث والأجهزة اللازمة .

٦ - غياب تكنولوجيا المعلومات المتطورة عن معظم هذه المكتبات .

الهوامش

١ - انظر : ربحي مصطفى عليان . المكتبات في الحضارة الإسلامية . عمان : دار صفاء ، ١٩٩٩م .

٢ - كامل العسلي : المكتبات في فلسطين . الموسوعة الفلسطينية : القسم الثاني : بيروت : الموسوعة ، ١٩٩٠م - مجلد٣ ، ص٢٨٤ .

٣ - يعتقد الباحث أن هذا التعميم ينطبق على المكتبات العربية الإسلامية فقط، حيث ظهرت المكتبات في كنائس القدس وأديرتها منذ بداية العصر الروماني .

٤ - ابن الفقيه ، أحمد بن إسحق بن إبراهيم الهمذاني . كتاب البلدان، ص١٠٠ .

٥ - ابن عبد ربه . العقد الفريد .- ج٣، ص٦١ .

٦ - فيليب دي طرازي . خزائن الكتب العربية في الخافقين. مجلد ٣ ، ص١٠٣ .

٧ - كامل العسلي . مصدر سابق، ص٢٨٥ .

٨ - المصدر نفسه ، ص٢٨٦ .

٩ - مجير الدين الحنبلي . الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل .- ج١، ص٣٣٩ .

١٠- كامل العسلي . مصدر سابق ، ص٢٨٨ .

١١ - المصدر نفسه . ص٢٩١ .

١٢- انظر : الأعداد المختلفة لمجلة (رسالة المكتبة) التي تصدرها فصلياً عن جمعية المكتبات الأردنية منذ عام ١٩٦٥م .

١٣- محمد ماهر حمادة . المكتبات في العالم : تاريخها وتطورها . الرياض : دار العلوم ، ١٩٨١م، ص٩١ .

١٤- فيراكوسا وفاليزي روك . مكتبات الأديرة في منطقتي القدس وبيت لحم .- رسالة المكتبة .- مج٢٩، ع٣ (أيلول ١٩٩٤م) .- ص٦٥ - ٩٣ .

١٥- إسحق البديري . القدس بين التاريخ والسياسة والثقافة . ورقة بحث قدمت في المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات .- القاهرة : ١٢ - ١٦ / ٨/ ٢٠٠٠م ، ص٨ .

١٦- السابق ، ص ١٧ - ٢٠ .

١٧- كامل العسلي . مصدر سابق ، ص١٩٦ - ٢٩٧.

١٨- علي محمد واصف طوقان . الانتهاكات الإسرائيلية للكتاب والمكتبات في فلسطين من واقع الأوامر العسكرية . اللجنة الوطنية الفلسطينية لمقاطعة مؤتمر إفلا، ٢٠٠٠م .

١٩- دليل مراكز البحث الفلسطينية .- القدس : جمعية الدراسات العربية ، ١٩٩٤م .

تقنية المعلومات والتقنية التربوية

اتصال لا انفصال

فؤاد حمد رزق فرسوني

قسم علوم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

مقدمــة :

١ - خلفية :

تشهد الحقبة المعاصرة تطورات كمية ونوعية ما تني تتواصل في مجالات المعلومات والحوسبة والاتصالات والتربية.

أما بالنسبة للمعلومات فقد تنامت أعداد مخرجاتها وأنواعها وأشكالها ومصادر إنتاجها وطرائقه، وآليات معالجاتها وتنظيمها والبحث فيها واسترجاعها.

كما أُحرز تقدم واسع أيّما اتساع في الحوسبة والحواسيب خاصة الحواسيب الشخصية وإمكاناتها الكبيرة من حيث الاختزان والمعالجة والبحث والاسترجاع والطباعة.

وارتقت الاتصالات إلى درجة عظيمة في وسائلها وأدائها واستخدامها ونظمها وشبكاتها، التي حوّلت هذا العالم المترامي الأطراف إلى ما يشبه القرية الصغيرة المترابطة، وما وجود شبكة الاتصالات الدولية (الإنترنت)، والشبكة العنكبوتية الدولية (WWW) وخدماتها إلا مثال واضح على مدى الرقي الذي بلغته الاتصالات.

وتعاظمت الإنجازات في التربية والتعليم : مدخلات وعمليات وأجهزة ومخرجات.

وقد كان للتطورات الناجزة في المجالات المذكورة : المعلومات، والحوسبة، والاتصالات آثارها العميقة على المقار الاقتنائية للمعلومات وأنشطتها ومواردها، كما كان لها مثل هذه الآثار على المؤسسات التربوية وأنشطتها ومواردها.

ولا مشاحة أن ركاز تقدم الأمم المعاصرة متمثل في المقام الأول في إمكاناتها في مجالي المعلومات والتربية[1].

فالمعلومات متطلّب أساسي في عمليتي البحث والتطوير في شتى الميادين الثقافية والصناعية والزراعية والاجتماعية والتربوية[2] والدفاعية...، والإنسان عامل agent وهدف target في هاتين العمليتين، وللتربية بمؤسساتها ومواردها العديدة دور جوهري في العناية به وتنمية شخصيته من مختلف جوانبها الفكرية والنفسية والعاطفية والروحية والاجتماعية، وهذا الدور النُّشط يتسم بالتواصل والتطور لمواكبة المستجدات التي تطرأ، ومن هنا تبرز أهميته بوضوح في وقتنا الحاضر لإعداد الإنسان القادر على استيعاب تلك المستجدات، خاصة المستجدات في مجالات التطور آنفة الذكر، والتعامل معها بكفاية واقتدار لما فيه خيره وتلبية احتياجاته وتقدمه ، وفعالية دور التربية المومى إليه معتمدة على التجهيزات والموارد المتوافرة لها، وهناك قدر كبير من الارتباط والتداخل بين التجهيزات والموارد في مجال التربية من جهة، والتجهيزات والموارد في مجال المعلومات من جهة أخرى [3] ، وسوف يُحاول الوقوف على أهم أوجه ذينكما الارتباط والتداخل بينهما؛ وجرت المعالجة في مصادر كثيرة للتجهيزات والموارد في مجال المعلومات تحت الرائس : تقنية المعلومات [4] ؛ كما جرت المعالجة للتجهيزات والموارد في مجال التربية تحت

الرائس : التقنية التربوية أو التكنولوجيا التربوية ... إلخ .

٢ – موضوع الدراسة :

كما سبقت الإشارة، فإن الدراسة تتناول العلاقة بين تقنية المعلومات، والتقنية التربوية، وتتطرق لإشكالات المصطلحات والمفاهيم المتصلة بمبحثي التقنيتين ووظائفهما، والجوانب الاقتنائية والتنظيمية والاستخدامية لهما، مع اقتراح ما من شأنه تيسير التعامل معهما وتفعيله لما فيه مصلحة المؤسسة المعنية بهما كلتيهما أو بإحداهما، ومصلحة المستفيدين أيضًا.

٣ – أهداف الدراسة :

ترمي الدراسة إلى توضيح أدبيات الموضوع بجوانبه المهمة المطروحة، وبيان أبعاده المصطلحية والمفهومية، وجلاء أبعاده الوظيفية والاقتنائية والمؤسسية كذلك، مع تأكيد للبعد التنظيمي والاستخدامي لأوعية المعلومات السمعبصرية، وطرح الأسس لتعامل أكثر كفاية وفعالية معها.

٤ – منهجية المعالجة :

هذه الدراسة ذات طبيعة وصفية تحليلية للجوانب المختلفة من الموضوع المطروح، وحرص فيها على الرجوع إلى أفضل مصادره المتاحة وأحدثها من كتب ومراجع ومقالات دورية، واستفاد الباحث كثيرًا من مقتنيات مكتبة جامعة الملك سعود، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة معهد الإدارة العامة من المنفردات والدوريات في قراءاته في الموضوع.

٥ – تنظيم الدراسة :

ترتيبًا على ما سبق فإن الدراسة سوف تتكون من الأقسام التالية :

١ – مراجعة لأدبيات الموضوع المختار .

٢ – البعد المصطلحي والمفهومي للموضوع، ويشمل تناوله:

١/٢ مجال تقنية المعلومات.

٢/٢ مجال التقنية التربوية.

٣ – البعد الوظيفي للموضوع بين المعلوماتية، والأداتية التعليمية والتدريبية، ويشمل تناوله :

١/٣ إنتاج المعلومات واقتناؤها ومعالجتها واستخدامها للأغراض البحثية والمعرفية والحفظية.

٢/٣ إنتاج الأدوات وتوفيرها للأغراض التعليمية والتدريبية .

٤ – البعد الاقتنائي ، ويشمل :

١/٤ اقتناء التجهيزات وأوعية المعلومات وتشتت مقارّه.

٢/٤ اقتناء التجهيزات والموارد التربوية وتباين مقارّه.

٥ – البعد التنظيمي لمخرجات التقنية المبحوثة من أوعية المعلومات السمعبصرية، ويتناول القضايا التالية :

١/٥ تنظيم أوعية المعلومات السمعبصرية في المكتبات ومراكز المعلومات : ويشمل :

١/١/٥ الفهرسة.

٢/١/٥ التصنيف.

٢/٥ تنظيم الوسائل التربوية في مقارها الاقتنائية.

٦ – البعد الاستخدامي لأوعية المعلومات السمعبصرية .

وفيما يلي تناول موضح لفقرات الأقسام المذكورة :

١ – مراجعة لأدبيات الموضوع المختار :

هناك أرضية مشتركة بين تقنية المعلومات والتقنية التربوية على الرغم من تركيز أولهما على المعلومات وتركيز ثانيهما على التربية. وقد تطرقت مصادر وكتابات عدة للعلاقة بينهما ؛ حيث تناولها أحمد بدر في دراسته الموسومة بعنوان: "تكنولوجيا التعليم والمعلومات"، واستخدم لتقنية المعلومات والتقنية التربوية مصطلحًا موحدًا كما هو واضح في عنوان دراسته، بوصف المصطلح مهجنًا، وقد أوضح أن النقد يوجه لما سماه بتكنولوجيا التعليم لتركيزها على كيفية استخدامها كأدوات، وليس على تطويعها لخدمة المناهج والموضوعات

الدراسية وتنمية لإبداع والتفكير لدى الطلاب والباحثين، لكن تقنية عصر المعلومات المتقدمة تحمل إمكانات مستقبلية من شأنها الحد من أثر هذا النقد، وقد ناقش بدر المحاور الثلاثة التالية في دراسته: تطور تعريفات ما سماه بتكنولوجيا التعليم خلال القرن العشرين، وبعض تعريفات تقنية المعلومات، وتكامل التقنيتين السابقتين، وأثر تقنية عصر المعلومات على التربية واقتصاديات التعليم والبحث، والاهتمام المفرط بكيفية استخدام "تكنولوجيا التعليم" والدور المستشرف لتقنية عصر المعلومات في حل المشكلات وتنمية الإبداع[٥]. كما تناول كيرسلي (Kersley) الموضوع المبحوث، وانتقد الإفراط في التأكيد على "تكنولوجيا التعليم" لأنه يصرف عن التعليم الجيد الفعال، الذي يقتضي تحقيقه بحث سبل الإفادة من تقنيات المعلومات للوصول إلى حلول لمشكلات التعليم وبالتالي إلى تحسين التعلّم[٦].

وقدم مبارك سعد عبدالله سليمان دراسته: "أهم الأدبيات والمقارنات بما يخص المكتبات المدرسية"، وناقش العلاقة المطروحة في "الجانب الرابع" من دراسته عندما عقد "مقارنة بين مصادر التعلّم وتقنيات المعلومات الحديثة على مختلف الأصعدة العربية والدولية"، وقد أبرز فيها افتقار المكتبات المدرسية العربية إلى الأجهزة والمواد السمعية والبصرية والحواسيب التي عدّها مصادر تعليم، ومصادر معلومات أساسية، أو تقنيات معلومات في آن معاً .

وقد تطرق في مواضع أخر من دراسته إلى أهمية المهارات في التعامل مع التقنيات، وأثرها في استخدامها من جانب أمناء المكتبات المدرسية والطلاب[٧]؛ كما أوضح المساحات القياسية المطلوبة لاقتنائها من وجهة نظر موريس (Morris) وتراوحت بين ٣٠٠-٦٠٠ قدم مربع[٨].

وقد عرض صنهات العتيبي لهذه العلاقة في مقالته : «المعلومات والتعلم» المنشورة في أكتوبر سنة ١٩٩٧م في مجلة : **الإنترنت والحاسب**، من خلال طرحه لتطبيقات الإنترنت في حقل التعليم[٩].

وقد عكست مقالة : محمد فتحي عبدالهادي : الاستخدام التربوي والتعليمي للمكتبة المدرسية سنة ١٩٩٧م في **المجلة العربية للمعلومات**، الدور التربوي والمعلوماتي لتقنية المعلومات[١٠].

ودرس (سنايدر Snider) آثار تقنيات المعلومات والتعليم على أداء المدرسة النموذجية في عصر المعلومات الذي نعيش فيه، هذا العصر الذي يبرز الدور المهم للاتصالات وتقنيات المعلومات في تطوير التعليم[١١].

بينما بحث (ستول Stoll) في الإشكالات المتصلة بتكنولوجيا التعليم وتقنيات المعلومات التي تشمل التقنيات التي اجتلبتها جادّة المعلومات السريعة، وأشار إلى آثارها السلبية على فعّالية التعليم[١٢].

واشتمل **تصنيف ديوي العشري والكشاف العلاقي** على إشارات للعلاقة المبحوثة وأمثلة موضحة لبعض جوانبها في مواقع مختلفة في مجلديه الأول المخصص للمقدمة والجداول، والثاني المخصص لقوائم التصنيف، خاصة في الترميزة المحددة للمعالجات السمعبصرية في ٢٠٨ ٠- ، والمعالجات التربوية في ٠٧١- ، ثم طرق التدريس والتعلّم في ٣. ٣٧١[١٣]، وغيرها.

وقد تطرق محمد أمين مرغلاني في مقالته الموسومة بعنوان : تقنية المعلومات : دراسة مقارنة لمقرراتها... المنشورة سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م إلى العلاقة المبحوثة مع التأكيد لجانبها الدراسي[١٤].

ويذهب نبيل علي في تقويمه للتعليم العربي وأثر تقنيات المعلومات فيه إلى أن النقلة المجتمعية التي سوف تحدثها تقنيات المعلومات ما هي في جوهرها إلا نقلة تربوية في المقام الأول، وهي نقلة تبرز قيمة المعلومات كمصدر قوة متأثر بتنمية الموارد البشرية ومؤثر فيها

أيضًا، التنمية والتربية هاتان متداخلتان[١٥].

ونشر لفؤاد حمد فرسوني كتابه : **الوصف البيليوجرافي للمواد غير المطبوعة...** سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، وتضمنت معالجاته الإشارة إلى العلاقة المبحوثة في عرضه الموجز للتطورات التي أصابت المكتبات ومراكز المعلومات والوسائل المعينة والتدريبية[١٦].

وفي سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م نشر كتاب : **المواد غير المطبوعة في المكتبات الشاملة**، وهو من تأليف محمد فتحي عبدالهادي، وحسن محمد عبدالشافي، ويوفّر هذا الكتاب أكثر المعالجات ثراءً للعلاقة بين المواد السمعبصرية والوسائل التعليمية، والاستخدامات التربوية لهذه الوسائل ومزاياها بما توفره من عنصري الصوت والصورة، خاصة في باب الكتاب الموسوم بعنوان : "أهمية المواد غير المطبوعة في التعليم"؛ وأشار المؤلفان إلى استخدام مصطلح تكنولوجيا التعليم التي تعني التفاعل البشري مع المواد غير المطبوعة وأجهزتها، وفق تخطيط منظم للوصول إلى تحقيق أهداف تعليمية مبتغاة"[١٧]. ثم نشر لمحمد محمد الهادي كتابه : **تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها** سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م وقد اشتملت على ملحوظات مهمة مشتتة حول العلاقة المبحوثة، استهلها بطرح مرئياته حول تطوير التعليم والتنمية التي ينبغي أن تسبقها جهود مكثفة "لتطوير مراكز المعلومات والمكتبات عن طريق إدخال التكنولوجيا المتطورة في أعمالها"، وقيمة المعلومات وتقنياتها للتنمية الاجتماعية والتعليمية والثقافية[١٨]، أما وقائع : **ندوة التقنية الحديثة في تنظيم وإدارة المعلومات** المنعقدة بمعهد الإدارة العامة في الفترة من ٥ - ٦ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ فقد تطرق للتطبيقات والضرورات التدريبية المرتبطة بتقنية المعلومات واستخداماتها[١٩].

أما كتاب (كلير غينشا وميشال مينو) المترجم من الفرنسية إلى العربية والصادر سنة ١٩٨٧م بعنوان : **مدخل عام لعلوم وتقنيات المعلومات والتوثيق** ، فإنه قد تضمن إشارات مبثوثة في مواقع مختلفة فيه عن العلاقة المبحوثة ، وتميز بما ساقه من مصطلحات الموضوع المبحوث وتعريفاتها في باب : «تعريف بأهم أنوا ع الوثائق»[٢٠].

وقد حفل كتاب (ألس ماونت) المترجم عن الانجليزية والصادر سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م بعنوان : **المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات** بمعالجات مفيدة متصلة بالعلاقة المبحوثة لدى تناوله «للهيئات المهنية والتعليم المستمر»، و«للتعريفات»، و«مصادر المعلومات»، و«وسائل الاتصال» ، و«الأجهزة الخاصة»[٢١].

وقد تطرق شعبان عبدالعزيز خليفة في كتابه عن : **المصغرات الفيلمية في المكتبات ومراكز المعلومات** الذي ظهر سنة ١٩٨١م إلى العلاقة المبحوثة لدى تناوله استخدام المصغرات «في المجالات التعليمية» وفي «الحلول محل الشرائح الزجاجية»[٢٢].

وفي كتابه الذي اشترك في وضعه مع محمد عوض العايدي عن **الفهرسة الوصفية للمكتبات** : **المواد السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمي**، ونشر سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، قدم لنا تناولات متعددة ومفصلة وموضحة بالأمثلة متصلة بالعلاقة المبحوثة استهلت بدايتها في الحديث عن «أهمية المواد السمعية والبصرية» كمصادر معلومات، وكمعينات تعليمية، وأشير في تناول «المواد البصرية» إلى أثرها البالغ في تحصيل المعلومات، كما أشير في تناول «المواد السمعية» لتطبيقاتها المفيدة في تعليم المكفوفين[٢٣].

أما بالنسبة للمواد التي تناولت التقنيات التربوية والاتصالية ككتاب عبدالله عطار وإحسان كنسارة : **وسائل الاتصال التعليمية** فقد تداخلت معالجة الوسائل التعليمية فيه مع أوعية المعلومات السمعبصرية، خاصة في الفصل الرابع فما بعده[٢٤].

أما كتاب : **مفهوم الوسائل التعليمية والتكنولوجيا** الذي أصدره مصطفى حسني عبدالرحمن سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، فقد عرض للعلاقة المبحوثة في مستهل معالجته «لطبيعة الوسائل وتعريفها وحدودها في التعليم» عند التطرق لمجال استخدامها في التربية وعلم المكتبات[٢٥].

وقد أصدر لعلي عجوة وخمسة آخرين من زملائه المشاركين كتاب : **مقدمة في وسائل الاتصال** سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، وأكد الكتاب تناول الجانب الاتصالي للتقنيات المدروسة، خاصة عند بحث أنواع الاتصال وفنونه في «الإعلام» و«التعليم»، ووظائفه ومجالاته ووسائله [٢٦].

كما تداخلت معالجة وسائل التعليم والتعلم مع أوعية المعلومات السمعبصرية في كتاب بشير الكلوب : **استخدام الأجهزة في عملية التعليم والتعلم** المنشور سنة ١٩٨٧م[٢٧].

وجاء كتاب عبدالعزيز العقيلي : **تقنيات التعليم والاتصال المنشور** سنة ١٤١٧هـ ليكرس تداخل المعالجة المشار إليه آنفًا، وتمتد معالجة العلاقة المبحوثة في مواقع شتى من الكتاب ابتداء من الحديث عن الاتصال المعرفي وتاريخ الكتابة وانتهاء بتناول القيمة التعليمية والعلمية (أي المعلوماتية) للمتاحف والآثار[٢٨] .

وهناك معالجات مبتسرة للعلاقة المبحوثة في كتاب إبراهيم قرفال : **التكنولوجيا التربوية : مبادئ وتطبيقات** خاصة في تناوله «لوصف مجلات التكنولوجيا التربوية» و«عملية التنظيم والتزويد» والتصنيف والتوثيق للوسائل التعليمية[٢٩] .

ولقد عكس تقسيم محمد زياد حمدان للوسائل التعليمية في كتابه : **تأسيس مراكز الوسائل التعليمية في** المدارس والمناطق التربوية المنشور سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م مدخلاً قريبًا جدًا من تقسيم أوعية المعلومات السمعبصرية في المكتبات، كما انبثت ملحوظات مهمة له حول العلاقة المبحوثة في معالجاته لمراكز الوسائل ووظائفها ومهام العاملين فيها[٣٠].

وقد أثريت الدراسات المقدمة في : **حلقة المعينات التعليمية**... المنعقدة في عمان سنة ١٩٧٠م بالإشارات المهمة عن العلاقة المبحوثة بين الوسائل التعليمية ووسائل الاتصال وأوعية المعلومات السمعبصرية، خاصة لدى تناول «تنظيم العمل في وسائل الاتصال»، والتوصية بشأن تزويد الأقطار العربية للبيانات الببليوجرافية عن الأفلام الثابتة والمتحركة والأشرطة وغيرها، والاقتراح حول إنشاء مكتبة الوسائل التعليمية على مستوى الأقطار العربية، وإصدار دليل بالأوعية السمعبصرية[٣١].

٢ – البعد المصطلحي والمفهومي للموضوع : ويشمل تناوله:

١/٢ مجال تقنية المعلومات :

استخدم للموضوع المبحوث في علم المكتبات والمعلومات مصطلحات أهمها :

– تقنية المعلومات أو تكنولوجيا المعلومات Information technology وتقنية الوسائل، واقترح محمد مرغلاني استخدام مصطلح : تقنية الوسائل (الوسائط)[٣٢]، واستخدم مصطلح التقانة[٣٣] ، لكن المصطلح الأول يتمتع بالتداول والاستخدام الواسع في أدبيات الموضوع[٣٤]. وعدّ (بيرتون Burton) مصطلحات تقنية المعلومات، والتقنية الجديدة، أو تقنية المعلومات الجديدة مترادفة[٣٥] .

وقد استعرض للمصطلح نحو بضعة عشر تعريفًا من جانب محمد مرغلاني استهلها بأنها تعني تطبيق التقنية في تناول المعلومات من حيث إنتاجها وحيازتها وتخزينها ومعالجتها واسترجاعها وعرضها وتوزيعها بالطرق الآلية.

وخرج بعد عرض التعريفات باقتراح التعريف التالي لها بأنها تعني "النظم المختلفة التي يتم بواسطتها الحصول على المعلومات في كافة أشكالها واختزانها

ومعالجتها وتداولها وإتاحتها للمستفيدين باستخدام التقنيات الحديثة المعتمدة على الحاسبات الإلكترونية وطرق الاتصالات الحديثة"، وذهب مرغلاني إلى طرح مفهوم موسّع لتقنية المعلومات يشمل من ناحية إجرائية ما يلي :

مجموعة المقررات الدراسية والبرامج التدريبية في مجالات تقنية الحاسوب الإلكتروني وتطبيقاتها، ونظم الاتصالات الحديثة، وشبكات المعلومات، وتقنية المصغرات، ويغطي المفهوم : ميكنة عمليات التزويد وتنظيم أوعية المعلومات، وتقنيات الاسترجاع، والتكشيف، والتشغيل الآلي للمكتبات ومراكز المعلومات، وإدارة قواعد البيانات، والنظم المساندة في اتخاذ القرارات[٣٦]. وجاء تعريف حشمت قاسم مقارباً حيث إن تقنية المعلومات في نظره تعني كل ما استخدمه الإنسان وما يمكن أن يستخدمه في معالجة المعلومات من أدوات وأجهزة ومعدات، وتشمل المعالجة التسجيل والاستنساخ والبث والتنظيم والاختزان والاسترجاع[٣٧].

وذهب (ولكنسون Wilkinson) إلى أن مصطلح تقنية المعلومات شامل في معناه، ويغطي الأساليب الحديثة المرتبطة بنظم الحواسيب المتقدمة والاتصالات[٣٨].

وتتضمن التعريفات السابقة لتقنية المعلومات في مفهومها جانبين عريضين: تجهيزات معالجة المعلومات وتداولها، والإطار الفكري المحيق بممارسات استخدامها، وبهذا فإن من الممكن تعريف تقنية المعلومات بأنها التجهيزات والوسائط الموظفة وفق مرئيات معينة في تسجيل المعلومات واختزانها وإدارتها وتنظيمها والبحث فيها واسترجاعها وإتاحتها وبثها واستخدامها.

٢/٢ مجال التقنية التربوية :

لقد استخدم للتقنية المبحوثة هنا مصطلحات متعددة أكثر بالمقارنة مع مصطلحات تقنية المعلومات، وينعكس هذا التعدد في الأدبيات المنشورة، وفي مسميات الأقسام والإدارات والمراكز المعنية بهذه التقنية في شتى البلدان العربية وغير العربية.

فالمنشورات التي عرضت في مراجعة أدبيات الموضوع في القسم الأول استخدمت لها : الوسائل التعليمية، وسائل الاتصال التعليمية، أجهزة التعليم والتعلُّم، تقنيات التعليم والاتصال، تكنولوجيا التعليم، المعينات التعليمية، التكنولوجيا التربوية أو تقنية التربية، التكنولوجيا السمعبصرية، المعينات/الوسائل السمعبصرية. ويبدو أن مصطلح التقنية التربوية أو التكنولوجيا التربوية الذي اعتمده إبراهيم رجب قرفال، وعبدالحافظ محمد سلامة وغيرهما ممن عالجوا الموضوع[٣٩] هو المصطلح المفضّل[٤٠] على أساس تنامي استخدامه في المنشورات، وكذلك استيعابه لجوانب الموضوع الذي يعبر عنه على نحو معقول، وقد عرفت بأنها منظومة من القواعد أو القوانين، والأدوات، والأنشطة المصممة على نحو يهيئ للمتعلم تحقيق أهداف التعلم المحددة بطريقة منظمة واقتصادية[٤١]. ورأى إبراهيم رجب قرفال بأن التقنية التربوية تعني التطبيق المنظم للمعلومات العلمية لإيجاد حلول عملية للمشكلات[٤٢]، وذهب مصطفى حسن عبدالرحمن إلى تحديد مقارب لمفهوم التقنية التربوية بوصفها «عملية مركبة متكاملة تشمل الأشخاص، والإجراءات، والأفكار، والأجهزة، والتنظيم، وتحليل المشكلات، والتخطيط، والتطبيق، والتقويم، ووضع الحلول للمشكلات المتعلقة بجميع مظاهر تعلّم الفرد»[٤٣]. وعرفها فتح الباب سيد بأنها الأجهزة والممارسات الخاصة باستخدامها وفق نظرية تربوية معينة[٤٤].

وبالمقارنة مع مفهوم تقنية المعلومات والعناصر التي تستوعبها، نجد أن التقنية التربوية قد تشمل الآلات والتجهيزات أو الوسائل السمعبصرية أو لا تشملها [٤٥].

وقد خرج بدر من دراسته لمجموعة من تعاريف

التقنية التربوية في الكتابات المنشورة باللغة الإنجليزية بين سنتي ١٩٦٣ وَ ١٩٩٧م (لإيلي Ely)، وَ (رايزرReiser) وَ (رتشي وستيلز Richey & Steels) بنتائج أهمها: التأكيد على وسائل الاتصال Messages لا على الوسائط Medie، والتأثر بنظريات التعلم المعرفية والبنيوية، ومحورية الموقع الذي تتبوأه مصادر التعليم في البيئة التعليمية، وتحول الهدف في التعاريف من تحسين للتعليم، إلى تيسير للتعلم، إلى تحسين للأداء[٤٦].

ويميز في علم المعرفة بين التطبيقي Field، والعلم Discipline، ويدرك مفهوم التقنية التربوية بوضوح من خلال النظر إليه كتطبيق في مجال التربية، كما أن تقنية المعلومات تطبيق في مجال المكتبات والمعلومات. وبتمحيص المفاهيم المطروحة إذن عن تقنية المعلومات نجد أنها تشمل، من بين ما تشمله، التجهيزات وأوعية المعلومات السمعبصرية، كما يمكن أن يشمل مفهوم التقنية التربوية، من بين ما يشمله، التجهيزات والوسائل التعليمية، وقد تستثنى التجهيزات كما سبقت الإشارة.

٣ – **البعد الوظيفي للموضوع بين المعلوماتية، والأداتية التعليمية والتدريبية** : ويشمل تناوله :

١/٣ إنتاج المعلومات واقتناؤها ومعالجتها واستخدامها... للأغراض البحثية والمعرفية والحفظية :

لعل من أهم الوظائف المتنوعة المتوافرة على امتداد وجود المعلومات ما يتمثل في إنتاجها ثم اقتنائها ومعالجتها من شتى النواحي تنظيمًا وتقنيًا...، وانتهاء بالبحث فيها واسترجاعها لاستخدامها والإفادة منها في تلبية الاحتياجات المعلوماتية للباحثين ومتخذي القرارات وسواهم.

وتوفّر لنا أوعية المعلومات السمعبصرية وسيلة حفظية ممتازة للمعلومات، نوضحها فيما يلي :

الأوعية السمعبصرية	مدة الحفظ/ التعمير
أ – المصغرات الفلمية	٥٠٠ سنة
ب – الأقراص المليزرة (الضوئية)	١٠ – ٣٠ سنة
ج – الأشرطة المغنطيسية	٣ – ٥ سنوات
د – الأوعية المستخدمة للورق المستديم (أو المزحمض)	٥٠٠ سنة

هذا فيما يتصل بمخرجات تقنية المعلومات، أما بالنسبة لمخرجات التقنية التربوية فتوضيحها في الفقرة التالية :

٢/٣ إنتاج الأدوات/ الوسائل وتوفيرها للأغراض التعلُّمية والتعليمية التدريبية :

لعل من أهم الوظائف التي تؤديها التقنية التربوية هو تزويد الأدوات أو الوسائل التربوية التي يحتاج إليها في عمليات التعليم والتعلّم والتدريب[٤٧] ، والتي بدونها لا يستقيم القيام بهذه العمليات على النحو المبتغى، ومن أبرز التطورات الناجزة في استخدام الوسائل التربوية ظهور الوسائل التربوية التفاعلية، وهذه تتيح للمتعلّم أو المتدرب أن يتفاعل مع الوسيلة وأن يختار، وأن يقرر، في حين أن الوسائل التقليدية كانت وسائل تربوية موجهة يهيمن المعلّم/ المدرّب كليًا على إدارة استخدامها، ومن الوسائل التفاعلية : التوليفات التفاعلية Interactive Multi-media، وهي تعرض لنا دور التقنية الحديثة في ربط المجموعات المتعددة من المعلومات في إطار تطبيق أو برنامج موحد؛ وقد تكون مجموعات المعلومات المذكورة بيانات حاسوبية، أو مادة صوتية، أو مادة مرئية، أو صوراً متحركة، أو رسومات؛ أي أن التوليفة التفاعلية أكثر من وسيط واحد، ووصفت بأنها تفاعلية لأنها تتيح للمستخدم أن يتفاعل معها، ولا ينحصر التفاعل بين المستخدم والوعاء في الجلوس والمشاهدة له فحسب، بل أنه يستوعب الرؤية

والاستماع والتفكير واتخاذ القرارات والاختيار والربط...[٤٨].

٤ – **البعد الاقتنائي**، ويشمل :

١/٤ اقتناء التجهيزات وأوعية المعلومات وتشتت مقاره:

في مجال تقنية المعلومات نجد أن التجهيزات وأوعية المعلومات السمعبصرية التي تستوعبها متوافرة غالبًا في مواقع اقتنائية مشتتة في المكتبة أو مركز المعلومات أو أي منهما في أقسام أو شعب أو مراكز تستخدم إداريًا مسميات كثيرة منها :

– مركز / إدارة / قسم المصغرات.
– قسم الخرائط.
– قسم التسجيلات الصوتية والمرئية (الفيديو).
– قسم الصور.
– قسم الموارد الإلكترونية / الأقراص المليزرة (الضوئية).
– قسم المسكوكات.
– قسم الحقائب / التوليفات / الرزم التعليمية.
– المكتبة السمعبصرية.
– مركز الوسائل / مركز التوزيع الصوتي / المعمل البليوجرافي للمواد غير المطبوعة ... إلخ.

إن التشتت الاقتنائي المفرط لأوعية المعلومات السمعبصرية والتجهيزات المرتبطة بإنتاجها واستخدامها أو أحدهما ليس بظاهرة محمودة، لكن إفراد هذه المواد في مقار ملائمة لاقتنائها واستخدامها مفيد إذا هيئت فيها الظروف الملائمة لحفظها والاستفادة منها، وفي إطار توافر الظروف الملائمة مثلاً تجري الإشارة للتحكم بدرجات الحرارة ومعدلات الرطوبة والتعرّض لأشعة الشمس وضبط التهوية بما يوائم سلامة بقائها في هذه المقار. ومن الأمثلة التي تضرب لتوضيح وضع التشتت المشار إليه ما يوجد في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، حيث المصغرات وتجهيزاتها التصويرية والقرائية في مركز المصغرات، والخرائط وطوابع البريد السعودية في قاعة قسم الإيداع، والتسجيلات الصوتية والمرئية وتجهيزات استخدامها وتسجيلها في الحجرة المخصصة لها في قاعة المجموعات العامة في الدور الأول، والأقراص المليزرة وتجهيزات البحث فيها في قسم الخدمات المرجعية في الدور الأرضي، وهكذا.

٢/٤ اقتناء التجهيزات والموارد التربوية وتباين مقاره :

يشير محمد زياد حمدان إلى وجود مراكز الوسائل التربوية على مستوى المنطقة، وعلى مستوى المدرسة[٤٩]. وذكر في وقائع : **حلقة المعينات التعليمية** عن مديريات أو أقسام الوسائل التعليمية في وزارات التربية والتعليم / أو المعارف العربية، وإلى المركز العربي لتكنولوجيا التعليم[٥٠]. كما أشارت نهلة الحمود وزميلاها إلى مراكز مصادر التعلم في المؤسسات التالية : المدارس، والمعاهد والكليات التطبيقية، والجامعات، والجمعيات والهيئات الخاصة أو المتخصصة، علاوة على مراكز مصادر التعلم الصناعي، والعسكري[٥١].

وفي معهد الإدارة العامة في الرياض يسمى المقرّ : مركز الوسائل التدريبية ويحوي التجهيزات والوسائل التدريبية (السمعبصرية).

وتواجه أحيانًا إشكالية اقتناء مزدوج لتجهيزات وأوعية سمعبصرية في المؤسسة ذاتها في كل من المكتبة، ومركز الوسائل اللذين يوجدان فيها كما هو الحال في معهد الإدارة العامة المذكور. وتنظم الأوعية في المكتبة بطريقة موضوعية معيارية، وتنظم في مركز الوسائل التدريبية على نحو مختلف لا يأخذ الموضوع في الحسبان عند الترتيب غالبًا، والوضع الأمثل في مثل هذه الحالة توحيد المقر الاقتنائي للتجهيزات والأوعية السمعبصرية وتنظيمها لما في ذلك من توفير في التكلفة وتيسير للاستخدام.

٥ - البعد التنظيمي لمخرجات التقنية المبحوثة من أوعية المعلومات السمعبصرية، ويتناول القضايا التالية :

١/٥ تنظيم أوعية المعلومات السمعبصرية في المكتبات ومراكز المعلومات، ويشمل :

١/١/٥ الفهرسة : يتبع في فهرسة الأوعية السمعبصرية قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية بطبعتها الثانية المراجعة سنة ١٩٨٨م، وتحديثاتها، وتتوافر منها ترجمتان عربيتان لمحمود أحمد أتيم[٥٢]، ومحمد فتحي عبدالهادي ونبيلة خليفة ويسرية زايد[٥٣]، كما ألف في فهرستها عدة كتب منها بالعربية :

١ - **الفهرسة الوصفية للمكتبات : المواد السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمية** / شعبان عبدالعزيز خليفة، [و] محمد عوض العايدي.- جدة : مكتبة العلم، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٢ - **المواد غير المطبوعة في المكتبات الشاملة/** محمد فتحي عبد الهادي، [و] حسني عبدالشافي.- ط١.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣ - **الوصف الببليوجرافي للمواد غير المطبوعة: مصادر الوصف وإشكالاته ومستوياته وتنميط تسجيلاته** / تأليف فؤاد حمد رزق فرسوني.- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

وتوضح هذه الكتب الثلاث معالم الوصف الببليوجرافي والفهرسة الموضوعية لأوعية المعلومات السمعبصرية، وتقدم الأمثلة العملية لإعداد التسجيلات الببليوجرافية (تسجيلات الفهرسة) الاستنادية التي تغطي شتى أنواعها : الصوتية، والمرئية، واللمسية (برايل)، والمولّفة، والفلمية، والتصويرية، والخرائطية، والمجسمة، والمصغرة، والإلكترونية، والموسيقية، ويعرض آخرها للقضايا العملية التي يواجهها الممارس في فهرستها والخيارات المتاحة له للتعامل معها، ويجري على سبيل المثال في مكتبة الملك فهد الوطنية فهرستها بكفاية وفق قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية، ط٢ مراجعة سنة ١٩٨٨م ، وتصنيفها وفق تصنيف ديوي العشري، ط١٦ المعربة المعدّلة في المكتبة، وكذا الأمر في مكتبة معهد الإدارة العامة، ومن الإشكالات التي تواجه في فهرستها ما يلي :

أولاً : أن الوضع السائد في المكتبات السعودية والعربية هو عدم شمول الكثير من هذه الأوعية بشكل كامل في عمليات الفهرسة في المكتبات التي تفهرسها، وعدم خضوعها للفهرسة في غالبية المكتبات لأسباب أهمها:

أولاً : نقص الخبرات المؤهلة القادرة على تنظيمها.

ثانياً : تدفقها وتنامي مجموعاتها.

ثالثاً : قلة الاهتمام الذي يولى من المسئولين لتنظيمها رغم أهميتها.

ثانيًا - تباين معالجة بعض أنواع أوعية المعلومات السمعبصرية، وخير ما يوضح هذه الحالة تجميعات الأوعية، حيث إنها قد تتكون من أوعية متنوعة تتكامل وتتكافأ في أهميتها، وفي هذه الحالة تُعامل كتوليفات، أما إذا كانت تتكون من أوعية عدة وساد أحدها في الأهمية فلا تفهرس كتوليفة ويكون البيان العام للوعاء لها على أساس الوعاء المهم فيها Prominent، وتعامل بقية الأوعية الثانوية في التجميعة كمواد مرافقة.

ثالثًا - اختلاف المصطلحات المستخدمة للأوعية المبحوثة في أدبيات التخصص، وعدم التزام المؤلفين حولها باعتماد ما أقرته مجامع اللغة العربية، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط من مصطلحات لها، ومن الأمثلة الموضحة لاختلاف المصطلحات ما يلي :

كتاب شعبان عبدالعزيز خليفة	كتاب محمد فتحي عبدالهادي وزميلتيه
الفيلمات	الشرائح الفيلمية (الأفلام الثابتة)
الشفافات	الشفافيات
شرائح الأفلام	الشرائح
الأسطوانات	الأقراص (الأسطوانات)
الشرائط المسجلة	أشرطة التسجيل الصوتية ، الأشرطة الصوتية
الأفلام الناطقة	الأفلام السينمائية ، الأفلام المتحركة (ومنها الصامتة والناطقة)
أفلام الفيديو	التسجيلات المرئية (الفيديو)
البطاقات ذات الثقوب [مصغرات]	البطاقات ذات الفتحات [مصغرات]
الميكروفيش	الميكروفيش (البطاقة المصغرة)
الميكرور أوبيك	المصغرات المعتمة (الكمداء)

رابعاً : تباين وجهات نظر اختصاصي المكتبات والمعلومات في تبويبها وتنظيمها، مما يؤثر في معالجتها الوعائية والتنظيمية إجمالاً، ولتوضيح هذه الإشكالية قدمت الأمثلة التالية :

معالجة شعبان خليفة	معالجة محمد فتحي عبدالهادي وزميلتيه	معالجة قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية، ط٢ المراجعة (الاستخدام البريطاني)
– المواد البصرية :	**– المواد البصرية :**	**– المواد التصويرية :**
– الخرائط	– غير المعروضة :	– الأفلام الثابتة
– الصور	– النماذج	– البطاقات الومضية
– الأفلام الصامتة	– النماذج التوضيحية	– الرسوم الفنية
– شرائح الأفلام	(الملصقات والخرائط)	– الرسوم المبتكرة
– المجسمات	– الصور الفوتوغرافية	– الشرائح
– الغليمات	– اللوحات الفنية	– الشفافات
– الأفلام	– المعروضة :	– الصور
– الشرائح المجهرية	– الشرائح	– الصور الفوتوغرافية
– بطاقات المعرفة السريعة	– الشرائح الفيلمية	**– المجسمات :**
– الشفافيات	– الشفافيات	– الشرائح المجهرية
– الألعاب	– الشرائح المجهرية	– العينات
– المناظر المجسمة		– اللعب
– الحقيقيات		– المناظر المجسمة
– ملفات البيانات المعدة آلياً للقراءة		– النماذج

معالجة شعبان خليفة	معالجة محمد فتحي عبدالهادي وزميلتيه	معالجة قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية، ط٢ المراجعة (الاستخدام البريطاني)
– المواد السمعية :	**– المواد السمعية :**	**– التسجيلات الصوتية :**
– الأفلام الناطقة	– الأقراص	– الأقراص الصوتية
– أفلام الفيديو	– أشرطة التسجيل الصوتية :	– الخرطوشات الصوتية
– الأطقم	– شريط كاسيت	– الكانفات (الكاسيتات) الصوتية
	– شريط خرطوش	
– المصغرات الفيليمية :	**– المصغرات الفيلمية :**	**– التسجيلات المرئية والأفلام السينمائية :**
– الميكروفيلم	– الملفوفة :	– الأقراص المرئية
– الميكروفيش	– البكرة الميكروفيلمية	– الخرطوشات المرئية
– الميكروكارد	– الكاسيت الميكروفلمي	– الكانفات (الكاسيتات) المرئية
– الميكرو أوبيك	– الخرطوشة الميكروفلمية	– الخرطوشات الصوتية
– الفيلموركش	– المسطحة :	– الكانفات (الكاسيتات) الصوتية
– البطاقة ذات الثقوب	– الشرائح في حوافظ	**– المصغرات الفلمية :**
	– الميكروفيش	– الأفلام المصغرة
	– الألترافيش	– البطاقات المصغرة
	– المصغرات المعتمة	– البطاقات المكواة
	– الفيلموركش	– الجذاذات المصغرة
– المواد السمعية البصرية :	**– المواد السمعية البصرية :**	– اللمسيات (برايل)
– الأفلام الناطقة	– الأفلام السينمائية	– المواد الخرائطية
– أفلام الفيديو	– التسجيلات المرئية	– الموارد الإلكترونية
– الأطقم		

خامساً – عجز مكانز المصطلحات، وقوائم رؤوس الموضوعات العربية المتداولة في المكتبات عن توفير المصطلحات الموضوعية المطلوبة والمحدَّثة updated لشتى أنواع أوعية المعلومات السمعبصرية وأشكالها، وإنه لمن الخطأ عمليًا التعويل على استخدام عمل استنادي واحد في الفهرسة الموضوعية لهذه الأوعية، بل لا بد من أمرين في هذا الصدد :

أولهما : الاستفادة من محتويات المكانز وقوائم رؤوس المصطلحات متكاملةً.

ثانيهما : إثراؤها بالمصطلحات الموضوعية للتعبير عن إفرازات تقنية المعلومات المتطورة باستمرار من الأوعية المستجدة، ومن خيرة الأعمال الاستنادية التي يمكن استخدامها في الفهرسة الموضوعية لأوعية المعلومات السمعبصرية ما يلي :

– قائمة رؤوس الموضوعات العربية الموحدة/ إعداد : محمود أحمد أتيم.- تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والمعلومات، ١٩٩٥م.- ٦٩١ص.

– قائمة رؤوس الموضوعات العربية / إعداد: إبراهيم أحمد الخازندار.- ط٤.- الكويت : [د . ن]، ١٩٩٤م.- ٨٧٦ ص.

٥/١/٢ التصنيف :

أشير في الفقرة السابقة لإمكانية تصنيف أوعية المعلومات السمعبصرية وممارسته وفق تصنيف ديوي العشري، ويمكن أيضًا أن يستخدم بكفاية في تصنيفها التصنيف العشري العالمي UDC ، وكذلك تصنيف مكتبة الكونجرس، وتستخدم المكتبات مع رقم التصنيف لها ما يسمى برقم الوعاء، ووظيفته ترتيب أوعية المعلومات السمعبصرية وتسجيلاتها الببليوجرافية التي تحمل رقم التصنيف نفسه بطريقة مميزة تيسر تنظيمها واسترجاعها والبحث فيها بأقل قدر من الجهد والوقت، وهناك طرق مختلفة لوضع رقم الوعاء أو ترميزته ، ويشيع في المكتبات السعودية والعربية استخدام الحرف الأول من اسم العائلة للمؤلف، فالحرف الأول من اسمه الأول، فالحرف الأول من أول كلمة في العنوان، مثلاً :

محاضرة لمحمد الطويل على كانف (كاسيت صوتي)

في الإدارة العامة ستأخذ رقم الطلب Call number :

٣٥٠

ط م إ

حيث ٣٥٠ رقم الإدارة العامة في تصنيف ديوي العشري.

ط من الطويل (اسم العائلة)

م من محمد (الاسم الأول)

إ من الإدارة (أول كلمة في العنوان ويلاحظ أنه لم تحتسب أل التعريف) .

ويجوز كتابة حروف رقم الوعاء أو ترميزته منفصلة كما في ممارسات مكتبة جامعة الملك سعود، ومكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ويجوز أن تكتب متصلة كما في ممارسات مكتبة الجامعة الأردنية في عمّان . وفي المكتبات سياسات تطبقها في تحديد حروف رقم الوعاء أو ترميزته للحالات المختلفة، مثلاً الحالات التي يكون فيها المدخل الرئيس للوعاء بالعنوان أو باسم الهيئة.. ويستخدم في تفريد رقم الطلب للمواد باللغات غير العربية قوائم مختلفة من أهمها قوائم كتر – سانبورن : Cutter - Sanborn tables ومن المكتبات التي تعتمدها مثلاً مكتبة الملك فهد الوطنية. بالرياض وتتوسّل القوائم برموز ألفبا عددية Alpha-numeral. تتكون عادة من حرف وثلاثة أرقام في بناء رقم الوعاء أو ترميزته ، وتتميز هذه القوائم وسياسة تطبيقها بمستوى عالٍ من التوسع والتمييز لمواجهة احتياجات التمييز للأوعية المتزايدة دون انقطاع.

إذن تصنيف ديوي العشري وحده لا يجزئ في تقديم رقم متفردٍ unique للوعاء، ومن هنا لا بد من الاستعانة برقم الوعاء أو ترميزته لتحقيق التفرد والتمييز.

وتصنيف ديوي لا يصنف الوعاء على أساس الموضوع subject ولكن على أساس الحقل المعرفي discipline الذي عولج من منظوره، انطلاقاً من المقولة إن وعاء المعلومات، أيَّ وعاء، يمكن أن يعالج من زوايا أو وجهات نظر مختلفة، وعليه فإن الأوعية السمعبصرية إذا عولجت كأوعية معلومات فإنها تصنف في علم المكتبات والمعلومات، لكنها إذا عولجت كوسائل معينة في التعليم والتعلم فإنها تصنف في التربية، وإذا عولجت كوسائل اتصال صنفت في الاتصال، أما إذا عولجت كقطع أثرية فإنها تصنف في علم المتاحف، وهكذا، مثلاً :

محتوى الوعاء	رقم التصنيف	حقل التخصص
– تصنيف الأفلام السينمائية	٠٢٥,٣٤٧٣	المكتبات والمعلومات
– تصنيف المواد السمعبصرية في المكتبات	٠٢٥,٣٤	المكتبات والمعلومات
– استخدام المواد السمعبصرية كمعينات تعليمية	٣٧١,٣٣٥	التربية
– الأفلام السينمائية ، والوسائل الإلكترونية كوسائل اتصال	٣٠٢,٢٣٤	الاتصال
– الأفلام السينمائية كمواد متحفية	٠٦٩,٥٧	علم المتاحف

٢/٥ تنظيم الوسائل التربوية في مقارها الاقتنائية :

لقد تناولت الفقرة السابقة وضع تنظيم أوعية المعلومات السمعبصرية وإشكالاته في المكتبات ومراكز المعلومات، ويستشف من التناول الحاجة إلى تحسين ذلك الوضع بمعالجة الإشكالات المذكورة، وليس وضع تنظيم الوسائل التربوية في مقارها المختلفة أفضل حالاً؛ ومن هنا فإنه نال جانبًا من اهتمام المؤلفين في مجال التقنية التربوية، خاصة عند تناولهم لترتيب الوسائل التربوية، وتوصيف وظائف المشتغلين فيها؛ ففي تناول محمد زياد حمدان لهذه القضية في كتابه عن : **تأسيس مراكز الوسائل التعليمية**[٥٤] أكد على ضرورة «ترتيب المواد والوسائل بشكل منظم على الأرفف أو في الخزائن حسب موضوعاتها هجائيًا»، وقد شمل بين فنيي الوسائل «فنيي الفهرسة والسجلات»، وعند تقسيم «وحدات مركز الوسائل المتخصصة» جعل بين الوحدات الأساسية «وحدة الفهرسة والمطبوعات»[٥٥] ؛ وتعكس هذه الإشارات العناية التي أوليت لتنظيم الوسائل التربوية، وباقتراحه للترتيب الموضوعي للوسائل فإنه يدرك جدوى تجميعها على أساس مواضيعها، وهو تنظيم متساوق جزئيًا مع تنظيم مقتنيات المكتبات ومراكز المعلومات من أوعية المعلومات السمعبصرية وغيرها، لأن التنظيم الثاني يتم على أساس موضوعي مصنّف، ومن شأنه ترتيب الأوعية المتصلة موضوعيًا متقاربةً، أما الترتيب الموضوعي الهجائي فيعمل على بعثرة الموضوعات المترابطة للوسائل حسب توزع حروف الهجاء، وقد أشار الكاتب لنظام ترتيب الوسائل بعبارة «نظام التبويب والإعلام»، والترتيب الموضوعي للوسائل هو أحد أسسه التي رجحها من بين بدائل التنظيم الأخرى الأقل كفاية وفعالية :

١ – الترتيب الهجائي حسب العناوين.

٢ – الترتيب الهجائي حسب الوحدة الدراسية التي تنتمي إليها.

٣ – الترتيب الهجائي حسب نوعها.

٤ – الترتيب الهجائي حسب تاريخ إنتاجها.

٥ – الترتيب الهجائي حسب المنتج أو الموزع.

والمناداة بالتنظيم الموضوعي للوسائل التربوية انعكاس للتأثر بالتصنيف الموضوعي المصنف المتبع في المكتبات للمواد السمعبصرية، وهو يتطلب ما يلي :

١ – توافر الكوادر البشرية المؤهلة.

٢ – الاقتناع بميزة التصنيف الموضوعي المصنف للوسائل ودعم الاستمرار في الأخذ به.

إن إشكالية الترتيب غير الفعّال أو العشوائي للوسائل التربوية في مقارها تواجَه كثيراً، مما يؤدي إلى تعذر التعامل أو الاسترجاع بسهولة وسرعة للوسائل، ولا

يوفر الترتيب الرقمي المتسلسل الجاري للوسائل في كثير من مقارها أساسًا صالحًا لتنظيمها لأنه يشتتها موضوعيًا، كما يجري في مركز الوسائل التدريبية في معهد الإدارة العامة بالرياض، وكذا الحال بالنسبة للترتيب الشكلي المحض للوسائل بوضع الخرائط معًا، والنماذج معًا، وهكذا، كما يحدث في مكتبات مدرسية عديدة وفي معامل المواد غير المطبوعة (السمعبصرية) المستخدمة كوسائل معينة في بعض أقسام علوم المكتبات والمعلومات في الجامعات...

ويتوافر في غالبية الجامعات مقار للأوعية السمعبصرية في مكتباتها، ومراكز للوسائل التربوية، وقد تكون هناك نسخ مكرّرة لبعض المواد في المقار الاقتنائية لأوعية المعلومات السمعبصرية من جهة، والوسائل التربوية من جهة أخرى، وقد يضمهما مبنى واحد أو مجمع واحد، ويتردّد عليهما المستفيدون أنفسهم في المؤسسة التي تخدمها هذه المقارّ كما هو الحال في مكتبة معهد الإدارة العامة في مبنى المعهد بالرياض الذي يشمل أيضًا مركز الوسائل التدريبية، وتتوافر الأوعية مصنفة في المكتبة، لكنها مرقومة تسلسليًا في مركز الوسائل التدريبية، فهنا توجد ازدواجية اقتنائية، وازدواجية تنظيمية للمواد من غير مبّرر معقول ! ومن الخير أن يُتلافى وجود هذه الظاهرة في المؤسسات المعنية باقتناء المواد السمعبصرية وتنظيمها واستخدامها للأغراض المعلوماتية والتربوية أو التدريبية.

كما يواجه هنا إشكالية تعدد المصطلحات المستخدمة في أدبيات الموضوع واختلافها ، خاصة العربية والمعرَّبة مما يسلم القراء إلى اللبس والغموض، ومن الأمثلة ما ورد في كتابات المؤلفين التالين :

عبدالعزيز العقيلي	مصطفى بدران	بشير الكلوب	إسماعيل صبري	محمد زياد حمدان
	...	الصور المعتمة	...	المواضيع غير النافذة
...	أفلام الصور المتحركة	الأفلام المتحركة	الأفلام المتحركة	أفلام الصور المتحركة
...	الأفلام الثابتة	الأفلام الثابتة	الأفلام الثابتة	أفلام الصور الثابتة
الشرائح الشفافة	...	الشفافيات	الصور الشفافة	الشفافيات فوق الرأسية
أجهزة البث السمعية والبصرية	أشرطة تسجيل الصوت	التسجيل الصوتي	الوسائل السمعية	الوسائل السمعية
	المصورات			
الخرائط والكرات الأرضية		...	الخرائط	المواد الجغرافية
	...			
المجموعات التعليمية [التوليفات]		...	...	...

كما أن تغطية مصطلحات الوسائل التربوية متفاوتة بين المؤلفين عنها، بل قد تكون ضحلة في كتابات بعضهم، كما يبدو في أعمال المؤلفين التالين :

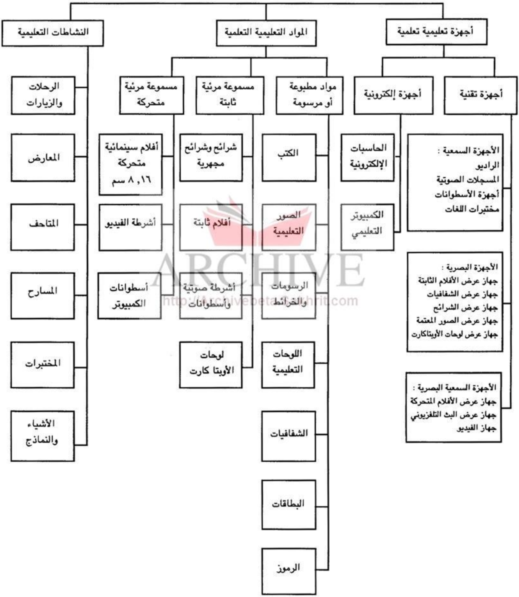
مصطفى بدران	محمد زياد حمدان	مصطفى عبدالرحمن
الصور المجسمة	...	...
الميكروفيلم	...	...
المصورات	...	...
...	الشفافيات فوق الرأسية	...
الأشياء	...	...
الصور الفوتوغرافية	...	...
...	...	أشرطة الفيديو
...	...	برامج الكمبيوتر

وهناك إشكالية أخرى متصلة بتقسيمات الوسائل وتباين وجهات النظر في تفاصيلها، كما يتضح في أعمال المؤلفين التالين :

عبدالله عطار	مصطفى عبدالرحمن
– الوسائط البصرية	– الوسائل المطبوعة
– الوسائل البصرية غير المضيئة	– الوسائل المرسومة
– الخرائط	– الخرائط
– الأشياء والعينات والنماذج	– المعروضات ثلاثية الأبعاد
– الوسائط البصرية الضوئية	– الوسائل المصورة
– السور الثابتة الثقافية (الشفافيات ، الشرائح ،	– الصور الثابتة
الأفلام الثابتة)	– الصور المعتمة
– الصور الثابتة غير الثقافية	– الشرائح المصورة
– الصور المتحركة (الأفلام التعليمية ، الحاسوب)	– الصور المتحركة
	– الوسائل الإلكترونية
– الوسائل السمعية البضرية	– التسجيلات الصوتية
	– تسجيلات الفيديو
– الوسائل السمعية	– مجموعة وسائل

ويورد ماهر يوسف في كتابه: **من الوسائل التعليمية إلى تكنولوجيا التعليم** التصنيفات التالية، وهي تبين تعدد المعايير المعتمدة في تقسيم الوسائل التعليمية واختلافها خاصة في الجدول الأخير[٥٦] :

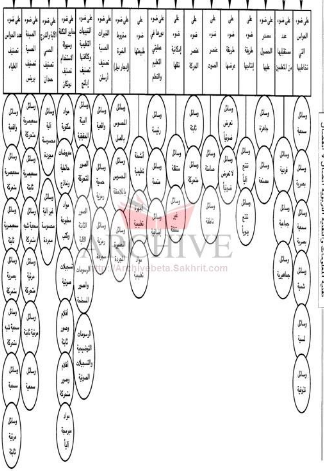
تصنيف الوسائل التعليمية على ضوء طبيعتها : بشير الكلوب



الفئة	الوسيلة التعليمية	الخصائص: صوت	صورة	حركة	كتابة	لمس	شم
١	**الوسائل الواقعية :** الرحلات – المعارض – الزيارات الميدانية – التعليم المهني – التدبير المنزلي – التمثيل	✓	✓	✓	✓	✓	✓
٢	**الوسائل السمعية البصرية المتحركة :** التلفزيون – الفيديو – أفلام السينما المتحركة الناطقة – الحاسوب	✓	✓	✓	✓		
٣	**الوسائل السمعية البصرية الثابتة :** أفلام السينما الثابتة المرفقة بتسجيل صوتي – الشرائح المرفقة بتسجيل صوتي	✓	✓				
٤	**الوسائل البصرية المتحركة :** أفلام السينما الصامتة – الشفافيات المستقطبة		✓	✓	✓		
٥	**الوسائل السمعية شبه المتحركة :** التلغراف – التيلكس أثناء التشغيل	✓		✓	✓		
٦	**الوسائل السمعية :** الراديو – المعامل اللغوية – التلفون – التسجيلات الصوتية	✓					
٧	**الوسائل المرئية الثابتة :** المواد المطبوعة – أفلام الصور الثابتة – ألفام المايكرو – الصور والرسوم المسطحة – الرسوم البيانية – الخرائط – السبورة – المجسمات – العينات		✓		✓		

زيادة تثبيتها للتعلّم مقاومة النسيان ↑

الوسائل التعليمية



٦ – البعد الاستخدامي لأوعية المعلومات السمعبصرية :

أشير آنفًا لقانون رانجاناثان المهم بين قوانين علم المكتبات الذي وضعه ذلك العالم الهندي، وهو أن «أوعية المعلومات للاستخدام»، ومن منظور هذا القانون فإن المكتبات أو مراكز الوسائل أو المواد السمعبصرية أو المواد غير المطبوعة تسخّر الجهود الاقتنائية والتنظيمية لأوعية المعلومات السمعبصرية لهدف أساسي وهو : تلبية احتياجات المستفيدين.

ومن هنا يتوقع من المكتبات والمراكز المعنية بهذه الأوعية المبادرة إلى الإسراع في تنظيمها وتوفير تسجيلاتها البيليوجرافية الاستنادية للبحث فيها والاختيار من بينها لما يوائم الاحتياجات المعلوماتية.

ومن المناسب استخدام طرق فهرسة وتصنيف وتمييز غير معقدة في تنظيمها وإعداد تسجيلاتها البليوجرافية وفي ذلك تيسير على كلا الطرفين :

– الموظف المتعامل مع فهرستها وتصنيفها وتمييزها.

– والمستفيد الذي يبحث في أوعيتها وتسجيلاتها.

والشائع أن استخدام الأوعية السمعبصرية داخلي، فهي لا تتاح للإعارة الخارجية، والذي يجري في كثير من المكتبات العامة وغيرها في الغرب إتاحة الكثير من الأوعية السمعبصرية للإعارة، ومن هنا فإن المكتبات العربية المعنية مدعوة للنظر في إتاحة هذه المواد بشكل أوسع وإعارتها للمستفيدين الراغبين.

وتتيح مراكز الوسائل التربوية والتدريبية للمدرسين والمدربين أخذ المواد السمعبصرية المطلوب استخدامها، وتجهيزات استخدامها، كالشفافات وعارضة الشفافات، ويتطلع المستفيدون إلى إمكانية الاستعارة الخارجية لبعض التجهيزات التي يحتاجون إليها كاستعارة جهاز التسجيل مع الكانفات (الكاسيتات) الصوتية.

تعقيب :

وبعد فقد تم تناول الفقرات السابقة لتقنية المعلومات والتقنية التربوية من نواح مهمة مختلفة، مع التركيز على قضايا مخرجات التقنية لما لها من آثار عميقة معلوماتية وتربوية. وتمخض التناول عن إبراز الاتصال لا الانفصال بين مخرجات التقنية في مجالي المعلومات من جهة، والتربية من جهة أُخرى؛ والمادة قد تكون وعاء معلومات كموسوعة أو ببليوجرافية، وتكون وسيلة تربوية في آن، ولا إشكاليات في ارتباط هذين الوجهين وتجسدهما في المادة ذاتها، ولا يهمنا فك الارتباط بينهما بقدر ما يهمنا العلاقة بينهما والاستفادة منهما على أفضل نحو ممكن، ولئن تدخّل وأُقحم المتغير الوظيفي في اتخاذ القرار الاقتنائي لمادة سمعبصرية معينة، فإن من الملائم وضعها في المقر الاقتنائي لأوعية المعلومات أو في المقر الاقتنائي للوسائل التربوية على ضوء المتطلبات التنظيمية واحتياجات المستفيدين.

وفي إطار المؤسسة الواحدة فإن الازدواجية الاقتنائية للمواد السمعبصرية في المكتبة أو مركز المعلومات، وكذلك في مركز الوسائل التربوية أو التدريبية تغدو قضية تستحق النظر والتنسيق، وقد يكون توحيد المقر الاقتنائي لهذه المواد جميعًا في كنف المكتبة أو مركز المعلومات أو مركز الوسائل هو الحل الأمثل اقتصاديًا وعمليًا ووعائيًا.

إن الإفادة من هذه المواد على النحو الأفضل تقتضي توافر عناصر منها :

١ – معرفة استخدام المواد وتشغيل الأجهزة اللازمة لذلك.

٢ – توافر برامج صيانة وتدريب وتوعية تقنية منظمة متواصلة.

٣ – توافر بيئة استخدامية ملائمة ووجود ظروف السلامة والأمان للمجموعة والتجهيزات والمستفيدين.

ويشهد وقتنا الحاضر نموًا متزايدًا في أنواع المواد السمعبصرية وأشكالها، وكذلك تعاظم دور شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والشبكة العنكبوتية الدولية (WWW)، واتساع نطاق المشاركة في خدماتها، وثراء المصادر والمجلات الإلكترونية المتاحة من خلالها، وتنوع طوائف المستفيدين منها من طلبة ومدرسين وباحثين ومكتبات ومراكز وسائل ومنظمات...، وبات تضافر جهود اختصاصي تقنية المعلومات مع اختصاصيي التقنيات

التربوية ضرورياً لتحقيق الاستفادة القصوى من هذه الموارد، وقد أفرزت أنشطة الإنترنت والشبكة العنكبوتية الدولية ، وتفرز ، مصطلحات جديدة، وإن تعريبها يحتاج إلى تضافر جهود اختصاصي تقنية المعلومات، والتقنية التربوية وغيرهم للوصول إلى تعريبات مقبولة للمصطلحات، والحد من المعرَّبات واختلاف الترجمات الذي من شأنه أن يقود إلى البلبلة المصطلحية وتشويش الفهم والتكديس المصطلحي عوضاً عن التنسيق والتوحيد المصطلحي(٥٧).

المراجع

(١) **التقنية وإدارة المعلومات** / يونس عزيز.- بنغازي : جامعة قاريونس، ١٩٩٤م .- ص١٩-٢٥.

(٢) **تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها**/ محمد محمد الهادي.- ط١.- القاهرة : دار الشرق ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.- ص١٩.

(٣) **وسائل الاتصال التعليمية**/ تأليف عبدالله إسحاق عطار، إحسان محمد كنسارة.- ط١.- مكة المكرمة : مطابع بهادر، ١٤١٨هـ.- ص ١٣ - ٤٦، ٦٣ - ٦٧، ٧٠ - ٧٧.

(٤) **التكنولوجيا التربوية : مبادئ وتطبيقات**/ إبراهيم رجب قرفال.- ط١.- طرابلس : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٦م.- ص ٧، ١٥ - ٣٤.

(٥) **"تكنولوجيا التعليم والمعلومات: دراسة في التكامل التكنولوجي..."**/ أحمد أنور بدر .- بحوث ندوة تكنولوجيا التعليم والمعلومات: حلول لمشكلات تعليمية وتدريبية ملحة .- الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ .- ص١.

(٦) **"Educational technology: a critique** / G. Kearsely .- Educational Technology .- Vol. 38, no. 2 (1998) .- p. 47-51.

(٧) **"أهم الأدبيات والمقارنات بما يخص المكتبات المدرسية"**/ مبارك سعد عبدالله سليمان .- بحوث المكتبات المدرسية وتعزيز دورها في المجال التربوي والثقافي المنعقدة في الرياض بتاريخ ١١/٤/١٤١٩هـ .- الرياض : وزارة المعارف ، ١٤١٩هـ .- ص٢-١٦.

(٨) **Administering the school library center** / Betty J. Morris .- [et al] .- NJ: Beowker, 1992.

(٩) **"المعلومات والتعلم"**/ منهال العتيبي.- الإنترنت والحاسب .- ع١ (أكتوبر ١٩٩٧م).

(١٠) **"الاستخدام التربوي والتعليمي للمكتبة المدرسية"**/ محمد فتحي عبدالهادي .- المجلة العربية للمعلومات (١٩٩٧م).

(١١) **Educational wars: the battle over information age technolog** / H.Snider .- The Futurist .- (May-June 1996) .- P. 27-28.

(١٢) **Silicon snake oil: second throughs on the information superhigh way**/ C. stoll .- NY: Doubleday, 1996.

(١٣) **Dewey decimal classification and relative index** / Melvil Dewey; edited by Joan S. Mitchell...(et al).- 21st ed.- Albany, NY : Forest Pr., 1996.- Vol.2, Class. number 371.3 and its subdivisions for teaching materials, besides : vol.1, notation - 02 and its subdivisions, also - 071 and its subdivisions.

(١٤) «تقنية المعلومات : دراسة مقارنة لمقرراتها الدراسية في أقسام المكتبات والمعلومات في جامعات المملكة العربية السعودية» / محمد أمين عبدالصمد مرغلاني .- **مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية** .- مج١، ع١ (المحرم / جمادى الآخرة ١٤١٦هـ ، يونيو - ديسمبر ١٩٩٥م).- ص٩١-٩٩.

(١٥) التعليم العربي وتكنولوجيا المعلومات/

نبيل علي .- ١٩٩٤م .- ص٣٨١.

(١٦) **الوصف البيليوجرافي للمواد غير المطبوعة : مصادر الوصف، وإشكالاته، ومستوياته، وتنميط تسجيلاته** / فؤاد حمد رزق فرسوني.- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.- ص٩٥٧.

(١٧) **المواد غير المطبوعة في المكتبات الشاملة** / محمد فتحي عبدالهادي، حسني محمد عبدالشافي.- ط١.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.- ص ١٣ - ٢٦.

(١٨) **تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها**/ محمد محمد الهادي .- القاهرة: م. محمد الهادي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

(١٩) «حصر وتقويم استخدام الحاسبات الآلية وأجهزة ميكنة المكاتب في الجهات الحكومية في المملكة العربية السعودية»/ إعداد إبراهيم عبدالسلام، غازي إسحق الخطيب، كامل مبارك. في وقائع : **ندوة التقنية الحديثة في تنظيم وإدارة المعلومات المنعقدة بمعهد الإدارة العامة** في الفترة من ٥ - ٦ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ.- الرياض : معهد الإدارة العامة، إدارة البرامج العليا، ١٤٠٧هـ.- ص ٣٩ - ٦٢.

(٢٠) **مدخل عام لعلوم وتقنيات المعلومات والتوثيق** / كلير غينشا، ميشال مينو.- تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧م.- ص ٥٢ - ٥٥.

(٢١) **المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات** / تأليف ألس ماونت؛ ترجمة علي سليمان الصوينع.- الرياض : معهد الإدارة العامة، إدارة البحوث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.- ص٢٤ - ٢٧٤.

(٢٢) **المصغرات الفيلمية في المكتبات ومراكز المعلومات** / شعبان عبدالعزيز خليفة.- القاهرة : العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨١م.- ص٨٥-٨٦.

(٢٣) **الفهرسة الوصفية للمكتبات : المواد السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمية** / شعبان عبدالعزيز خليفة، محمد عوض العايدي.- جدة : مكتبة العلم، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.- ص١٨ - ١٥٤.

(٢٤) **وسائل الاتصال التعليمية**/ تأليف عبدالله إسحاق عطار، إحسان محمد كنسارة.- ص٨٥ - ٣٥٤.

(٢٥) **مفهوم الوسائل التعليمية والتكنولوجيا** / مصطفى حسني عبدالرحمن.- ط١.- المدينة المنورة: دار إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.- ص ١١.

(٢٦) **مقدمة في وسائل الاتصال** / علي عجوة ... [وآخرون] .- ط١.- جدة : مكتبة مصباح ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .- ص ٢٢ - ٦٨ ، ٢٣٥ - ٢٦٨.

(٢٧) **استخدام الأجهزة في عملية التعليم والتعلم** / بشير الكلوب.- ط٢.- عمان : مكتبة المحتسب؛ بيروت : دار إحياء العلوم، ١٩٨٧م.- ص ١١ - ٢١٣.

(٢٨) **تقنيات التعليم والاتصال** / عبدالعزيز العقيلي.- الرياض : ع. العقيلي، ١٤١٧هـ.- ص ٥ - ٣٤٠.

(٢٩) **التكنولوجيا التربوية : مبادئ وتطبيقات** / إبراهيم رجب قرفال.- طرابلس : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٨٦م.- ص٣١ - ٥٠.

(٣٠) **تأسيس مراكز الوسائل التعليمية في المدارس والمناطق التربوية** / محمد زياد حمدان.- ط١.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.- ص ١٥ - ١٧٣.

(٣١) **حلقة المعينات التعليمية ووسائل الاتصال الجماهيرية في الوطن العربي**، عمان ٢٣ - ٢٨/٥/١٩٧٠م.- القاهرة : جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، الإدارة الثقافية، ١٩٧١م.- ص ٤١ - ٩٠.

(٣٢) «**تقنية المعلومات**»..../ محمد أمين عبدالصمد مرغلاني.- ص ١١٩.

(٣٣) «**تعليم الحوسبة وحوسبة التعليم**»/ حمود السعدون . في : **مجلة التربية**.- س٨، ع٢٠٦.- ص٦.

(٣٤) **المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات**/ أحمد الشامي، وسيد حسب الله.- الرياض : دار المريخ، ١٩٨٨م.- ص ٥٧٣.

(٣٥) في: تكنولوجيا التعليم والمعلومات/

أحمد أنور بدر .- ص٩.

(٣٦) **«تقنية المعلومات »...**/ محمد أمين عبدالصمد مرغلاني.- ص ٩٤-٩٧.

(٣٧) «علامات فارقة في مسار تكنولوجيا المعلومات»/شريف كامل شاهين.- **مجلة المكتبات والمعلومات العربية** .- س ١٧، ع٣ (يوليو ١٩٩٧م).- ص ٦٧.

(٣٨)- **Fundamentals of in-formation technology** / G. G. Wikinson, A. R. Winterflood .- NY: Wiley, 1987 .- P. xiii.

(٣٩) **إنتاج واستخدام التقنيات التربوية...**/ترجمة وتحرير مصباح الحاج عيسى، توفيق العمري، حسن القلاف.- الكويت : مكتبة الفلاح، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.- ص ١٣.

(٤٠) **قاموس التربية : إنكليزي - عربي** / محمد علي الخولي.- ط٢.- بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م .- ص١٥١، ٤٩٢ .

(٤١) **Translating research into practice**/F.E. Weinert. In: International encyclopedia of teaching and teacher education/ed. by L.W. Anderson.- 2nd ed.- NY : Pergamon, 1995.- p. 519.

(٤٢) **التكنولوجيا التربوية : مبادئ وتطبيقات** / إبراهيم رجب قرفال.- ص ٢١.

(٤٣) **مفهوم الوسائل التعليمية والتكنولوجيا** / مصطفى حسن عبدالرحمن .- ص ١٩.

(٤٤) الإفادة بالتكنولوجيات الحديثة في التعليم/ فتح الباب عبدالحليم سيد.- في : بحوث ندوة تكنولوجيا التعليم والمعلومات .- ١٤٢٠هـ .- ص١-٣ .

(٤٥) **التكنولوجيا التربوية : مبادئ وتطبيقات** / إبراهيم رجب قرفال.- ص ٢٤ ، ٣٠ .

(٤٦) "تكنولوجيا التعليم والمعلومات ..."/ أحمد بدر .- ص ٨ .

(٤٧) **علم المعلومات والاتصال**/ كمال عرفان نبهان.- القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٥م.- ص ٤٤ - ٥٩.

(٤٨) "**التوافقات التفاعلية**"/ فؤاد حمد رزق فرسوني .- دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات .- مج٤، ع١ (١٩٩٩م) .- ٤٩-٧٢ .

(٤٩) **تأسيس مراكز الوسائل التعليمية في المدارس والمناطق التربوية** / محمد زياد حمدان .- ص ٢٠ ، ٢٥ - ٢٦ .

(٥٠) **تأسيس مراكز الوسائل التعليمية في المدارس التربوية**/ محمد زياد حمدان .- ص١٥٩ .

(٥١) **حلقة المعينات التعليمية ووسائل الاتصال الجماهيرية في الوطن العربي** ... - ص٦ - ٥١ .

(٥٢) **مراكز مصادر التعلم ودورها في العملية التربوية** / نهلة الحمود، ياسر عبدالمعطي، عبدالله رزق.- الكويت : الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريبي، كلية التربية الأساسية، ١٩٩٣م .- ص٢٤.

(٥٣) **قواعد الفهرسة الأنجلو - أميركية**، ط٢، ١٩٧٨/إعداد جميعة المكتبات الأميركية... [وآخ.]؛ مراجعة محمود الأخرس.- ط١.- عمان : جمعية المكتبات الأردنية، ١٩٨٣م .

(٥٤) **قواعد الفهرسة الأنجلو - أميركية**، الطبعة الثانية، مراجعة ١٩٨٨م/ أعدت تحت إشراف لجنة التوجيه المشتركة لمراجعة القواعد من جمعية المكتبات الأمريكية... [وآخ] ؛ تحرير ميشيل جورمان، بول و. ونكلر ؛ تعريب محمد فتحي عبدالهادي، نبيلة خليفة جمعة ، يسرية عبدالحليم زايد .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

(٥٥) **تأسيس مراكز الوسائل التعليمية...**/ محمد زياد حمدان.- ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٥٦) **من الوسائل التعليمية إلى تكنولوجيا التعليم**/ تأليف ماهر إسماعيل صبري محمد يوسف .- الرياض : مكتبة الشقري ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .- ص٢٩-١١٦ .

(٥٧) انظر مجلة : **الإنترنت والحاسب** .- ع١ (أكتوبر ١٩٩٧م) .

مصادر المازري

في كتابه «شرح التلقين»

جمال عزون

الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة

يعتبر أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر المازري [1] المتوفى سنة ٥٣٦هـ صاحب أول شرح لكتاب مسلم «المعلم بفوائد مسلم» [2]، أحد أئمة المالكية المشهورين، وقد طار صيته في الآفاق، وبلغ درجة الاجتهاد كما شهد له بذلك مترجموه، وخدم الفقه المالكي بالخصوص خدمة جليلة بشرحه الكبير على كتاب القاضي عبدالوهاب «التلقين» [3]؛ فأبدع فيه، كاشفاً رموزه، ومجلياً فوائده، فجاء الكتاب سابقاً، حتى صار عمدة لكل من تصدّى لشرح كتاب القاضي عبدالوهاب من بعده.

ويكفي المازري ثناءً ما قاله تلميذه بالإجازة القاضي الجليل والحافظ الفقيه عياض بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤هـ: «إمام بلاد أفريقية وما وراءها من المغرب، وآخر المستقلّين من شيوخ أفريقية بتحقيق الفقه، ورتبة الاجتهاد ودقة النظر ....، دَرَسَ أصول الفقه والدين وتقدم في ذلك فجاء سابقاً، لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض في وقته أفقه منه ولا أقوم لمذهبهم، وسمع الحديث وطالع معانيه، واطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب والآداب وغير ذلك، فكان أحد رجال الكمال في العلم في وقته، وإليه كان يُفزع في الفتوى في الطب في بلده كما يُفزع إليه في الفتوى في الفقه، وكان حسن الخلق، مليح المجالسة أنيسه، كثير الحكاية وإنشاد قطع الشعر» [4].

أمّا كتابه «شرح التلقين» فله قيمة علمية نادرة، حيث إن المازري فرغ فيه ما وسعه علمه، فضمنه فقه المالكية مع التعرض لأقوال المذاهب الأخرى وأقوال فقهاء الأمصار، مع عرض الأدلة وأسباب الخلاف؛ ولقيمته العلمية اعتمده الشيخُ خليل بن إسحاق في «مختصره» مع ثلاثة كتب أخرى من أعظم كتب المالكية هي: «التبصرةُ» لأبي الحسن علي بن محمد اللخمي ت ٤٧٨هـ شيخ المازري، و«جامع مسائل المدونة» لأبي بكر محمد بن عبدالله بن يونس التميمي الصقلي ت ٤٥١هـ، و«البيان والتحصيل» لأبي الوليد محمد بن أحمد المعروف بابن رشد الجدّ ت ٥٢٠هـ [5]. وقد أثنى العلماء على الكتاب منهم ابن بزيزة حيث قال: «وقد شرحه – يعني التلقين – أبو عبدالله المازري شرحاً في غاية من الإتقان، محيطاً بكليات مسائل المذهب، منفسح الأغراض» [6]، وقال الحافظ الذهبي: «هو من أنفس الكتب» [7].

ومما يزيد من قيمة الكتاب وفرة المصادر التي اعتمد عليها المازري في تأسيس كتابه «شرح التلقين» وهذا ما أحاول إن شاء الله تعالى بيانه في هذا المقال.

إن الناظر في هذا الكتاب يلاحظ في مادته العلمية أنها ثلاثة أنواع:

الأول: حصيلة المازري العلمية وهي أهم مصادره في هذا الكتاب، ويظهر ذلك جلياً فيما ملأ به الكتاب من استنباطات للأحكام وتخريجات للمسائل واستدلالات لها بالمنقول والمعقول، وشروح لأقوال العلماء وتوجيه اختلاف الفقهاء، وغير ذلك من مباحث متنوعة سطرها قلم المازري تسطيراً دل على علو كعبه في العلوم الشرعية عموماً والفقه المالكي خصوصاً.

الثاني: المصادر الشفهية وهم شيوخه الذين كان كثيراً ما يباحثهم ويسائلهم ويكاشفهم فيما أشكل عليه وفي مقدمتهم شيخه أبو الحسن اللخمي الذي أكثر من ذكر تخريجاته للمسائل الفقهية، لكنه إكثارٌ مصحوب بشخصية العالم الذي لا يكتفي بمجرد النقل بل يمحص ما ينقله

ويناقش ما يراه مخالفاً للصواب، وكذلك كان المازري مع شيخه اللخمي حيث خالفه في كثير من تخريجاته للمسائل الفقهية، ومن ذلك قوله : «وقد منع مالك من الائتمام بمن يقرأ بقراءة ابن مسعود، وروى عنه ابن وهب أنه قال : «أقْرأ ابن مسعود رجلاً : ﴿**إن شجرة الزقوم طعام الأثيم**﴾ [٨]، فجعل الرجل يقول : طعام اليتيم، فقال ابن مسعود : طعام الفاجر»، فقلت لمالك : أترى أن يُقرأ كذلك؟ فقال نعم، أرى ذلك واسعاً، فخرّج أبو الحسن اللخمي على هذه الرواية جواز الائتمام بمن يقرأ بقراءة ابن مسعود، ورآه موافقاً لقول ابن شهاب في تأويل قوله : «أنزل القرآن على سبعة أحرف» . فهذا التخريج زللٌ، والمسألة عظيمة الموقع، وأقل ما في الإبدال تحكم التمني والشهوة، وإفساد بلاغة القرآن، ومن علم ما يطلبه البلغاء من تناسب النظام، علم ما قلناه» [٩] .

ومن هذا الباب ما يذكره المازري مما يحدث في مجالس المذاكرة، ومن أمثلة هذا قوله : والجاري على الألسنة في المذاكرة – وهي طريقة بعض الأشياخ – أن القول بأن ستر العورة فرض يقتضي بطلان الصلاة إذا لم تستر، وأن القول بأنها سنة لا يقتضي بطلان الصلاة إذا لم تستر» [١٠] .

الثالث – الكتب :

لقد اعتمد المازري في «شرح التلقين» على كتب كثيرة ومتنوعة ويمكن تقسيمها باعتبارات عدة :

فباعتبار التصريح بها وعدمه هي قسمان : كتب صرح بأسمائها وكتب لم يصرح بأسمائها واكتفى بذكر اسم المؤلف فقط، ثم إن التي صرح بأسمائها قد يذكر معها اسم المؤلف وقد يغفله ؛ فالحاصل بعد هذا أربعة أقسام :

الأول : كتب صرح بأسمائها وأسماء مؤلفيها كقوله : «التفريع لابن الجلاب» .

الثاني : كتب صرح بأسمائها دون أسماء مؤلفيها كقوله : «وفي المبسوط» .

الثالث : كتب لم يصرح بأسمائها وصرح بأسماء مؤلفيها كقوله : «في كتاب ابن سحنون» .

الرابع : كتب لم يصرح بأسمائها ولا أسماء مؤلفيها كقوله : «حكى بعض المصنفين» .

ويمكن تقسيمها باعتبار مادتها إلى أقسام هي : كتب حديثية، وكتب فقهية، وكتب لغوية .

وباعتبار النقل منها هي قسمان : كتب نقل عنها مباشرة، وكتب نقل عنها بواسطة .

وسأذكرها بالاعتبار الثاني منبهاً على ما صرح به مما لم يصرح ، وما نقل عنه مباشرة مما نقل عنه بواسطة، وذلك في فروع ثلاثة :

الفرع الأول – كتب الحديث :

– صحيح البخاري : لمحمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ، اعتمد عليه المازري قائلاً : «وفي البخاري» [١١]،[١٢]، «في الصحيح» [١٣]، «رواه البخاري أيضاً في صحيحه» [١٤]، فهذه مواطن صرح فيها باسم الكتاب، وثمة مواطن اكتفى فيها باسم البخاري فقط : «خرجه البخاري» [١٥]، «وهكذا قال البخاري» [١٦]، «خرج البخاري» [١٧]، «ذكر البخاري» [١٨] .

– صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١هـ، صرح به قائلاً : «كتاب مسلم» [١٩]، وفي مواطن اكتفى باسم مسلم فقط : «خرجه مسلم» [٢٠]، «خرج مسلم» [٢١]، «في رواية مسلم» [٢٢] . والملاحظ أن المازري أحياناً يستعمل كلمة «في الصحيح» وبرجوعي إلى «الصحيحين» [٢٣] أجد الحديث فيهما، كما يستعمل عبارة «في الصحيحين» . ويعني بهما اتفاق البخاري ومسلم على إخراج الحديث .

– الموطأ : لمالك بن أنس الأصبحي الإمام ت ١٧٩هـ، اعتمد عليه المازري مصدراً حديثياً لاحتوائه على أحاديث نبوية وآثار عن الصحابة والتابعين ، ومصدراً فقهياً لاحتوائه على آراء مالك .

فمن الأول قوله : «رواه مالك في موطئه» [٢٤]، «ذكر مالك في موطئه» [٢٥] ، «خرّج مالك في الموطأ» [٢٦]، «رواه في الموطأ» [٢٧] .

ومن الثاني قوله : «وهكذا في الموطأ أنه يقصر حتى يدخل أول بيوت المصر ...» (٢٨)، «فمذهب مالك في الموطأ أن لها وقتين» (٢٩) .

– **السنن : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ**، اعتمده المازري لكن لم يصرح به واكتفى فقط باسم أبي داود «خرجه النسائي وأبو داود»(٣٠)، كما نقل عنه بالواسطة «ذكر بعضهم أن هذا ذكره أبو داود» (٣١) .

– **السنن : لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩هـ**، اعتمده المازري قائلاً : «في الترمذي» (٣٢)، (٣٣)، خرجه الترمذي» (٣٤)، «خرج الترمذي» (٣٥) .

– **السنن : لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت٣٠٣هـ**، اعتمده المازري قائلاً : «في النسائي» (٣٦)، (٣٧)، «وقد أدخل النسائي هذا الحديث في كتابه على أنه حجة»(٣٨)، وقد يكتفي بذكر اسم النسائي فقط : «خرجه النسائي» (٣٩)، «أخرجه النسائي» (٤٠) .

– **المسند : لمحمد بن عبدالله بن سنجر الجرجاني ت ٢٥٨هـ**، اعتمده المازري قائلاً : «في مسند ابن سنجر»(٤١)، «ودليلنا ما رواه ابن سنجر في كتابه» (٤٢)، وقد يكتفي باسم المؤلف فقط : «فذكر ابن سنجر» (٤٣) . والكتاب حسب علمي في عداد المفقودات .

– **الموطأ : لأبي محمد عبدالله بن وهب المصري ت ١٩٧هـ**، وهو أحد كبار تلاميذ مالك المصريين، وقد اعتمد المازري كتابه قائلاً : «في موطأ ابن وهب» (٤٤)، وقد يكتفي بنقل مادة عن ابن وهب دون أن يحدد اسم الكتاب كقوله : «روى ابن وهب» (٤٥)، مع ملاحظة أن هذا الموطن اعتمد فيه على سحنون في «المدونة» التي ضمنها مادة لا بأس بها عن ابن وهب من أحاديث وآثار . والظاهر أن هذا الكتاب هو «الموطأ الكبير» لابن وهب أحد أهم مصادر «المدونة»، قال فؤاد سزكين : «الموطأ الكبير : يكاد هذا الكتاب أن يكون أهم مصدر للمدونة» (٤٦) .

الفرع الثاني – كتب ا لفقه :

– **المدونة الكبرى : لسحنون وهو عبدالسلام بن سعيد التنوخي ت ٢٤٠هـ** : وقد كثر استعمال المازري لهذا المصدر كثرة ظاهرة نظراً لأهميته في مذهب مالك فقد حوى أقوال مالك وأقوال تلاميذه كابن القاسم وأشهب، كما حوى ثروة من الأحاديث والآثار مما رواه عبدالله بن وهب وسحنون بأسانيدهما، ولأهمية هذا الديوان تعرض له المازري بالشرح في كتاب مستقل ذكره مترجموه .

وقد تنوع اعتماد المازري على «المدونة» وتنوعت لذلك عباراته فنجد مثلاً : «منع في المدونة»، «قال في المدونة»، «ففي المدونة»، «كره في المدونة»، «نقلناه عن المدونة»، «محمل ما في المدونة»، «فعلى المدونة»، «ذكر في المدونة»، «أجازه في المدونة»، «ما حكيناه عن المدونة»، «فظاهر المدونة»، «ذكر ابن حارث أنه رواية ابن غانم في المدونة» «المشهور من رواية المدونة»، «فرق في المدونة»، «فمذهب المدونة»، «قول مالك في المدونة»، «مسألة المدونة»، «فأما أمر ابن القاسم له في المدونة»، «وقع في المدونة»، «فقال ابن القاسم في المدونة»، «قال ابن قسيط في المدونة»، «ووقع في المدونة»، «سئل في المدونة»، «رواية المدونة»، «لفظ المدونة» (٤٧) .

– **السماع : لأبي محمد عبدالله بن وهب المصري ت ١٩٧هـ**، اعتمده المازري قائلاً : «قال مالك في سماع ابن وهب» (٤٨)، وسماع ابن وهب عبارة عما سمعه ابن وهب من شيخه مالك بن أنس فقد قال ابن فرحون في ترجمة ابن وهب : «ألف تآليف كثيرة حسنة عظيمة المنفعة منها سماعه من مالك ثلاثون كتاباً» (٤٩)، إذا «لم يكن مالك يتكلم بشيء إلا كتبه ابن وهب» (٥٠) .

– **المبسوط : لأبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق، القاضي البصري ت ١٩٩هـ** : اعتمد عليه المازري في نقل أقوال لمالك غالباً ما تكون مخالفة لأقواله في «المدونة» كقوله : «وأمّا الصلاة بين الأساطين لغير ضرورة فظاهر المدونة كراهته لتقييده الإجازة بالضرورة، وفي المبسوط إجازته اختياراً» (٥١)، أو أقوال مخالفة للمشهور من المذهب كقوله : «المشهور من المذهب أن من تنقل بعد وتر

فإنه لا يعيد الوتر . وقال في المبسوط - فيمن أوتر ثم ظن أنه لم يصلّ إلا ركعتين فأوتر بركعة ثم ذكر بعد أن فرغ أنه كان أوتر «فإنه يضيف إليها أخرى ثم يستأنف الوتر»(٥٢) . كما اعتمده المازري في نقل أقوال علماء المذهب كقوله : «ذهب ابن القاسم في المبسوط» (٥٣)، وقوله: «وفي المبسوط قال ابن مسلمة» (٥٤) . وكذا ينقل منه أقوالاً لمؤلفه إسماعيل بن إسحاق القاضي كقوله : «وقد قال القاضي إسماعيل في المبسوط ...» (٥٥) .

وثمة مواطن أخرى ينقل فيها المازري عن إسماعيل القاضي دون التصريح بكتابه «المبسوط» : «روي عن إسماعيل القاضي»، «قال إسماعيل»، «ذكره القاضي إسماعيل»، «ذكر القاضي إسماعيل القاضي»، «وبه قال إسماعيل القاضي»، «خالف فيه إسماعيل القاضي» .

وقد قال سزكين عن القاضي وكتابه : « ... كان قاضي بغداد وممثلاً بارزاً للمالكية في العراق وقد أثرت مؤلفاته ومن بينها الكتاب المذكور هنا وهو كتاب المبسوط على نشر الفقه المالكي في العراق» (٥٦) .

ولقيمته العلمية جعله ابن عبدالبر أحد الكتب السبعة التي اعتمد عليها في تأليف كتابه «الكافي في فقه أهل المدينة المالكي» (٥٧) .

والكتاب - حسب علمي - في عداد ما فقد من تراث القاضي إسماعيل وتوجد نقول كثيرة عنه في كتاب ابن أبي زيد القيرواني (٥٨)، ويكون المازري بالنقول التي نقلها عن الكتاب ممن أسهم في حفظ شيء من مادته .

- الموازية : لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن زياد ابن المواز ت ٢٦٩هـ : وقد أكثر المازري نقل أقوال مالك منه : «فقال مالك في الموازية» (٥٩)، وأقوال علماء المذهب: «من قول أشهب في الموازية» (٦٠) ، وقد لا يصرح باسم الكتاب كقوله : «قد ساوى ابن عبدالحكم في كتاب ابن المواز» (٦١)، كما أنه يكتفي أحياناً بذكر قول ابن المواز فقط : «قد قال ابن المواز» (٦٢) .

وعن أهمية هذا الكتاب يقول القاضي عياض - في ترجمة ابن المواز - : «وله كتابه المشهور الكبير وهو أجل كتاب ألفه قدماء المالكيين وأصحه مسائل وأبسطه كلاماً وأوعبه، وذكره أبو الحسن القابسي ورجحه على سائر الأمهات وقال : لأن صاحبه قصد إلى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم في تصنيفه ...» (٦٣) .

ومن كتاب «الموازية» قطعة قديمة في ١٥ ورقة في ملك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٦٤)، كما احتفظ ابن أبي زيد القيرواني في كتابه «النوادر والزيادات» بنقول جمة عنه (٦٥).

- الثمانية : لأبي زيد عبدالرحمن بن إبراهيم بن عيسى القرطبي ت ٢٥٨هـ، وقد استعمل المازري هذا الكتاب في مواطن قليلة لم تتجاوز الأربعة «وفي الثمانية لمالك : إن الجمعة تجزئه» (٦٦)، و «في الثمانية عن ابن الماجشون» (٦٧)، «فإن قلنا بما قاله ابن الماجشون في ثمانية أبي زيد» (٦٨)، «وفي الثمانية عن مطرف» (٦٩) .

وعن هذا الكتاب يقول ابن فرحون : «وله من أسئلة المدنيين ثمانية كتب تعرف بالثمانية مشهورة» (٧٠) .

- السليمانية : لأبي الربيع سليمان بن سالم القطان القاضي المعروف بابن الكحالة ت ٢٨١هـ، اعتمد عليه المازري في مواطن قليلة لم تتجاوز الأربعة : ففي السليمانية» (٧١) . وفيها نقلٌ لأقوال تلاميذ مالك ابن القاسم وأشهب وغيرهما .

وعن الكتاب يقول القاضي ابن فرحون : «وله تأليف في الفقه يعرف بكتاب السليمانية» (٧٢) .

والكتاب - حسب علمي - في عداد المفقود، وتوجد اقتباسات كثيرة منه عند معاصره أبي العرب التميمي في كتابه «طبقات علماء أفريقية وتونس» وقد كان يملك نسخة منه : «قال أبو العرب : قد رأيتُ في كتاب سليمان بن سالم بخط يده وأنا أعرف خطه» (٧٣) . كما توجد اقتباسات عند عبدالحق الصقلي في كتابه «تهذيب الطالب» (٧٤).

الواضحة : لأبي مروان عبدالملك بن حبيب السلمي القرطبي ت ٢٣٨هـ، وقد أكثر المازري النقل عن هذا الكتاب عازياً الكلام لابن حبيب : «فقال ابن حبيب»، «قول

ابن حبيب»، «اعتل ابن حبيب»، «حكاه ابن حبيب»، «ذكر ابن حبيب»، «نقلنا عن ابن حبيب»، «ذكرناه عن ابن حبيب»، «فراعى ابن حبيب» [٧٥]، وغير ذلك

وقد صرح المازري باسم الكتاب «في الواضحة» [٧٦]، أو يقول : «كتاب ابن حبيب» [٧٧] .

«ويعتبر كتاب الواضحة من أهم الكتب الفقهية في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، وقد حظي هذا الكتاب بمكانة متميزة بصفة خاصة في بلاد الأندلس» [٧٨] ؛ من أجل هذا جعله ابن عبدالبر أحد الكتب السبعة التي اعتمد عليها في تأليف كتابه «الكافي في فقه أهل المدينة المالكي» [٧٩] . ويذكر ابن فرحون مقصد ابن حبيب في «الواضحة» قائلاً : «قصد إلى بناء المذهب على معان تأدت إليه، ولا بما قنع ببعض الروايات على ما فيها» [٨٠] .

– **المجموعة : لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير ت ٢٦٠هـ** : وقد كثر اعتماد المازري على هذا الكتاب ناقلاً منه أقوال مالك وأقوال تلاميذه : «ولمالك في المجموعة»، «قول مالك في المجموعة»، «فأجازه مالك في المجموعة»، «وقال أشهب في المجموعة»، و «وفي المجموعة عن سحنون» [٨١] .

قال ميكلوش موراني : «وفقًا لمعلوماتنا الحالية عن مجموعات المخطوطات الموجودة في المكتبات فإنه لم تبق قطعة من الكتاب، ومن الممكن البحث عن مضمونه أحياناً في الرواية المذكورة في كتاب النوادر والزيادات فقط» [٨٢] .

– **العتبية وتسمى أيضاً المستخرجة : لمحمد بن أحمد ابن عبدالعزيز العتبي القرطبي ت ٢٥٥هـ** : وكثر استعمال المازري لهذا الكتاب «قال مالك في العتبية»، «ذكر مالك في العتبية»، «وقد قيل لمالك في العتبية»، «ذكر ابن القاسم في العتبية»، «ظاهر المستخرجة»، «قال مالك في المستخرجة»، «في المستخرجة قال ابن القاسم» .

وهذا الكتاب «عبارة عن حصر شامل لمعلومات فقهية يرجع معظمها لابن القاسم العتبي عن مالك بن أنس، وهي برواية من جاؤوا بعده مباشرة، كما أنها تحتوي أيضاً على آراء فقهية لتلاميذ مالك وخلفائه ...» [٨٣] .

قال ابن لبابة : «كثير فيها من الروايات المطروحة والمسائل الشاذة ، وكان يؤتى بالمسألة الغريبة فإذا أعجبته قال : أدخلوها في المستخرجة» [٨٤] .

ومع ذلك حظي الكتاب بمكانة عالية عند المالكية بأفريقية لذا قال ابن حزم : «لها بإفريقية القدر العالي والطيران الحثيث» [٨٥] .

وقد احتفظ لنا ابن رشد الجدّ بهذا الكتاب من خلال شرحه المسمى «البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة» .

– **المدنية : لأبي زيد عبدالرحمن بن دينار بن واقد الغافقي ت ٢٠١هـ** : ذكر المازري كتابه مرة واحدة فقال : «في المدنية عن مالك» [٨٦] .

وعن الكتاب يقول القاضي عياض : «وهو الذي أدخل الكتب المعروفة بالمدنية، سمعها منه أخوه عيسى، ثم خرج بها عيسى فعرضها على ابن القاسم» [٨٧] .

– **المختصر الكبير في الفقه : لعبدالله بن عبدالحكم ابن أعين المصري ت ٢١٤هـ** : اعتمد عليه المازري في نقل أقوال مالك : «أطلق مالك في المختصر» [٨٨]، «قال مالك في مختصر ابن عبدالحكم» [٨٩]، «على أن في المختصر الكبير» [٩٠] ، «قال مالك في المختصر» [٩١]، «ولمالك في المختصر» [٩٢] .

وهذا الكتاب اختصر فيه مؤلفه عبدالله بن عبدالحكم ما سمعه من ابن وهب وابن القاسم وأشهب بألفاظ مقربة، ثم اختصر منه كتابه الآخر : «المختصر الصغير»، وعليهما مع غيرهما من كتبه عن مالك يُعول البغداديون من المالكيين في المدارسة وإياهما شرح أبو بكر الأبهري [٩٣] .

«ويمكننا إعادة تكوين كتاب المختصر الكبير على نحو جيد عن طريق الشرح الذي كتبه الأبهري، ولدينا منه عدد كبير من المخطوطات وإن كانت غير كاملة» [٩٤] .

– **مختصر ما ليس في المختصر : لأبي إسحاق**

محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطي ت ٣٥٥هـ : وقد اعتمد عليه المازري مصرحاً به تارة ومشيراً إليه أخرى : «ولمالك في مختصر ابن شعبان»، «وقال في كتاب ابن شعبان»، «وروي ابن شعبان في مختصره»، «وروي ابن شعبان عن مالك» .

وكتب ابن شعبان عموماً «فيها غرائب من قول مالك، وأقوال شاذة عن قوم لم يشتهروا بصحبته ليست مما رواه ثقات أصحابه، واستقر من مذهبه» [٩٥] .

– المدونة : لأبي عمرو أشهب بن عبدالعزيز القيسي ت ٢٠٤هـ، صرح به المازري قائلاً : «وأجازه أشهب في مدونته» [٩٦]، «قال أشهب في مدونته» [٩٧]، وأبهمه في موطنين قائلاً : «قال أشهب في كتابه» [٩٨]، «قدمنا ما قاله أشهب في كتابه» [٩٩] . وثمة أقوال أخرى أثبتها المازري في كتابه هذا وهي في غاية الكثرة ولم يصرح باسم المصدر الذي نقلها منه إلا في بعض المواطن كقوله : «قول أشهب في الموازية» [١٠٠]، «قال أشهب في المجموعة» [١٠١] . وواضح أنها مصادر ليست من تأليف أشهب إذ «الموازية» لمحمد ابن المواز، و«المجموعة» لابن عبدوس .

وعن «مدونة أشهب» يقول القاضي عياض : «ألف أشهب كتابه المدونة، رواها عنه سعيد بن حسّان، وهو كتاب جليل كبير كثير العلم» [١٠٢] .

وقد «ألفها أشهب على نسق الأسدية مخالفاً لابن القاسم في أكثر آرائه» [١٠٣] يقول القاضي عياض : «لما قرأ أسد على ابن القاسم الأسدية وضع أشهب يده في مثلها فخالفه في جلها ... وأقامها لنفسه، واحتج لبعضها فجاء كتاباً شريفاً» [١٠٤] .

فكانت لأشهب آراء اجتهادية خالف بها مذهب مالك فحين أتى إليه أسد بن الفرات طالباً منه الإجابة على أسئلته أجابه أشهب فاستفسر أسد عن صاحب تلك الأجوبة : «من يقول هذا ؟ فقال أشهب : هذا قولي...» [١٠٥] .

يؤيد هذا المنحى الاجتهادي من أشهب ما ذكره القاضي عياض حيث قال : «جلس أشهب يوماً بمكة إلى ابن القاسم فسأله رجل مسألة فتكلم فيها عبدالرحمن[١٠٦]، فمعر له أشهب وجهه وقال : ليس كذلك، ثم أخذ يفسرها ويحتج فيها . فقال ابن القاسم : الشيخ يقوله – عافاك الله – يعني مالكا . فقال أشهب : لو قاله ستين مرة» [١٠٧] .

وتتجلى اجتهادات أشهب في كتاب المازري «شرح التلقين» حيث أكثر من ذكر أقواله التي خالف فيها أقوال مالك وابن القاسم فمن ذلك : ما قاله المازري : «وقد ذكر مالك أنه لم يبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم ركع حينئذٍ للفجر وقال : لا يركع النائم حتى يبدو حاجب الشمس للفجر، وإن كانت ركعتا الفجر من سنن هذه الصلاة .

فأنت ترى مالكاً كيف نهى عن ركوعهما خوفاً من زيادة الفوات، وإن كان قد قال أشهب : بلغني «أن النبي صلى الله عليه وسلم ركع» [١٠٨] . وقال أيضاً : «ولو كان لم يدرك إلا الثانية من الجمعة وزوحم عن سجودها حتى سلم الإمام : فقال ابن القاسم : لا تجزئه الجمعة .

وقال أشهب : بل تجزئه ويسجد ثم يقضي الركعة لقوله صلى الله عليه وسلم : «من أدرك الركعة فقد أدرك السجدة» [١٠٩] .

المولدات : لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالحكم ت ٢٦٨هـ، صرح به المازري قائلاً : «وقد ذكر ابن عبدالحكم في المولدات أن أشهب ذهب إلى صحة صلاة المأموم وإن علم المأموم بحدثه» [١١٠] . لكن مع ملاحظة أن الباجي سبق المازري إلى النقل عن هذا الكتاب في هذه المسألة مما يجعل احتمال نقل المازري عنه بالواسطة قال الباجي : «وروى ابن عبدالحكم في المولدات عن أشهب أن صلاة المأموم صحيحة في الوجهين» [١١١] .

وقد عزا هذا الكتاب إلى محمد بن عبدالله بن عبدالحكم القاضي عياض [١١٢] .

– الحاوي : لأبي الفرج عمرو بن محمد الليثي البغدادي ت ٣٣١هـ، صرح بالنقل عنه المازري في «شرح التلقين» [١١٣] . وقد عزا هذا الكتاب إليه القاضي عياض

فقال : «له الكتاب المعروف بالحاوي في مذهب مالك رحمه الله تعالى» (١١٤).

– التفريع : لأبي القاسم عبيدالله بن الحسين بن الجلاب البصري ت ٣٧٨هـ : وقد صرح به المازري قائلاً : «وقد وقع في بعض نسخ التفريع لابن الجلاب – في مسافر ائتم بحضري – «أنه يتم معه أربعاً ثم يعيد في الوقت وبعده» (١١٥) . لكن مع ملاحظة أن شيخ المازري أبا الحسن اللخمي سابق بهذه العبارة مما يقوي أن المازري استعمل «التفريع» بواسطة شيخه المذكور . وثمة مواطن نقل فيها المازري عن الكتاب مكتفياً باسم المؤلف فقط «وعند ابن الجلاب» (١١٦)، «ولقد عد ابن الجلاب» (١١٧)، «ويجوز للمريض خاصة عند ابن الجلاب» (١١٨)، «قال ابن الجلاب» (١١٩) .

وكتاب التفريع لابن الجلاب من أجل كتب المالكية، قال ابن عبدالسلام : «كتاب التفريع المشهور قد اشتغل الناس به كثيراً، وعول عليه كثير من المالكيين بالاشتغال، وهو عظيم النفع، يقال: إن فيه ثمانية عشر ألف مسألة عن مالك سوى أصحابه» (١٢٠) .

وقد جرى العرف عند المالكية أن ما في كتاب ابن الجلاب «التفريع» فهو لمالك بن أنس إلا أن يعزوه المصنف لغيره ؛ قال ابن ناجي : «كل ما في الجلاب(١٢١) هو لمالك حتى ينص أنه لغيره ؛ ذكر هذا ابن عبدالسلام» (١٢٢) .

– الإشراف على مسائل الخلاف : للقاضي أبي محمد عبدالوهاب بن نصر البغدادي ت ٤٢٢هـ : صرح به المازري في موطنين من الكتاب قائلاً : «قال القاضي أبو محمد في إشرافه» (١٢٣) .

وهذا الكتاب فيه «تحرير للمسائل التي يجري فيها الخلاف بين المذاهب، ذاكراً رأي المالكية من غير تعرض لاختلاف الأقوال ، ثم يعقب آراء من خالف المالكية وما بنوا عليه مخالفتهم، وبعد ذلك يعرض لأدلة المالكية نصاً كانت أو استنباطاً وقياساً، كل ذلك في اختصار مركز غير مخل بالفحوى والمقصود» (١٢٤) .

– المعونة على مذهب عالم المدينة : له أيضاً، وقد صرح به المازري فيما ذكر ابن فرحون نقلاً عن «شرح التلقين» حيث قال : «قال المازري في شرح التلقين : وإن دفع رجل إلى الشهود صحيفة مطوية وقال لهم دافعها : اشهدوا عليَّ بما فيها ولم يعرف الشهود ما تضمنته فإن القاضي عبدالوهاب ذكر في المعونة أن في هذا روايتين عن مالك ...» (١٢٥) . وقد يشير إليه قائلاً : «وقد جمع القاضي أبو محمد في غير كتابه هذا ...»(١٢٦)، وبالرجوع إلى كتاب «المعونة» لاحظت تطابقاً تاماً بين السياقين ، مع العلم أن المازري في هذا الموطن مسبوق بنقل الباجي عن الكتاب واكتفائه بالإشارة إليه دون التصريح باسمه، مما يؤكد استعمال المازري لـ «المعونة» في هذا الموطن بالواسطة .

«والكتاب من حيث الفقه المحرر وتنظيم الفصول غاية في الإبداع ، وكثيراً ما يكون صنيعه أن يذكر الفقه محرراً أول الباب، ثم يتبعه فصولاً يوضح ما أجمله مع إشارته لدليل المالكية، وذكر من خالفهم والاحتجاج عليه، فهو بالجملة ديوان فقه قيم للغاية (١٢٧).

– شرح الرسالة : له أيضاً، وقد صرح به المازري في كتابه «شرح التلقين» (١٢٨) .

وهذا الكتاب شرح لـ «رسالة ابن أبي زيد القيرواني» سلك فيه القاضي عبدالوهاب مسلك الإسهاب، مما فتح له شهرة في أوساط علماء المدرسة القيروانية ومصر لما لـ «رسالة ابن أبي زيد» عندهم من تقدير عظيم (١٢٩) .

هذا وثمة مواطن يذكر فيها المازري بعض مؤلفات القاضي عبدالوهاب دون التصريح بأسمائها قائلاً : «قال القاضي أبو محمد في غير كتابه هذا» (١٣٠) . وبالمراجعة ألاحظ تطابقاً بين ما يذكره المازري وبين كتابي القاضي «الإشراف» و «المعونة»، وأحياناً يكون التطابق بين أحد الكتابين فقط .

– شرح مختصر ابن عبدالحكم : لمحمد بن أحمد بن محمد بن الجهم المعروف بابن الوراق المروزي ت ٣٢٩هـ :

صرح به المازري في باب البيوع فقال : «ووقفت لابن الجهم في شرحه مختصر ابن عبدالحكم على كون هذا البيع مكروهاً» (١٣١) .

– **شرح معاني الآثار : لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ت ٣٢١هـ** : نقل عنه المازري وسماه «معاني الآثار» (١٣٢)، وقد ينقل منه أقوال أئمة الحنفية كأبي يوسف لكن دون التصريح باسم الكتاب «الطحاوي عن أبي يوسف» (١٣٣) .

– **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك : لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ت ٤٩٤هـ** : وقد أكثر المازري النقل عن هذا الكتاب وتنوع إلى ما يلي :

أولاً : أن ينقل عنه مشيراً له بغير مصرح لا باسمه ولا اسم كتابه وهذا كثير جداً، كقوله : «قال بعض المتأخرين»(١٣٤)، «أشار بعض المتأخرين» (١٣٥)، «أشار بعضهم» (١٣٦)، «أشار بعض الأشياخ» (١٣٧)، «قال بعضهم» (١٣٨)، «قال بعض الحذاق» (١٣٩)، «قال بعض حذاق المتأخرين» (١٤٠)، «وقال غيره من المتأخرين» (١٤١)، «قال هذا المتأخر» (١٤٢)، «قال بعض أصحابنا» (١٤٣) . وهذه المواطن كلها يشير بها المازري للباجي بدليل التطابق التام بين ما ينقله وبين ما في كتاب الباجي «المنتقى» .

ثانياً : أن ينقل عنه مصرحاً باسمه ومشيراً لكتابه وهذا نادر جدا كقوله : «ثم بعد زمن طويل رأيت أبا الوليد الباجي أشار في كتابه إلى الطريقة التي كنت سلكتُ» (١٤٤) .

ثالثاً : أن ينقل عنه مصرحاً باسمه فقط وهذا نادر أيضاً كقوله : «قال أبو الوليد الباجي : تعلق أشهب بظاهر هذا اللفظ وقال : إن للمقيم رخصة في الجمع بين الصّلاتين لغير عذر مرضٍ ولا مطرٍ، وهو قول ابن سيرين»(١٤٥)، وقوله : «وعلل أبو الوليد الباجي هذا بأن واليها مستوطنٌ فالجمعة واجبةٌ عليه، فإذا وجبت عليه وجبت على المستنيب له وهو الإمام» (١٤٦)، وقوله : «وذكر أبو الوليد أن أصحابنا اختلفوا في القصر هل هو واجبٌ أو مندوبٌ إليه أو مباحٌ» (١٤٧) .

والحقيقة أن المازري استفاد جداً من هذا الكتاب في صياغة المسائل الفقهية وما يتبع ذلك من ذكر الأقوال والأدلة والمناقشات والتقسيمات، وما ذلك إلا لقيمة «المنتقى» العلمية فهو وإن كان شرحًا لكتاب حديثي «الموطأ» إلا أنه ملأه بفقه المالكية وأقوال أئمتهم مع الاستدلال والترجيح بحيث «ظهرت ملكة الباجي الحديثية والفقهية واضحة متميزة في هذا السفر الضخم، كما برزت قدرته الفذة على الجمع بين الطريقتين الفقهيتين المالكيتين : العراقية والقيروانية ، موظفاً ملكاته توظيفاً قديراً في عرض آراء المذهب المالكي بمدارسة المختلفة جنباً إلى جنب ، يظهر ذلك في استشهاداته بنصوص أبي إسحاق إسماعيل القاضي وآرائه وتخريجاته في مبسوطه ، والقاضي عبدالوهاب في تلقينه وإشرافه ومعونته وشرحه للرسالة، وابن الجلاب في تفريعه ، وابن القصار في عيونه، وأبي الفرج في حاويه، ممزوجة مع آراء أبي محمد بن أبي زيد في نوادره ومختصره ورسالته، مع الاعتماد على المدونة والواضحة والعتبية، إضافة إلى كتب المذهب الأخرى كالمجموعة والثمانية والمدنية والزاهي ومختصر ما ليس في المختصر، ولم يكتف الباجي باستيعاب آراء أمهات الكتب المالكية بل، قدم لنا آراء المذاهب الأخرى مقارناً وموجهاً» (١٤٨) .

وهناك أربعة مصادر من تأليف المازري أحال عليها في كتابه هذا «شرح التلقين» وهي :

– **قطع لسان النابح في المترجم بالواضح** : ذكره في باب الإمامة فقال : «وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة وتأويل قوله عليه السلام : أنزل القرآن على سبعة أحرف، وذكرنا تأويل ما ذكر عن ابن مسعود وابن شهاب في كتابنا المترجم بـ : قطع لسان النابح في المترجم بالواضح، وهو كتابٌ نقضنا فيه كتاباً ألفه بعض حُذاق نصارى المشرق قصد فيه إلى جمع المطاعن التي تشبث بها الملحدون وقدح بها الطّاعنون على ديننا، وأضافوها إلى العقل والنقل، فاكتفينا

بذكرها هناك عن ذكرها هاهنا ؛ لاشتغال أهل الأصول بالخوض فيها دون أهل الفروع» [١٤٩] .

– **المعلم بفوائد مسلم** : أحال عليه في مسألة الغبن في المبيع من كتابه «شرح التلقين» [١٥٠] .

– **إملاء على البخاري** : أحال عليه فقال : «... وقد أوعبنا الكلام على جميعها ... فيما أملينا على البخاري، فمن أحب الوقوف عليه فليلتمسه هناك» [١٥١] .

– **كشف المحصول من برهان الأصول** : أحال عليه فقال : «وهذا الذي أشار إليه من مقدمة القياس على خبر الواحد مسألة مشهورة في أصول الفقه ذكرنا حكمها في كتابنا المترجم بكشف المحصول من برهان الأصول» [١٥٢] .

وثمة كتب لم يصرح بأسمائها واكتفى بأسماء مؤلفيها وهي :

– **كتاب ابن سحنون (أبي عبدالله محمد بن سحنون ت ٢٥٦هـ)** : هكذا أبهمه المازري في مواطن عديدة من كتابه ناقلاً منه أقوالاً لمالك وتلاميذه وغيرهم من أئمة المذهب : «وعن ابن القاسم في كتاب ابن سحنون»، «وقال مالك في كتاب ابن سحنون»، «ولمالك في كتاب ابن سحنون»، كما لم يخله من ذكر أقوال ابن سحنون نفسه : «وقال ابن سحنون في كتابه»، ومن الصعب الجزم بتعيين المراد بـ «كتاب ابن سحنون» هذا ؛ نظراً لتعدد كتبه، لكن يغلب على الظن أن المراد به كتابه «الجامع» الذي قال فيه ابن فرحون : «كتابه الكبير المشهور الجامع، جمع فيه فنون العلم والفقه فيه عدة كتب نحو الستين كتاباً» [١٥٣]. وثمة مواطن أخرى نقل فيها المازري عن ابن سحنون دون التصريح باسم الكتاب الذي نقل منه : «وحكى هذا المذهب ابن سحنون عن أبيه»، «وحكى ابن سحنون عن بعض أصحابنا»، «ذكر ابن سحنون أن ابن نافع»، «على ما ذكره ابن سحنون عن مالك»، «وأشار ابن سحنون»، «احتج ابن سحنون لهذا المذهب» .

– **كتاب ابن قرّة** : ذكره المازري في «شرح التلقين» [١٥٤] .

– **كتاب ابن كنانة (عثمان بن عيسى بن كنانة ت ١٨٦هـ)** : صرح المازري بالنقل عن كتابه لكن دون أن يسميه : «قال ابن كنانة في كتابه»، وفي مواطن أخرى اكتفى بنقل كلامه فقط: «فقال ابن كنانة»، «وبه قال ابن كنانة»، «ولابن كنانة في غير الموازية»، «وقال ابن كنانة وابن أبي حازم : ينتظر» .

– **كتاب ابن مزين (يحيى بن زكرياء بن إبراهيم بن مزين الطليطلي ت ٢٥٩هـ)** : ذكره المازري دون التصريح باسم كتابه : «في كتاب ابن مزين» [١٥٥]، ويغلب على الظن أن المراد بـ «كتاب ابن مزين» هو «تفسير الموطأ» «وتوجد عدة قطع منه محفوظة بالقيروان ...، ويعرض الكتاب – وفق أقواله – مجموعة من المسائل وجهها ابن مزين إلى عيسى بن دينار ت ٢١٢هـ، ويحيى بن يحيى ت ٢٣٤هـ، ومحمد بن عيسى المعافري ت ٢٢٥هـ حول المواد الفقهية التي تناولها الموطأ» [١٥٦] .

وفعلاً نجد عند المازري سؤالاً موجهاً من ابن مزين إلى شيخه عيسى بن دينار : «قال ابن مزين : قلت لعيسى: لم كان الناس يصلون في حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟ من ضيق المسجد ؟ فقال : كانوا يدخلونها بغير إذن» [١٥٧] .

وثمة مواطن أخرى نقل المازري فيها عن ابن مزين دون ذكر لكتاب : «وذكر ابن مزين عن أصبغ»، «وحكى ابن مزين»، «فحكى ابن مزين عن ابن نافع»، «ذكر ابن مزين عن ابن القاسم»، ومن المحتمل جداً أن تكون من الكتاب السابق نفسه «تفسير الموطأ» .

– **كتاب ابن حارث (أبي عبدالله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني ت ٣٦١هـ)** : اعتمد عليه المازري دون التصريح باسم الكتاب : «ونقل ابن حارث هذا السؤال في كتابه» ، «فحكى ابن حارث عن سحنون»، «وذكر ابن حارث أنها رواية ابن غانم في المدونة» . ومن المحتمل جداً أن يكون المراد بـ «كتاب ابن حارث» هو كتاب «الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك» الذي ذكرته المصادر له [١٥٨]، وهو كتاب يوحي عنوانه أنه

يتناول مسائل الاتفاق والاختلاف داخل مذهب مالك، يؤكد هذا ما نقله المازري عن ابن حارث من مسائل فيها حكاية للاتفاق والاختلاف .

– «قال ابن حارث : اتفقوا على أن من دخل في صلاة المقيم في المساجد الثلاثة العظام أو في جوامع الأمصار ومع الإمام الأكبر أنه يتم ولا تجب عليه إعادةٌ» .

– «فأشار ابن حارث إلى أنه اختلاف قول في إعادتهما ، وعقّب نقله اختلاف قول مالك بقول سحنون : ليس عليه أن يعيدهما» .

– «قدّمنا ما حكاه ابن حارث من الاختلاف في المريض يُصلي بالمرضى فيصحّ بعض من خلفه» .

– كتاب ابن المنذر (أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ت ٣١٨هـ) : هكذا أبهم المازري اسم كتابه فقال : «كتاب ابن المنذر» [١٥٩]، ولا شك أن المراد به كتابه «الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف» بدليل التطابق التام بين ما ينقله المازري عن ابن المنذر وبين ما في كتابه «الأوسط» . وقد نقل المازري عن ابن المنذر أقواله واختياراته الفقهية واستدلالاته : «وقال الثوري وأبو ثور وابن المنذر»، «وقال النخعي والحكم ... وابن المنذر»، «وبالكراهة قال أبو حنيفة وداود وابن المنذر»، «ذهب ابن سيرين وابن المنذر إلى إجازة الجمع للحاضر من غير عذر»، «وقال ابن المنذر : يجوز فعل النوافل بعد العصر إلى تصفر الشمس»، «وأما ابن المنذر فإنه يحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ...» .

– بعض التعاليق عن الشيخين أبي القاسم ابن الكاتب وأبي عمران : هكذا صرح به المازري فقال : «ورأيت في بعض التعاليق عن الشيخين أبي القاسم بن الكاتب وأبي عمران» [١٦٠]، والمازري هنا يشير إلى كتابين لمؤلفين مالكيين :

أحدهما : أبو القاسم عبدالرحمن بن علي بن محمد الكناني المعروف بابن الكاتب الفقيه المشهور ت ٤٠٨هـ، ويشير ابن مخلوف إلى كتابه دون أن يسميه قائلاً : «له تأليف كبير في الفقه» [١٦١] . وقد نقل المازري عنه بعض أقواله : «قال الشيخ أبو القاسم بن الكاتب»، «واستدل الشيخ أبو القاسم بن الكاتب» .

الثاني : أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاجٍّ يحُجُّ الفاسي القيرواني ت ٤٣٠هـ، وكتابه المشار إليه هو «التعاليق على المدونة» أثنى عليه ابن فرحون فقال : «كتاب جليل لم يكمل» [١٦٢] . وثمة أقوال أخرى نقلها المازري عن أبي عمران دون التصريح باسم الكتاب الذي نقل منه تلك الأقوال : «وقال أبو عمران»، «قال الشيخ أبو عمران»، «وإلى هذا نحا الشيخ أبو عمران» [١٦٣]، «وإليه ذهب أبو عمران» [١٦٤]، «فمنع أبو عمران» [١٦٥] .

– ما علق عن ابن الكاتب وابن مناس : هكذا ذكره المازري : «ورأيت فيما علق عن ابن الكاتب وابن مناس» . أما ابن الكاتب وكتابه فقد تقدم الآن الكلام عليه . وأما ابن مناس فهو أبو موسى يحيى ابن مناس القيرواني ولم أعثر له على ترجمة، غير أن له فتاوى في «المعيار» للونشريسي وأقوالاً في «الذخيرة» للقرافي .

هذا وثمة مادة ينقلها المازري عن بعضهم مشيراً لهم بـ «رأيتُ»، و«حكى» ونحو ذلك مما صعب الوقوف على أسمائهم وأسماء مؤلفاتهم كقوله : «رأيت بعض أصحابنا»، «حكى بعض المصنفين»، «رأيت في كتب أصحابه – يعني أبا حنيفة»، «رأيت في كتب أصحابه – يعني الشافعي»، «ورأيت في كتب المخالفين»، «وأنكر بعض الناس» . لكن أمكنني معرفة بعضها فقوله : «إن كان بعض المتأخرين رأيته قد ...» [١٦٦] . يشير به المازري إلى ابن يونس الصقلي صاحب «الجامع في مسائل المدونة»، وقد أكثر النقل عن هذا الكتاب ورغم ذلك لم يصرح باسم مؤلفه في أي موطن ويكتفي فقط بالإشارة إليه بـ «بعض المتأخرين» كما هو الشأن مع الباجي، لكنني ميزت بينهما فإن كان أراد الباجي قلت : «هو أبو الوليد الباجي»، وإن كان ابن يونس قلت : «هو ابن يونس» .

كما أن هناك قسماً كبيراً من الأقوال ينقلها المازري

مكتفياً فقط باسم القائل دون ذكر للمصدر فمن ذلك :

– **أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن صالح التميمي الأبهري المالكي ت ٣٧٥هـ** : وقد ذكر المازري شيئاً من أقواله واختياراته واحتجاجاته : «قال الأبهري»، «فصار الأبهري»، «ويجوز لهما عند الأبهري»، «وأشار الأبهري»، «وقد احتج الأبهري للجواز»، «وانفصل الأبهري»، «اختار الأبهري» . ولا يمكن الجزم بأي كتاب من كتب الأبهري نقل المازري هذه المادة عنه، لكن يلاحظ أن من أشهر كتب الأبهري هو «شرح المختصر الكبير» و«شرح المختصر الصغير» لابن عبدالحكم، و«مسلك الجلالة في مسند الرسالة» [١٦٧]، فلعلها كانت هي مصادر المازري في نقل أقوال الأبهري .

– **أبو مصعب أحمد بن القاسم بن الحارث الزهري ت ٢٤٢هـ** : وقد نقل المازري عنه شيئاً من أقواله ورواياته عن مالك بن أنس : «وقال أبو مصعب»، «وذهب أبو مصعب»، «وروى أبو مصعب عن مالك»، «وقال أبو مصعب عنه – يعني عن مالك»، «ووقفت لأبي مصعب» [١٦٨] . وقد وثقتُ أغلب هذه الأقوال من كتاب أبي مصعب المشهور «المختصر» مما يؤكد اعتماد المازري على كتابه هذا في نقل أقواله [١٦٩] .

– **أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد المعروف بابن القصار ت ٣٩٧هـ** : وقد أكثر المازري جداً من نقل أقوال ابن القصار واختياراته واستدلالاته وأجوبته عن أدلة المخالفين للمالكية واعتمد عليه أحياناً في نقل أقوال أبي حنيفة والشافعي : «إلى هذا ذهب القاضيان أبو الحسن ابن القصار وأبو محمد عبدالوهاب»، «وإن كان ابن القصار قد أجاز لمن فاتته الصلاة أن ينتظر آخر حتى يتوضأ ويصليا جماعة»، «وظاهر كلام ابن القصار»، «واشتد نكير ابن القصار»، «أشار ابن القصار»، «وأجاب ابن القصار»، «ذكر ابن القصار في ذلك اختلافاً»، «اشتمل هذا الفصل على تقسيم ابن القصار»، «قال ابن القصار: الذي يقوى عندي»، «قال ابن القصار : كان قولي وقول الشيخ أبي بكر»، «وأما أبو حنيفة فذكر ابن القصار عنه»، «وأما الشافعي فحكى ابن القصار عنه الجواز»، وقد انتقده المازري مرة «وقد أدى هذا اللفظ العام ابن القصار إلى أن طلب تأويلاً آخر لهذا العموم فقال : يحمل على أنه كان في غير خطبة الجمعة، وهذا تعسفٌ منه» .

ولا يشك باحثٌ في أن هذه النقول مأخوذة من كتاب ابن القصار «عيون الأدلة» بدليل التطابق القريب بين ما ينقله المازري عنه وبين مختصره «عيون المجالس» للقاضي عبدالوهاب . وعن كتاب ابن القصار يقول الشيرازي : «لا أعرف لهم – يعني المالكية – كتاباً في الخلاف أحسن منه» [١٧٠]. وقال القاضي عبدالوهاب : «تذاكرت مع أبي حامد الإسفراييني الشافعي في أهل العلم وجرى ذكر أبي الحسن ابن القصار وكتابه في الحجة لمذهب مالك فقال لي: ما ترك صاحبكم لقائل ما يقول» [١٧١] .

«والناظر في صفحات هذا الكتاب يدرك أن ما قيل ليس فيه من المبالغة شيء، فعيون الأدلة كتاب فقه مقارن يستعرض فيه مؤلفه بأسلوب سهل متقن مركز آراء المذاهب المختلفة، وأدلتهم في القضايا الفقهية المختلف فيها، ثم يذكر أدلة المالكية باسطاً الكلام على أوجه النظر المختلفة فيما يعرضه من أدلة، مناقشاً لها مناقشة دقيقة عميقة تدل دلالة واضحة على اطلاعه وتعمقه في دراسة المذاهب المختلفة» [١٧٢] .

– **أبو بكر محمد بن أبي يحيى زكرياء الوقار ت ٢٦٩هـ** : ذكره المازري في موضعين : «وقال أبو بكر الوقار» ، «وهو الذي ذكره الوقار» .

وقد ألف الوقار مختصرين أحدهما «المختصر الكبير» في سبعة عشر جزءاً، ويفضله أهل القيروان على «مختصر ابن عبدالحكم» المشهور عند المالكية العراقيين . والثاني: «المختصر الصغير» [١٧٣] .

– **أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن أبي زمنين المُري الأندلسي الإلبيري ت ٣٩٩هـ** : ونقول المازري عنه لم تتجاوز الأربعة مواضع وهي :

الأول : «وهذا القولُ ذكره ابن أبي زمنين عن بعض أشياخه فقال : معنى القول أنه يتبعه ما لم يرفع رأسه

من سجودها، معناه السجدة الثانية ، وقد سألت عنها أحمد بن عبدالله اللؤلؤي ففسره لي كذلك، وذلك أنّ بعض أصحابنا خالفني فيها وقال : يعني السجدة الأولى» (١٧٤) .

الثاني : «قال ابن أبي زَمَنِينَ : قال أصبغُ : إن فعلوا ذلك فلا بأس بذلك إن شاء الله تعالى» (١٧٥) .

الثالث : فقال ابن أبي زَمَنِينَ : وسط وقت الظهر نصفُ القامة» (١٧٦) .

الرابع : «فقال ابن أبي زَمَنِينَ : من قول ابن القاسم أن من صلى في أفنية المسجد يوم الجمعة أو قضى ركعة كانت عليه من رعاف غسله وهو يجد موضعاً في المسجد يصلي فيه، أن ذلك يجزئه . وخالفه سحنون وقال : يعيد أبداً ؛ لأن الصلاة في غير المسجد لا تجوز إلاّ لضيق المسجد» (١٧٧) .

وقد لاحظت وجود بعض هذه النقول عند ابن يونس في كتابه «الجامع» مما يؤدي إلى احتمال نقل المازري أقوال ابن أبي زمنين بواسطة ابن يونس .

ثم إن ابن أبي زمنين اشتهر بكتابه «منتخب الأحكام» واختصاره لـ «المدونة» المسمى «المقرب في اختصار المدونة»، وهذا الثاني ألصق بكتاب المازري، وقد بيّن القاضي عياض موضوعه وأثنى عليه فقال : «... في اختصار المدونة وشرح مشكلها والتفقه في نكت منها ، ليس في مختصراتها مثله باتفاق ...، هو أفضل مختصرات المدونة وأقربها ألفاظاً ومعاني» (١٧٨) .

– أبو زيد عبدالرحمن بن عمر بن أبي الغمر ت ٢٣٤هـ : نقل عنه المازري في موضع متأخر من كتابه «شرح التلقين» قائلاً : «وحكى عنه ابن أبي الغمر» (١٧٩).

– أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ : وكان النقل عنه قليلاً مرة بواسطة «وحكى بعض أصحابنا عن الطبري»، «ورأيت في نقل غيرهم عن أبي ثور والمزني والطبري»، ومرة بدونها «وذكر الطبري أن هذا مذهب ابن مسعود» .

والمصادر المترجمة لابن جرير الطبري تذكر في قائمة مؤلفاته كتباً له في الخلاف منها كتاب «لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام» (١٨٠)، وقد وقف المازري على كتاب للطبري في مسائل الخلاف يقع في مائة مجلد ذكر هذا في قصة وقعت له مع شيخه أبي محمد عبدالحميد الصائغ وفيها يقول المازري : «... ثم أتى رجل شامي بكتاب الطبري في مسائل الخلاف ألف منه مائة مجلد ولم يتمه، فقال أبو محمد عبدالحميد : بلغني أن رجلاً جلب كتاباً للمهدية في مائة مجلد ولم تتم أجزاؤه ، فاستعرتُ منه كتاباً فوجدته كتاب الطلاق قبل النكاح ...» (١٨١)، فلعل هذا الكتاب كان هو مصدره في نقل أقوال الطبري .

– أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني ت ٤٠٢هـ : كانت نقول المازري عنه قليلة «ذهب الداودي»، «ذكر الداودي»، «قال الداودي» . والمصادر ذكرت في قائمة مؤلفات الداودي كتاب «الواعي في الفقه» (١٨٢)، فلعله كان هو مصدر المازري في نقل أقوال الداودي، مع ملاحظة احتمال اعتماد المازري على «منتقى الباجي» في نقل بعض أقواله (١٨٣) .

– أبو نصر عبد السيد بن محمد البغدادي الشافعي المعروف بابن الصباغ ت ٤٧٧هـ : ذكره المازري في موطن واحد مشيراً إلى كتاب له في فقه الخلاف فقال : «وقد رأيت بعض من صنف مسائل الخلاف وهو الشيخ أبو نصر عبدالسيد بن محمد ذكر أن مالكاً يقول...» (١٨٤) .

وابن الصباغ كما هو معلوم مشهور بكتابه «الشامل» الذي قال عنه ابن خلكان : «وشامله من أصح كتب أصحابنا، وأثبتها أدلة» (١٨٥) .

– أبو محمد عبدالحق بن محمد بن هارون الصقلي ت ٤٦٠هـ : وقد نقل المازري شيئاً من أقواله فمن ذلك :

«وهذا الذي أشار إليه أبو الحسن – من أن الاقتصار على السالم من اللحن يجزئ – قد أشار أبو محمد عبدالحق إلى خلاف فيه، وذلك أنه لما ذكر ما حكاه ابنُ حبيب من أن الإمام لا يلقن حتى يقف ينتظر التلقين قال أبو محمد عبدالحق : لو أسقط آية من أمّ القرآن لا ينبغي

أن يُلَقّن وإن لم يقف، لا سيما أن قائلاً يقول : إنه كالتارك جملة أم القرآن تبطل صلاته . وقال أبو عمران - في ناسي آية من أم القرآن - قال إسماعيل : يجب على المذهب أن يسجد قبل السلام، وفيها قولٌ آخر أنه لا يسجد» [١٨٦].

وقوله : «وذكر أبو محمد عبد الحق عن بعض أصحابنا أن الصلاة تجزئ إن وقعت، وأنكر هذا وقال : لا صلاة لهم» [١٨٧] .

وقوله : «واعتل بأن البعد يمنعهم من مراعاة فعل الإمام وعلم سهوه، وظاهرُ قوله بطلان الصلاة» [١٨٨] .

وقوله : «قال أبو محمد عبدالحق : ولو كان المعتكف إمامهم لم يكن له عندي أن يجمع بهم، ولكن يستخلف من يصلي بهم ويصلي هو معهم؛ لأن المعتكف إذا كان مأموماً جمع معهم ؛ لكونه تبعاً للجماعة، فإذا كان المعتكف إماماً لم يجمع بهم لأنه لا يكون حينئذ تبعاً لأحد» [١٨٩] .

وقوله : «قال أبو محمد عبد الحق : لا يمنع من الجمع إذ لا يؤمن من عودة المطر» [١٩٠] .

وقوله : «قال عبد الحق عن بعض الأشياخ : إن المراد يومٌ وليلةٌ يُسار فيها» [١٩١].

وهذه الأقوال كلها من كتاب عبد الحق «تهذيب الطالب وفائدة الراغب»، ويعتبر هذا الكتاب من آخر مؤلفات عبدالحق الصقلي، وقد بين في مقدمته منهجه فيه فقال : «... هذا كتاب قصدت فيه إلى الكلام على كثير من مسائل المدونة والمختلطة بما يشتمل جميعه على شرح مجمل، وتفسير مشكل، وتمام لمسائل ناقصة، وتفريق من مسائل مشتملة ... ليتهذب بها الطالب وينتفع بها الراغب» [١٩٢].

- أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي ت ٤٠٣هـ : وقد نقل المازري شيئاً من أقواله مكتفياً تارة بذكر كنيته «أبو الحسن» وتارات جامعاً بينها وبين نسبه «أبو الحسن القابسي» ؛ فمن ذلك قوله : «أمّا إمامة الألكن؛ فقد رُوي عن مالك أنه أجاز أن يؤم الألكن بالفصيح، وقال الشيخ أبو الحسن - يعني القابسي : معناه أنه لا يخل بشيء من القراءة» [١٩٣]، وقوله : «ولو لم يركع الدّاخل المسجد للفجر في بيته فقال الشيخ أبو الحسن بن القابسي : يركع للتحية ثم يركع للفجر» [١٩٤].

وقد أثنى القاضي عياض على مؤلفاته فقال : «لأبي الحسن تواليف بديعة مفيدة»، وعد منها «الممهد في الفقه» [١٩٥] .

- أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني ت ٣٨٦هـ : وقد أكثر المازري النقل عنه مكتفياً في الغالب بذكر كنيته : «ووافقه ابن أبي زيد» [١٩٦]، «حكي عن الشيخين أبي محمد وأبي الحسن» [١٩٧]، «إلى هذا نحا الشيخ أبو محمد» [١٩٨]، «قال الشيخ أبو محمد» [١٩٩]، «وطريقة الشيخ أبي محمد» [٢٠٠] ، «قال أبو محمد» [٢٠١] «نص الشيخ أبو محمد» [٢٠٢]، «تأوله أبو محمد» [٢٠٣]، «تأويل الشيخ أبو محمد» [٢٠٤]، «وأشار الشيخ أبو محمد» [٢٠٥] .

وقد ظهر لي أن هذه النقول عن ابن أبي زيد هي من كتابه الضخم «النوادر والزيادات» بدليل التطابق التام بين ما ينقله المازري وبين ما في كتاب «النوادر»، وثمة موضع نقل فيه المازري عن «الرسالة» .

وكتاب «النوادر» من أعظم كتب الفقه المالكي [٢٠٦]، لخص فيه ابن أبي زيد دواوين المالكية الهامة إلى ذلك الوقت فهو «لا يفوق المدونة في الحجم فحسب، بل إنه يتناول جميع المسائل الفقهية مستنداً على أساس من المراجع أوسع من المدونة» [٢٠٧] .

- أبو إسحاق إبراهيم بن حسن التونسي ت ٤٤٣هـ: شيخ شيخيه اللخمي والصائغ : وقد نقل عنه المازري شيئاً من أقواله مكتفياً بذكر كنيته فقط «أبي إسحاق»، من ذلك «وقد رأى أبو إسحاق ما حكيناه عن المدوّنة من إجازة قيام طائفة غير متّصلة بطائفة أخرى، يشير إلى إجازة تقطيع الصفوف، وأن لا يؤمر المصلي بسدّ فُرجة في الصّف» [٢٠٨] .

وقد ذكرت المصادر لأبي إسحاق هذا شرحاً لـ «المدونة» [٢٠٩]، خاصة وأن نقل المازري عنه يشير إلى أن كلام أبي إسحاق هو من كتابه المذكور «وقد رأى أبو

إسحاق ما حكيناه عن المدونة ...» .

– أبو الحسن علي بن محمد اللخمي ت ٤٧٨هـ :

شيخ المازري وقد سبقت الإشارة إلى إكثار المازري النقل عن هذا الشيخ الجليل، ولا شك أن المادة المنقولة عنه هي من مشافهاته له، وكذا من كتابه «التبصرة» وهو «تعليق كبير على المدونة ... مفيد حسن» [٢١٠] . والغريب حقاً أن لا يصرح المازري باسم الكتاب ويكتفي بإيراد قوله مشيراً له بـ «بعض أشياخي»، «شيخي»، «شيخنا» .

– أبو محمد عبدالحميد بن محمد الصائغ ت ٤٨٦ :

شيخ المازري والشأن معه كالشأن مع اللخمي حيث استفاد منه مشافهة ومن كتابه «التعليق على المدونة» الذي كمل به الكتب التي بقيت على إبراهيم بن حسن التونسي [٢١١]، ويعد كتابه هذا من «أفيد الكتب في الفقه المالكي، وفي كل كتاب أو باب غالباً يذكر مستنده من الكتاب والسنة شارحاً ومعللاً، مع التعريج على الخلاف خارج المذهب، وبيان أخذ الأئمة ، وتحرير الفقه، وبحوث مهمة تتخلل ذلك» [٢١٢] .

ويلاحظ الناظر في شرح التلقين للمازري إيراد اعتراضات المعترضين على القاضي عبدالوهاب وجواب المازري عنها بالتفصيل [٢١٣]، فمن المحتمل أن يكون المازري وقف عليها من خلال شروح بعض العلماء لكتاب «التلقين» وفيها تلك الاعتراضات ، أو تكون اعتراضات وقعت في مجالس المذاكرة لا في مؤلفات معينة كانت على كتاب القاضي «التلقين» .

الفرع الثالث : كتب اللغة :

وقد صرح المازري بما يلي :

١ – «الخصائص» لأبي الفتح ابن جني [٢١٤].

٢ – «مجمل اللغة» لابن فارس [٢١٥] .

٣ – «القلب والإبدال» لابن السكيت [٢١٦] .

وثمة نقول عن بعض أئمة اللغة دون التصريح بمؤلفاتهم وهم :

١ – ابن قتيبة [٢١٧]، وكلامه منقول من كتابه «غريب الحديث» .

٢ – أبو عبيدة [٢١٨]، وكلامه أيضاً منقول من كتابه «غريب الحديث» .

٣ – فضل بن سلمة [٢١٩] .

فهذا حاصل ما يتعلق بمصادر المازري في كتابه «شرح التلقين» .

ويمكن أن يلاحظ بعد هذا ما يلي :

الملاحظة الأولى :

تنوع مصادر المازري من ناحية بلدان مؤلفيها بحيث يجد المتأمل فيها ما يلي :

أ – مصادر لعلماء بغداد : مثل «المبسوط» لإسماعيل ابن إسحاق البصري، و«المعونة» للقاضي عبدالوهاب البغدادي، و«التفريع» لابن الجلاب البصري، و«الحاوي» لأبي الفرج البغدادي، و«عيون الأدلة» لابن القصار البغدادي .

ب – مصادر لعلماء مصر : مثل «الموازية» لمحمد بن المواز المصري، و«المختصر الكبير في الفقه» لعبدالله ابن عبدالحكم المصري، و«المدونة» لأشهب بن عبدالعزيز المصري، و«مختصر ما ليس في المختصر» لابن شعبان المصري، «وكتبه الفقهية تمثل قمة آراء المدرسة المالكية المصرية في عصره» [٢٢٠] .

ج – مصادر لعلماء الأندلس : مثل «الثمانية» لأبي زيد القرطبي، و«الواضحة» لعبدالله بن حبيب القرطبي، و«العتبية» لمحمد بن أحمد القرطبي .

د – مصادر لعلماء القيروان : مثل «المجموعة» لابن عبدوس، وكتب «محمد بن سحنون»، و«الرسالة»، و«النوادر والزيادات» لابن أبي زيد، و«كتاب ابن حارث القيرواني» .

وهكذا يجد المتأمل مصادر لعلماء بلدان متنوعة غير ما سبق كعبد الحق الصقلي، وأبي جعفر الداودي التلمساني، وأبي جعفر الطبري، وأبي عمران الفاسي، وغيرهم .

الملاحظة الثانية :

كما يلاحظ عند المازري كثرة المصادر التي لها علاقة

بـ «المدونة» شرحاً أو اختصاراً ؛ فإضافة إلى استعماله لـ «المدونة» نفسها فقد استعمل معها «النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات» لابن أبي زيد القيرواني، و«شرح المدونة» لأبي إسحاق التونسي، و«الجامع لمسائل المدونة وشرحها وذكر نظائرها وأمثالها» لابن يونس الصقلي، و«تهذيب الطالب وفائدة الراغب» لعبد الحق الصقلي وهو شرح كبير على «المدونة»، وتعليق شيخه اللخمي عليها المسمى «التبصرة»، وتعليق شيخه الآخر عبد الحميد الصائغ .

الملاحظة الثالثة :

كما يلاحظ إحالة المازري على أربعة كتب له هي «المعلم بفوائد مسلم» [٢٢١]، و«قطع لسان النابح في المترجم بالواضح» [٢٢٢]، و«إملاء على صحيح البخاري» [٢٢٣]، و«المحصول من برهان الأصول» [٢٢٤].

وحتى الكتب التي لم يحصل له الفراغ منها يحيل عليها أيضا كما في قوله : «... ولعلنا أن نبسط ما عندنا في ذلك فيما نمليه من أصول الفقه إن شاء الله» [٢٢٥]، ويقول أيضاً : «ولعلنا أن نحقق هذه المسألة فيما نمليه في الأصول إن شاء الله» [٢٢٦] .

الملاحظة الرابعة :

كما لاحظتُ المازري يستعمل أحياناً كلمة «المترجم» قبل إيراد أسماء مؤلفاته من ذلك قوله : «وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة وتأويل قوله عليه السلام : أُنزل القرآن على سبعة أحرف، وذكرنا تأويل ما ذكر عن ابن مسعود وابن شهاب في كتابنا المترجم بقطع لسان النابح في المترجم بالواضح» [٢٢٧]. وقوله : «... ذكرنا حكمها في كتابنا المترجم بكشف المحصول من برهان الأصول» [٢٢٨] . وهو الذي سمى كتابه - الذي رد به على كتاب الغزالي «إحياء علوم الدين» - «الكشف والإنباء عن المترجم بالأحياء» [٢٢٩] .

وليس هذا خاصاً بـ «شرح التلقين» فهو يستعمل تلك الكلمة في فتاواه أيضاً؛ من ذلك قوله : «فقد استقصينا الكلام في كتابنا المترجم بشرح التلقين» [٢٣٠] . وقوله : «أما مسألة زكاة الحلي فقد استقصينا الكلام في كتابنا المترجم بشرح التلقين ...» [٢٣١] .

كما لاحظت استعمال المازري لها مع كتب غيره فقد قال : «ورأيتُ أبا الفتح ابن جني أنكر في كتابه المترجم بالخصائص ...» [٢٣٢] .

والمراد بالترجمة المذكورة عند المازري بيان لعنوان الكتاب فكأنه يقول : المعنون بكذا ، والذي يعنونونه بكذا .

الملاحظة الخامسة :

ومما يلاحظه المتأمل في مصادر المازري اعتماده للعلم الواحد عدة مؤلفات .

من ذلك عبدالله بن وهب استعمل المازري من كتبه «الموطأ» و «السماع»، وعبدالله بن عبدالحكم استعمل منها «المختصر الكبير في الفقه» و «المولدات»، وابن أبي زيد القيرواني استعمل منها «النوادر والزيادات» و«الرسالة»، والقاضي عبدالوهاب استعمل منها «الإشراف على مسائل الخلاف» و «المعونة على مذهب عالم المدينة»، و«شرح الرسالة» .

الملاحظة السادسة :

ومما يلاحظه المتأمل أيضاً استعمالُ المازري كتب المخالفين في توثيق أقوالهم مثل «شرح معاني الآثار» للطحاوي، و«الشامل» لابن الصباغ، و«المهذب» للشيرازي، و«الأوسط» لابن المنذر، أو يقول : «ورأيت في كتب المخالفين»، «رأيتُ في بعض كتب أصحابه - يعني أبا حنيفة»، «رأيت في كتب أصحابه - يعني الشافعي» .

الملاحظة السابعة :

ومما يلاحظ أيضاً استعمال المازري مادة لا بأس بها عن شيوخه خصوصاً شيخيه أبا الحسن اللخمي وأبا محمد الصائغ حيث أكثر النقل عنهما في كتابه .

الملاحظة الثامنة :

وأخيراً يلمح الناظرُ في الكتاب الحصيلة العلمية للمازري وهي من أهم مصادره حيث بث فيه علماً جماً تمثل في الاستنباطات والاعتراضات والاستدلالات والاستشهادات والترجيحات والتحقيقات وغير ذلك من أنواع المعارف الدالة على سعة علمه رحمه الله تعالى .

الهوامش

١ – بفتح الزاي وكسرها والفتح أشهر، وانظر ترجمته في فهرس ابن عطية ص١٠٧، رقم : ٢٧، والغنية للقاضي عياض ص٦٥، رقم ٩، ووفيات الأعيان ٢٨٥/٤ لابن خلكان، والسير ١٠٤/٢٠ – ١٠٧، وتاريخ الإسلام وفيات سنة ٥٣٦هـ، رقم ٣٠٢، ودول الإسلام ٥٥/١، والعبر ٤٥١/٢، والمعين في طبقات المحدثين ص١٥٨، والمشتبه في الرجال ٥٦٥/٢ كلها للذهبي، والوافي بالوفيات ١٥١/٤ للصفدي، ومرآة الجنان ٢٦٧/٣ لليافعي، والديباج المذهب ص٢٧٩ – ٢٨٠ لابن فرحون، والوفيات ص٢٧٧ – ٢٧٨ لابن قنفد القسنطيني الجزائري، وتوضيح المشتبه ١٦/٨ لابن ناصر الدين، ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ص٧٢ – ٧٣ لابن فهد المكي، والنجوم الزاهرة ٢٦٩/٥ لابن تغري بردي، والروض المعطار في خبر الأقطار ص٥٦١ للحميري، وأزهار الرياض في أخبار عياض ١٥٦/٣ – ١٦٦ للمقري التلمساني، وشذرات الذهب ١١٤/٤ لابن العماد، والتاج المكلل ص١١٦ – ١١٧ لصديق خان، وهدية العارفين ٨٨/٦ لإسماعيل باشا، وشجرة النور ص١٢٧ – ١٢٨ لابن مخلوف، والفكر السامي ٢٢١/٢ للحجوي الثعالبي، والإمام المازري والعمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين كلاهما لحسن حسني عبدالوهاب، ومقال ضمن دراسات ملتقى الإمام المازري وقصر الرباط لعبدالله الزناد، ومقدمة المعلم بفوائد مسلم للمازري تحقيق محمد الشاذلي النيفر، ومقال الإمام المازري نقطة تحول عقائدي بالمغرب ضمن دراسات ملتقى الإمام المازري ص ٧٨ – ٨٩ لعثمان الكعاك، والحديث بأفريقية ص١٤٨ – ١٧٣ لضو مسكين، ومقدمة شرح التلقين للمازري تحقيق زكي عبدالرحيم بخاري، ومنهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم ص١٠١ – ١١٥ للحسين بن محمد شواط، وما كتبه :

- h.r idris :L/ecole malikte de mahdia : ima m al - mazare .
- c.e .bosworth : encyclopedie de l'islam .
- michele amari : andrea - storia dei mu sulmani di sicilia .
- borruso : al - imam al - mazari un maz arese del medioeve arabo islamico .

٢ – طبع بتحقيق محمد الشاذلي النيفر في ثلاثة مجلدات بدار الغرب الإسلامي .

٣ – طبع في المغرب في جزء واحد وفي مكتبة الباز بمكة في مجلدين بتحقيق محمد ثالث سعيد الغاني .

٤ – «الغنية» ص٦٥ .

٥ – وقد طبع كتاب ابن رشد، وحقق كتاب ابن يونس في جامعة أم القرى، كما حقق زكي عبدالرحيم بخاري قسماً من «شرح التلقين» من أوله إلى آخر سجود السهو، وكان نصيبي في الماجستير من كتاب الإمامة إلى آخر الجمعة، ثم طبع من أوله إلى آخر كتاب الجنائز في دار الغرب الإسلامي بتحقيق مفتي تونس محمد مختار السلامي ويشتغل في تحقيق باقيه، أما كتاب اللخمي التبصرة فبلغني أنه سجل شيء منه في المغرب الشقيق .

٦ – «روضة المستبين في شرح كتاب التلقين» ١/ل١أ. وقد حقق محمد حسين بكري نصف كتاب ابن بزيزة في أطروحته للدكتوراه بالجامعة الإسلامية .

٧ – «سير أعلام النبلاء» ١٠٥/٢٠ .

٨ – الدخان : ٤٣ .

٩ – شرح التلقين – تحقيقي ص٥٧٣ .

١٠– المصدر نفسه – تحقيق زكي بخاري ص٧٢٣ .

١١– يعني به : في صحيح البخاري، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

١٢- «شرح التلقين - تحقيقي» ص٩٤٣ .
١٣- المصدر نفسه، ص٦١٤ .
١٤- المصدر نفسه، ص١١٨٥.
١٥- المصدر نفسه، ص١٢٥٥ .
١٦- المصدر نفسه، ص١١١٥ .
١٧- المصدر نفسه، تحقيق زكي بخاري ص٧١٦ .
١٨- المصدر نفسه ٦/ل ٨ أ .
١٩- المصدر نفسه، تحقيقي ص٨٦٢ .
٢٠- المصدر نفسه، ص٥٣١ .
٢١- المصدر نفسه، ص٦٤٨ .
٢٢- المصدر نفسه، تحقيق زكي بخاري ص ٢٦٧ .
٢٣- المصدر نفسه، ص٩٥٥ .
٢٤- المصدر نفسه، ص١١٨٥ .
٢٥- المصدر نفسه، ص١٤٧٣ .
٢٦- المصدر نفسه، ص١٠٣٩ .
٢٧- المصدر نفسه، ص٩٥٦ .
٢٨- المصدر نفسه، ص١٢٨٧ .
٢٩- المصدر نفسه، ص٥٧٨ .
٣٠- المصدر نفسه، ص١٣٠٧ .
٣١- المصدر نفسه، ص٦٤١ .
٣٢- يعني : في سنن الترمذي، حيث حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .
٣٣- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص١٣٠٩ .
٣٤- المصدر نفسه، ص١٣٠٧ .
٣٥- المصدر نفسه، ص٩٨٢ .
٣٦- يعني : في سنن النسائي، حيث حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .
٣٧- «شرح التلقين - تحقيقي» ص١٣٠٧ .
٣٨- انظر : «المصدر نفسه - تحقيق زكي بخاري» ص٥٨٥ .
٣٩- المصدر نفسه، تحقيقي، ص١٣٠٧ .
٤٠- المصدر نفسه، ص١٥٠٥ .
٤١- المصدر نفسه، ص١١٤٣ .
٤٢- المصدر نفسه، ص٦٤٠ .
٤٣- المصدر نفسه، ص١١٨٨ .
٤٤- المصدر نفسه، ص١٣١٨ .
٤٥- المصدر نفسه، ص٩٨٢ .
٤٦- «تاريخ التراث العربي - قسم الفقه» ص١٤٥.
٤٧- استغنيت عن ذكر أرقام الصفحات لكثرة الألفاظ في كتاب المازري .
٤٨- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص١٣٣١ .
٤٩- «الديباج المذهب»، ص١٣٣ .
٥٠- «ترتيب المدارك» ٣/٢٣٢ - ٢٤٢، وانظر «اصطلاح المذهب عند المالكية - ضمن مجلة البحوث الفقهية المعاصرة» العدد ١٥، ص٨٤ لمحمد إبراهيم أحمد علي .
٥١- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٦٥١ .
٥٢- المصدر نفسه، ص٨٤٩ .
٥٣- المصدر نفسه، ص١٠٧٩ .
٥٤- المصدر نفسه، ص١٣٨٤ .
٥٥- المصدر نفسه، ص١٠٠٧ .
٥٦- انظر : «دراسات في مصادر الفقه المالكي» ص١٩١- ١٩٢ لميكلوش موراني .
٥٧- انظر : «الكافي» ١/١١٦ .
٥٨- انظر : «دراسات في مصادر الفقه المالكي»، ص١٩١ - ١٩٢ .
٥٩- «شرح التلقين - تحقيقي» ص٨٥١ .
٦٠- المصدر نفسه، ص١٠٨٧ .
٦١- المصدر نفسه، ص٦١٥ .
٦٢- المصدر نفسه، ص٧٧٣ .
٦٣- «ترتيب المدارك»، ٤/١٦٩ .
٦٤- انظر : «تاريخ التراث العربي - قسم الفقه»، ص١٦٠.
٦٥- انظر : «دراسات في مصادر الفقه المالكي»، ص١٥٣.
٦٦- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص١٣٩٢ .

٦٧- المصدر نفسه، ص١٤٥٩ .
٦٨- المصدر نفسه، ص١٣٤٦ .
٦٩- المصدر نفسه، ص١٣٩٤.
٧٠- «الديباج المذهب»، ص١٤٨ .
٧١- «شرح التلقين - تحقيقي» ص٦١٠ .
٧٢- «الديباج المذهب»، ص١١٩ .
٧٣- «دراسات في مصادر الفقه المالكي»، ص١٦٧ .
٧٤- انظر : «تهذيب الطالب» ل ٣٥ أ .
٧٥- استغنيت هنا عن ذكر الأرقام لكثرتها .
٧٦- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص١٤٥١.
٧٧- المصدر نفسه، ص٦٣٦.
٧٨- «دراسات في مصادر الفقه المالكي»، ص٥٢ . وقد ذكر مؤلفه القطع المتبقية من الكتاب وقام بدراسة وافية عنه ص٣٦ - ٦٧ .
٧٩- انظر : «الكافي»، ١١٦/١ .
٨٠- «الديباج المذهب»، ص٢٣٣ .
٨١- استغنيت عن الأرقام لكثرتها .
٨٢- «دراسات في مصادر الفقه المالكي»، ص١٤٨.
٨٣- «دراسات في مصادر الفقه المالكي»، ص١١٨.
٨٤- انظر : «ترتيب المدارك» ٢٥٣/٤ .
٨٥- انظر : «ترتيب المدارك» ٢٥٣/٤ - ٢٥٤، و«البيان والتحصيل - المقدمة» ٢٠/١ - ٢١ .
٨٦- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص١٠٨١.
٨٧- «ترتيب المدارك» ١٠٥/٤.
٨٨- «شرح التلقين - تحقيقي» ، ص١٠٤١ .
٨٩- المصدر نفسه، ص١٠٤٨ .
٩٠- المصدر نفسه، ص١٣٧١.
٩١- المصدر نفسه، ص١٣٩٩ .
٩٢- المصدر نفسه، ص١٥٠٧ .
٩٣- انظر : «الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء الأئمة»، ص٥٣، لابن عبدالبر، و«تهذيب التهذيب» ٢٨٩/٥.
٩٤- ميكلوش موراني : دراسات في مصادر الفقه المالكي، ص٣٠ . وانظر : ص٢٢ - ٣٠ منه .
٩٥- «ترتيب المدارك» ٢٧٥/٥ .
٩٦- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٥٥٥ .
٩٧- المصدر نفسه، ص٥٧٧ .
٩٨- المصدر نفسه، ص١٠٠٩ .
٩٩- المصدر نفسه، ص١٠٢١ .
١٠٠- المصدر نفسه، ص١٠٨٧ .
١٠١- المصدر نفسه، ص١٣٩٩ .
١٠٢- المصدر نفسه، ٢٦٥/٣ .
١٠٣- محمد إبراهيم : اصطلاح المذهب عند المالكية، ص٨٥ .
١٠٤- «ترتيب المدارك»، ٢٥٣/٣، ٢٦٥ .
١٠٥- المصدر نفسه، ٢٩٧/٣ . وانظر : «اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص٨٥ - ٨٦ .
١٠٦- يعني ابن القاسم .
١٠٧- «ترتيب المدارك» ٢٦٦/٣ . وانظر : «اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص٨٦ .
١٠٨- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٧١٧ - ٧١٨ .
١٠٩- المصدر نفسه، ص١٤٨٤ .
١١٠- المصدر نفسه - تحقيق زكي بخاري، ص١١٥٠ .
١١١- «المنتقى» ١٠٢/١ .
١١٢- انظر : «ترتيب المدارك» ، ١٦٠/٤ .
١١٣ - انظر : «شرح التلقين» ، ٦/ل ٧٩ ب .
١١٤- «ترتيب المدارك»، ٢٣/٥ .
١١٥- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص١٢١٩ .
١١٦- المصدر نفسه، ص٥٥٣ .
١١٧- المصدر نفسه، ص٨٢٧ .
١١٨- المصدر نفسه، ص٩٧٨ .
١١٩- المصدر نفسه، ص٨٣٣ .
١٢٠- نقله محقق «التفريع» ، ١١٩/١ عن كتاب «تراجم من ذكر في مختصر ابن الحاجب» لمحمد بن عبدالسلام الهواري . وقد طبع كتاب «التفريع» في مجلدين، دار الغرب الإسلامي، بتحقيق حسين بن سالم الدهماني .

١٢١- هكذا يختصر المالكية اسم كتاب ابن الجلاب فيقولون : «الجلاب» يعنون به «التفريع» لابن الجلاب.
١٢٢- «شرح الرسالة» ٢٤١/١، وانظر : «حاشية الرهوني» ١٤٢/٢، ومقدمة محقق «التفريع» ١٢٩/١.
١٢٣- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٧٨٧، ١٤٢٣ .
١٢٤- محمد إبراهيم : اصطلاح المذهب عند المالكية ص٩٦ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة السنة السادسة، العدد الثاني والعشرون، عام ١٤١٥هـ . وكتاب «الإشراف» مطبوع متداول .
١٢٥- «تبصرة الحكام» ١٨٤/١ .
١٢٦- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٩٨٤ .
١٢٧- محمد العابد الفاسي : فهرس مخطوطات خزانة القرويين ٤١٣/٢ - ٤١٤ . وانظر : «اصطلاح المذهب عندالمالكية»، ص٩٦ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ . هذا وقد حقق الكتاب حميش عبد الحق في رسالته الدكتوراه بجامعة أم القرى، ثم طبعه أخيراً في مكتبة الباز بمكة المكرمة.
١٢٨- انظر : «شرح التلقين» ٢/ل ٣٦ أ، ٦/ ٧٩ أ .
١٢٩- انظر : «اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص٩٧ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ. وفيه ذكر لجزء من هذا الكتاب في الخزانة العامة بالرباط رقم : ٦٢٥ف .
١٣٠- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص١٠٩٦ .
١٣١- «شرح التلقين»، ل ٢٣٧ ب «مخطوط مكتبة المسجد النبوي» تحت رقم : ٥٠ فقه مالكي .
١٣٢- المصدر نفسه ٦/ل ٢٦ب . وكتاب «شرح معاني الآثار» مطبوع متداول .
١٣٣- المصدر نفسه - تحقيق زكي بخاري، ص١١٢٥، والمخطوط ٦/ل ٨ أ .
١٣٤- المصدر نفسه، ص٥٤٤ .
١٣٥- المصدر نفسه، ص٦٠٤.
١٣٦- المصدر نفسه، ص٦٨٤.
١٣٧- المصدر نفسه، ص٧٠٠.
١٣٨- المصدر نفسه، ص١٤٧٣.
١٣٩- المصدر نفسه، ص٨٧٣ .
١٤٠- المصدر نفسه، ص٨٧٧.
١٤١- المصدر نفسه، ص٩٨٥ .
١٤٢- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص١٢٣٠ .
١٤٣- المصدر نفسه، ص١٤٧٣.
١٤٤- المصدر نفسه، ص٨٦٧ .
١٤٥- المصدر نفسه، ص١٠٤٠ .
١٤٦- المصدر نفسه، ص١٣٤٨ .
١٤٧- المصدر نفسه، ص١١٨٣ .
١٤٨- محمد إبراهيم : اصطلاح المذهب عند المالكية ص١١٣، من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ .
١٤٩- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٥٧٣ - ٥٧٤ .
١٥٠- المصدر نفسه، ٦/ل ٨١ ب .
١٥١- المصدر نفسه - تحقيق زكي بخاري، ص٩٧١ .
١٥٢- المصدر نفسه، ل٢٢٥ ب ، نسخة مكتبة المسجد النبوي تحت رقم : ٥٠ فقه مالكي .
١٥٣- «الديباج المذهب»، ص٢٣٥ .
١٥٤- انظر «شرح التلقين» ، ٦/ل ٤٥ أ .
١٥٥- المصدر نفسه - تحقيق زكي بخاري، ص٩١٧، والمخطوط ٦/ل ٥٩ ب .
١٥٦- «دراسات في مصادر الفقه المالكي»، ص١٨٨ .
١٥٧- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص١٣٨٤ .
١٥٨- انظر مثلاً : «سير أعلام النبلاء» ١٦٦/١٧، و«الديباج المذهب»، ص٢٥٩ . و الكتاب توجد منه قطعة في المكتبة التونسية تحت رقم : ١٧٧٧٨، وهي بصدد التحقيق . انظر : مقدمة كتاب ابن حارث «أصول الفتيا على مذهب مالك»، ص٢٢، ومقال محمد إبراهيم «اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص٧٢ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ .
١٥٩- انظر «شرح التلقين» ٢/ل ٩٧ أ .
١٦٠- المصدر نفسه - تحقيق زكي بخاري، ص١٠٤٩ .

١٦١- «شجرة النور الزكية»، ص١٠٦ .
١٦٢- «الديباج المذهب»، ص٣٤٥ .
١٦٣- انظر : «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٦٧٢ .
١٦٤- المصدر نفسه، ص٨٣٠ .
١٦٥- المصدر نفسه، ص١٠٥١ .
١٦٦- المصدر نفسه، ص٩٢٧ - ٩٢٨ .
١٦٧- انظر : «اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص٧٣ - ٧٤ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ .
١٦٨- انظر : «شرح التلقين - تحقيق زكي بخاري»، ص١٠٠٥ .
١٦٩- الكتاب منه نسخة في خزانة جامع القرويين بفاس في ١٧٤ورقة برقم : ٨٧٤ ، انظر : «تاريخ التراث العربي» المجلد الأول - قسم الفقه، ص١٥٤ .
١٧٠- «طبقات الفقهاء»، ص١٧٠ .
١٧١- «ترتيب المدارك»، ٧/٧١ .
١٧٢- محمد إبراهيم : اصطلاح المذهب عند المالكية ص٨٩ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ، وقد ذكرنا ما تبقى من نسخ الكتاب. وقد طبعت مقدمته الأصولية في دار الغرب الإسلامي قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليماني .
١٧٣- انظر : «ترتيب المدارك» ٤/١٨٩، و«اصطلاح المذهب عند المالكية» ، ص١٠٨ - ١٠٩ من مجلة البحوث الفقهية، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ .
١٧٤- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٨٠٠ - ٨٠١ .
١٧٥- المصدر نفسه، ص١٠٥٣ .
١٧٦- المصدر نفسه، ص١٠٥٩ .
١٧٧- المصدر نفسه، ص١٣٨٠ .
١٧٨- «ترتيب المدارك»، ٧/١٨٥، وعن كتاب المنتخب والمقرب انظر : مقدمة كتابه قدوة الغازي - طبع دار الغرب الإسلامي تحقيق عائشة السّليماني .
١٧٩- انظر : «شرح التلقين» ٦/ل٢٣ أ .
١٨٠- انظر : «سير أعلام النبلاء»، ١٤/٢٧٣ .
١٨١- البرزلي : جامع مسائل الأحكام ١/ل٢٠٣ أ - ب .
١٨٢- انظر : «الديباج المذهب»، ص٣٥ .
١٨٣- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٨٥١ .
١٨٤- المصدر نفسه، ص١٣٦٢ .
١٨٥- وفيات الأعيان»، ٣/٢١٧ - ٢١٨، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/٤٦٥ .
١٨٦- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٥٧٠ - ٥٧١ .
١٨٧- المصدر نفسه، ص٦٣٥ .
١٨٨- المصدر نفسه، ص٦٣٥ .
١٨٩- المصدر نفسه، ص١٠٥١ .
١٩٠- المصدر نفسه، ص١٠٥٥ .
١٩١- المصدر نفسه، ص١١٦٢ .
١٩٢- محمد العابد الفاسي : فهرس خزانة القرويين ١/٣٤٨ - ٣٤٩، و«اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص١٠٨، من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ . وفيهما ذكر لأجزاء من الكتاب مخطوطة .
١٩٣- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٦٦٥ .
١٩٤- المصدر نفسه، ص٨٣٠ .
١٩٥- «ترتيب المدارك»، ٧/٩٦ .
١٩٦- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٥٦٧ .
١٩٧- المصدر نفسه، ص٥٧١ .
١٩٨- المصدر نفسه، ص٦٣٩.
١٩٩- المصدر نفسه، ص٧٤٥.
٢٠٠- المصدر نفسه، ص٥٢٦ .
٢٠١- المصدر نفسه، ص١٠٠٨.
٢٠٢- المصدر نفسه، ص٩٩٣ .
٢٠٣- المصدر نفسه، ص١١١٦ .
٢٠٤- المصدر نفسه، ص١٢٧٩ .
٢٠٥- المصدر نفسه، ص١٤٤١ .
٢٠٦- سيصدر قريباً إن شاء الله عن دار الغرب الإسلامي . أخبرني بذلك مديرها الحبيب اللّمسي .
٢٠٧- «دراسات في مصادر الفقه المالكي»، ص١٩. وانظر: «اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص٨٥ - ٨٦ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢،

١٤١٥هـ ، وفيه ذكر لنسخ الكتاب .
٢٠٨- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٦٥١.
٢٠٩- انظر : «ترتيب المدارك» ٥٨/٨، و«اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص١١٥ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ .
٢١٠- «ترتيب المدارك»، ١٠٩/٨، و«اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص١١٥ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ، وفيه ذكر نسخ الكتاب .
٢١١- انظر : «شجرة النور الزكية»، ص١١٧ .
٢١٢- محمد العابد الفاسي : «فهرس مخطوطات خزانة القرويين ٣٧٨/١، و«اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص١١٧ - ١١٨ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ، وفيه ذكر لنسخة الكتاب في القرويين.
٢١٣- انظر : «مثلاً «شرح التلقين - تحقيق زكي بخاري»، ص١٠٧ .
٢١٤- المصدر نفسه، ص٨٢ .
٢١٥- المصدر نفسه، ص٣٨٣ .
٢١٦- المصدر نفسه، ص١٨ .
٢١٧- المصدر نفسه، ص٢١ .
٢١٨- المصدر نفسه، ص٩٢٨ .
٢١٩- المصدر نفسه، ص١٥٧ .
٢٢٠- «اصطلاح المذهب عند المالكية»، ص٧١ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، س٦، ع٢٢، ١٤١٥هـ .
٢٢١- انظر : «شرح التلقين» ، ٦/ل ٨١ ب .
٢٢٢- المصدر نفسه - تحقيقي، ص٥٧٣ .
٢٢٣- المصدر نفسه - تحقيق زكي بخاري، ص٩٧١ .
٢٢٤- المصدر نفسه، ل٢٢٥ ب، نسخة مكتبة المسجد النبوي تحت رقم ٥٠/٢، ٢١٧ .
٢٢٥- المصدر نفسه، ص٥٥٠ .
٢٢٦- المصدر نفسه ، ص٦٨١ . ويظهر أن المازري كان يشتغل بتأليف أكثر من كتاب في وقت واحد كما هو ظاهرٌ في كتابه في أصول الفقه حيث يحيل عليه أحياناً إحالة بصيغة المضارع «فيما نمليه» .
٢٢٧- «شرح التلقين - تحقيقي»، ص٥٧٣ .
٢٢٨- الطاهر المعموري : الغزالي وعلماء المغرب، ص٥٢، نقلاً عن «شرح التلقين» ل١٨٤ ب، رقم ١٢٢٠٩، الخزانة الوطنية بتونس .
٢٢٩- «أزهار الرياض»، ١٦٦/٣ .
٢٣٠- «المعيار المعرب» ، ٣٠٨/٦ .
٢٣١- المصدر نفسه، ٣٠٨/٦ - ٣٠٩ .
٢٣٢- «شرح التلقين - تحقيق زكي بخاري»، ص٨٢ .

المصادر والمراجع

- **أزهار الرياض في أخبار عياض،** شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ت١٠٤١هـ، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.
- **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم . وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم،** ابن عبدالبر، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- تاريخ التراث ، فؤاد سزكين، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، وراجعه عرفة مصطفى وسعيد عبدالرحيم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام،** برهان الدين أبو الوفا إبراهيم بن محمد ابن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، مصورة عن النسخة المطبوعة بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر، سنة ١٣٠١هـ .
- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** القاضي عياض بن موسى السبتي ت ٥٤٤هـ، تحقيق محمد ابن تاويت وآخرين، وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية بالمغرب، ط الأولى، ١٣٨٣هـ، وطبعة بتحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس - ليبيا .

- **تهذيب التهذيب**، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، طبع دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد، الهند، ط الأولى، ١٣٢٥هـ .
- **جامع مسائل الأحكام**، البرزلي، نسخة مكتبة المسجد النبوي رقم ٢١/٢، ٢١٧، ونسخة في الجامعة رقمها ٣٣٨١ فلم، أصلها من المكتبة الأزهرية بمصر .
- **حاشية الرهوني المسماة أوضح المسالك وأسهل المراقي إلى سبك إبريز الشيخ عبدالباقي، الرهوني**، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، وهو مصور عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر، سنة ١٣٠٦هـ .
- **دراسات في مصادر الفقه الإسلامي**، ميكلوش موراني، نقله عن الألمانية سعيد بحيري وجماعة دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- **تهذيب الطالب وفائدة الراغب**، عبدالحق بن محمد بن هارون الصقلي ٤٦٦، رقمه في مخطوطات الجامعة الإسلامية، ٢٧١٢ فلم، وأصله في مكتبة القرويين بفاس .
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي ت ٧٧٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، وطبعة بتحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، مكتبة دار التراث .
- **روضة المستبين في شرح التلقين**، لابن بزيزة، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، وله صورة في قسم مخطوطات الجامعة الإسلامية .
- **سير أعلام النبلاء** ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠١هـ .
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد مخلوف ١٣٦٠هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان.
- **شرح التلقين**، للمازري، تحقيق : جمال عزون ، رسالة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- **شرح التلقين** ، للمازري، تحقيق : زكي عبدالرحيم بخاري، رسالة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- **شرح التلقين مخطوط القرويين بفاس، ومخطوط مكتبة المسجد النبوي**، ولهما صورة في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية .
- **شرح الرسالة**، قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي الغروي ت ٨٣٧هـ، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- **طبقات الفقهاء**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ت ٤٧٦هـ، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان .
- **الغزالي وعلماء المغرب**، الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ١٩٩٠م .
- **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، القاضي عياض ابن موسى السبتي ت ٥٤٤هـ، تحقيق : ماهر زهير جرّار، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- **الكافي في فقه أهل المدينة المالكي**، ابن عبدالبر، تحقيق محمد بن محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، دار الهدى للطباعة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
- **فهرس مخطوطات خزانة القرويين**، محمد العابد الفاسي، دار الكتاب، الدار البيضاء - المغرب، ط الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
- **مجلة البحوث الفقهية المعاصرة**، وفيها مقال عنوانه اصطلاح المذهب عند المالكية، كتبه محمد إبراهيم أحمد علي، السنة السادسة، العدد ٢٢، السنة ١٤١٥هـ .
- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب**، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي ت ٩١٤هـ، خرجه جماعة بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، بيروت - لبنان .
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، شمس الدين أحمد ابن محمد بن خلكان ت ٨٦١هـ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط الأولى، ١٣٦٧هـ .

استدراك على ديوان ابن مفرِّغ

سيف بن عبدالرحمن العريفي
كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض

يزيد بن مفرِّغ الحميريّ شاعرٌ أموي، توفي سنة ٦٩هـ، وله أخبار مع بني زياد، وهجاهم فأقذع . وقد طوت السنون ديوانه، فلم يبق من شعره غير ما حفظته مصادر الأدب واللغة والتاريخ .

وتوفَّر على جمعه ثلاثة باحثين :

الأول : المستشرق شارل بيلات . وطبع ما جمعه سنة ١٩٥٧م ببيروت .

الثاني : داود سلوم ، ونشر ما جمعه سنة ١٩٦٨م ببغداد .

والثالث : عبدالقدوس أبو صالح، وجمعه لشعر يزيد جزءٌ من رسالة علمية نال بها درجة الماجستير قبل أن ينشر داود سلوم ما جمعه ، ولكنه لم يصدر إلا سنة ١٩٧٥م، ثم أعيد طبعه سنة ١٩٨٢م ببيروت .

وقد أتاح له هذا التأخر في النشر أن يستدرك على سابقيه، إلا أنه لم يرجع إلى "نقائض جرير والأخطل" المنسوب إلى أبي تمام (١)، وهو مطبوع سنة ١٩٢٢م ببيروت، وفيه قصيدتان ليزيد في هجاء عبيدالله بن زياد :

إحداهما : البائية التي من الطويل، وأولها :

أقِـرَّ بَعْيني أنه عَـقَّ أمَّـه
دعتْـه فولاها استَه وهـو يهربُ

والأخرى : العينية التي من الوافر، ومطلعها في الديوان :

ألا غنَّت حمـامةُ بطـن وادٍ
حماماً جاء من طرف اليفاعِ

ولمَّا عرضتُ ما جمعه أبو صالح على ما في النقائض وجدتُ أبياتاً لم ترد في الديوان، وروايات لم يشر إليها، واختلافاً في ترتيب بعض الأبيات .

وتفصيل ذلك فيما يأتي :

أولاً : البائية :

أ – الزيادات :

في النقائض بيتان لم يردا في الديوان :

أحدهما : قوله :

على ميِّتٍ أودى أذعـتَ بلحمـه
لنايحتَيـه رنَّـةٌ حـينَ تَنْدُبُ

وموضعه بعد قوله :

ومنْ حُرَّةٍ زهراءَ قامتْ بسُحْرَةٍ
تُبكِّي قتيلاً أو فتىً يتأوَّبُ (٢)

والآخر قوله :

رأيتُ الكـرام يَصْبِرونَ وأنْتم
نعـامٌ عليـه زِفُّـه يتوقَّبُ (٣)

وهو آخر القصيدة .

ب – ترتيب الأبيات :

لا اختلاف في ترتيب الأبيات إلا في موضع واحد، وهو قوله :

وقاتلتَ حتَّى لا ترى لك مَطْمَعاً
بسيفك في القوم الذين تحزَّبوا

وقلـتَ لأمِّ العَبْد أمِّـك إنَّني
وإنْ كثُر الأعـداءُ حامٍ مُذَبِّبُ

هذا ترتيبهما في الأغاني والديوان (٤)، أما في النقائض فالبيت الثاني مقدَّمٌ على الأول (٥) .

جـ – الروايات :

١ – قوله :

وقال عليك الصبْرَ كوني سبيَّةً
كما كُنْت أو موتي فذلك أقربُ (٦)

في النقائض :

وقال عليك النّاسَ .... [٧]

وأرى أن (الناس) تصحيف : البأس، وهي رواية أشار إليها المحقق .

٢ – قوله :

وقد هتَفَتْ هندٌ بماذا أمرتني
أبِنْ لي وخبِّرني إلى أينَ أذْهَبُ [٨]

في النقائض :

لقد هتفت ....
أبِنْ لي وأخبرني إلى أينَ تَذْهَبُ [٩]

٣ – قوله :

فقال اقصدي للأزدِ في عرصاتها
وبكرٍ فما إنْ عَنْهُم مُتَجنَّبُ [١٠]

في النقائض :

فقال أريد الأزدَ في عرصاتِها
وبكراً فهل لي عنهمُ متجنب [١١]

٤ – قوله :

أخافُ تميماً والمسالحُ دونَها
ونيرانُ أعدائي عليَّ تلهَّبُ [١٢]

في النقائض :

أخاف تميماً والمسالحَ دونَها
ونيرانَ أعداءٍ عليَّ تلهَّبُ [١٣]

٥ – قوله :

وولَّى وماءُ العين يغسلُ وَجْهَها
كأنْ لم يكن والدَّهرُ بالنّاسِ قُلَّبُ [١٤]

في النقائض :

فولَّى وماءُ العين يغسلُ جيبَها
كأن لم يكن والدَّهْرُ بالمرءِ قُلَّبُ [١٥]

٦ – قوله :

فكم من كريم قد جررتَ جريرةً
عليه فمقبورٌ وعانٍ يُعَذَّبُ [١٦]

في النقائض :

فكم من قتيلٍ قد جررتَ جريرةً
عليه فبكُّوه وعانٍ يُسَحَّبُ [١٧]

٧ – قوله :

ومنْ حُرَّةٍ زهراءَ قامت بُسْحرةٍ
تبكّي قتيلاً أو فتىً يتأوَّبُ [١٨]

في النقائض :

ومنْ حُرَّةٍ زهراءَ قامت بسُحْرةٍ
تجاوبُ هاماً أو صدىً يتأوَّبُ

ومنها روايةٌ أخرى، وهي :

....
تجاوبُ هاماً أو صدىً يتحوَّبُ [١٩]

٨ – قوله :

وقاتلتَ حتّى لا ترى لك مَطمَعاً
بسيفك في القوم الذين تحزَّبوا [٢٠]

في النقائض :

وقاتلتَ حتّى لا يكونَ مقاتلٌ
بسيفك والقومُ الذين تحزَّبوا [٢١]

ثانياً : العينية :

أ – الزيادة :

في النقائض بيتٌ لم يرد في الديوان، وهو :

فليتَ سحابَ جاريةٍ وإتْباً
عليكَ إذا دعا الأبطالَ داعي [٢٢]

وموضعه بعد قوله :

وكِدتَ تموتُ أنْ صاح ابنُ آوى
ومَنْ ذا مات من صوتِ السِّباعِ

ب – ترتيب الأبيات :

أنبِّه أولاً على أنَّ مطلع القصيدة ليس ما أثبته المحقق الفاضل، وإنما هو قوله :

جرتْ أمُّ الظِّباءِ ببين ليلى
وكلُّ وصالِ حبلٍ لانقطاعِ

نص عليه أبو الفرج [٢٣] .

أما المطلع الذي أثبته المحقق فموضعه قبل البيت التاسع في الديوان [٢٤] .

ثم أعود إلى ترتيب الأبيات في النقائض، وتفصيله على النحو الآتي :

١ – البيت الثامن في الديوان موضعه في النقائض بعد البيت السادس عشر [٢٥] .

٢ – البيت التاسع في الديوان جاء في النقائض بعد البيت المتمم للعشرين [٢٦] .

٣ – البيت الخامس عشر في الديوان ورد في النقائض بعد البيت التاسع [٢٧] .

٤ – البيت السادس عشر في الديوان جاء بعد البيت السابع عشر في النقائض [٢٨] .

جـ – الروايات :

١ – قوله :

ألم تر إذ تَحالَفَ حِلْفَ حربٍ
عليكَ غدوتَ من سَقْطِ المتاعِ [٢٩]

في النقائض :

رأيتُكَ إذ تَحالَفَ آلُ حربٍ
عليك فصرتَ من سَقْطِ المتاعِ [٣٠]

وقد نصب (حلف) في الديوان، والوجه الرفع .

٢ – قوله :

فأشهدُ أنَّ أُمَّكَ لم تباشِرْ
أبا سفيانَ واضعةَ القناعِ [٣١]

في النقائض :

شهدتُ بأنَّ أُمَّكَ .... [٣٢]

هذا آخر الاستدراك، كتبته معترفاً بفضل أستاذي وعلمه، ومتمنياً عليه أن يعيد نشر الديوان متضمناً هذه الزيادات. وتلك التي أوردها الجاحظ في البرصان، ونبَّه عليها أحمد الضبيب .

الهوامش

١ – يقول العلامة الميمني : «بعض المتأخرين في زمن الأتراك لما رأى عنوانه غُفلاً عن ذكر المؤلف زاد عليه بخطه الفارسي : «تأليف الإمام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام، وهو اختلاق منه قبيحٌ، فإنه ليس له ألبتة، وأظن ... أنه للأصمعي» مقدمة الوحشيات ٥ .

٢ – انظر : النقائض ٩ .

٣ – انظر : المصدر السابق، ١٠ .

٤ – انظر : الأغاني ١٧/٦٥، الديوان ٧٠ .

٥ – انظر : النقائض ١٠ .

٦ – انظر : الديوان ٦٥ .

٧ – انظر : النقائض ٩ .

٨ – انظر : الديوان ٦٥ .

٩ – انظر : النقائض ٩ .

١٠– انظر : الديوان ٦٦ .

١١– انظر : النقائض ٩ .

١٢– انظر : الديوان ٦٦ .

١٣– انظر : النقائض ٩ .

١٤– انظر : الديوان ٦٧ .

١٥– انظر : النقائض ٩ .

١٦– انظر : الديوان ٦٨ .

١٧– انظر : النقائض ٩ .

١٨– انظر : الديوان ٦٨ .

١٩– انظر : النقائض ٩ .

٢٠– انظر : الديوان ٧٠ .

٢١– انظر : النقائض ١٠ .

٢٢– المصدر السابق ٨ .

٢٣– انظر : الأغاني ١٧/٦٦ .

٢٤– انظر : النقائض ٨، الحماسة الشجرية ٤٥٠ .

٢٥– انظر : الديوان ١٥٢، النقائض ٨ .

٢٦– المصدر السابق .

٢٧– انظر : الديوان ١٥٥، النقائض ٨ .

٢٨– المصدر السابق .

٢٩– انظر : الديوان ١٥٥ .

٣٠– انظر : النقائض ٨ .

٣١– انظر : الديوان ١٥٧ .

٣٢– انظر : النقائض ٨ .

المصطلحات العلمية : ببليوجرافية مختارة مع التركيز على بعض فروع العلوم الطبيعية

أحمد عبدالقادر المهندس

جامعة الملك سعود - الرياض

نعيش اليوم في عالم يعد فيه المصطلح العلمي جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية ، وبشكل خاص في مجالات العلوم والتقنية . ونحن بحاجة لفهم هذا المصطلح لإدراك العالم من حولنا ، من اللامتناهي في الكبر إلى اللامتناهي في الصغر .

ولا يكاد يمضي يوم إلا ويزداد عدد المصطلحات المستخدمة لمكتشفات العلوم والطب والتقنية ، وأصبح من الضروري إيجاد المقابلات العربية لها ونشرها وتعميمها في أرجاء الوطن العربي .

والمصطلحات العلمية هي جزء من كلمة "مصطلحية" ، وهي تسمية بدأت في الذيوع في النصف الثاني من القرن العشرين . وتعني المصطلحية دراسة كل ما يتعلق بالمصطلحات المرتبطة بالعلوم والفنون والآداب ، ومن وضع وتصنيف وتجميع ونشر في صورة معاجم متخصصة (١) .

والمصطلح العلمي هو كلمة أو أكثر يتم الاتفاق على تخصيصها لتعني مفهوماً محدداً (٢) . ويقول الدكتور عمر فروخ إن وضع المصطلحات موحدة هو أمر من الأمور المهمة ، فلا يجوز أن يدل المصطلح الواحد على مدركين ولا أن يكون للمدرك الواحد مصطلحان أو أكثر (٣) .

ولا شك أن مشكلة صياغة المصطلح العلمي وتوحيده تمثل أبرز المشكلات التي تواجه تعريب مصطلحات العلوم والتقنية ، وخاصة في الجامعة والمعاهد والمؤسسات التي تتعامل مع معطيات العلوم الحديثة والطب والتقنية . ويعود السبب في ذلك إلى عدم مواكبة الانتاج المصطلحي العربي لسيل المصطلحات العارم الذي يقذف بآلاف المفردات العلمية من خلال الجامعات ومراكز البحوث ودور النشر والدوريات العلمية في البلدان المتقدمة ، وخاصة في الدول الغربية .

والواقع أن الترجمة العلمية لن تكون دقيقة ومعبرة إلا بعد التغلب على مشكلة المصطلح العلمي . إن العلوم الأساسية أو الطبيعية مثل الفيزياء والرياضيات والجيولوجيا والفلك والكيمياء والأحياء في تقدم مستمر ، وهي تسير بسرعة مذهلة ، مما يؤدي إلى ظهور مصطلحات علمية جديدة كل يوم . ولقد نتج عن التقدم العلمي المذهل استحداث مئات بل آلاف المصطلحات العلمية ، التي تدعونا إلى متابعتها والتعرف عليها ، وصياغتها في قالب عربي سليم سواء بواسطة التعريب أو الترجمة ، حتى نكون في مستوى العصر والزمن الذي نعيش فيه .

وحيث أن المصطلحات العلمية تثمل أحد الركائز الأساسية في حركة الترجمة والتعريب ، فقد ظهرت في العالم العربي العديد من المؤسسات الحكومية والخاصة والتي تعني بصياغة المصطلحات العلمية وتوحيدها ونشرها. ومن هذه المؤسسات ، مجامع اللغة العربية في

القاهرة ودمشق وبغداد ، وعمان ، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط ، وبعض المؤسسات والمراكز والمعاهد ودور النشر الخاصة في الدول العربية .

إن الهدف من هذه المقالة هو وضع قائمة ببليوجرافية بالكتب ، والدراسات والبحوث والمقالات التي نشرت باللغة العربية في المجالات العامة والمتخصصة أو في السجلات العلمية للندوات والمؤتمرات .

وتبرز هذه المقالة الدراسات والبحوث التي أجريت حول المصطلحات العلمية وبنوك المصطلحات بشكل عام ، كما تركز المقالة بشكل خاص على الدراسات والبحوث المتعلقة بالمصطلحات العلمية في مجال علوم الأحياء ، الجيولوجيا ، الفيزياء ، الرياضيات ، الفلك ، والكيمياء .

وقد تم ترتيب مواد أقسام الببليوجرافية هجائياً بأسماء المؤلفين . وتتكون بيانات التسجيلات الببليوغرافية (البطاقات) من : اسم المؤلف (مقلوب) ، عنوان المادة ، بيانات النشر .

المصطلحات العلمية وبنوكها

– أنيس ، إبراهيم . "المصطلح العلمي" . مجلة مجمع اللغة العربية .- القاهرة ، ج٢٤، ١٩٦٩م ، ٧ – ١٠ .

– البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا (مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية حالياً) : اللسان العربي .- الرباط ، ع٢٤ ، ١٩٨٥م ، ٣٠١ – ٣٠٥ .

– جرار ، عادل أحمد . "التعريب ووضع المصطلحات العلمية : تسمية المركبات العضوية" : .- تونس : المجلة العربية للعلوم ، س١، ع١ ، ١٩٨٣م ، ٧٦ – ٧٩ .

– الجندي، أنور . "المصطلحات العلمية في اللغة العربية".- الرباط : اللسان العربي ، ع٤ ، ١٩٦٦م ، ١٢٨ .

– الحاج سعيد ، أحمد . "التعريب ووضع المصطلحات العلمية . المصطلحات الكيميائية" .- تونس : المجلة العربية للعلوم ، مج١ ، ع٢ ، ١٩٨٣م ، ١١٤ – ١١٦ .

– حجاز ، محمود فهمي . "بنوك المصطلحات العلمية واللغوية".- الرياض : اللسان العربي، ع٣٥ ، ١٩٩١م، ١٥٥ – ١٥٧ .

– حجاز ، محمود فهمي . "بنوك المصطلحات وتعريب العلوم" في : أبحاث المؤتمر السنوي لتعريب العلوم ، ١٩٩٦م ، ٤/١٥١ – ١٥٤ .

– حسن ، محمد يوسف . "تمكين العربية من الأداء العلمي وصياغة المصطلحات الحديثة وسبب اشاعتها" في بحوث ندوة وضع المصطلح العربي وسبل نشر المصطلح واشاعته المنعقدة في مجمع اللغة العربية الأردني (أيلول) ١٩٩٣م .

– حسن ، محمد يوسف . "دور النحت اللغوي في الأداء العلمي بالعربية" في : بحوث الدورة الستين لمجمع اللغة العربية – القاهرة ، ١٩٩٤م .

– حسون ، محمود نديم "التعريب وتوحيد المصطلحات العلمية في العالم العربي" في : مؤتمر التضامن الإسلامي في مجالات العلم والتكنولوجيا .- الرياض، ١٩٧٥م ، ١٩ ص .

– حسين ، محمد كامل . "القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ع١١، ١٩٥٩م ، ١٣٧ – ١٤٢ .

– الصعيدي ، عبدالفتاح "مصطلحات العلوم في اللغة ودور المجمع فيها" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية، ع١٣، ١٩٦١م ، ٢٠٩ – ٢٢٠ .

- الحطاب ، أحمد . "المصطلحات العلمية وأهميتها في مجال ترجمة العلوم الطبيعية كنموذج" من كتاب : الترجمة العلمية ندوة لجنة اللغة العربية لأكاديمية المملكة المغربية طنجة (١١ - ١٢ ديسمبر ١٩٩٥م) ، ١٩٩٧م ، ١٨٥ - ٢٠٤ .

- حقي ، خير الدين . "وحدة المصطلح العلمي" .- الرباط: اللسان العربي ، ع٣ ، ١٩٦٥م ، ٣٢ - ٣٥ .

- الحمزاوي ، محمد رشاد . "الصدور واللواحق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها إلى العربية الحديثة" .- الرباط: اللسان العربي ، ع١٢ ، ج١، ١٩٧٥م ، ١٢١ - ١٣٨.

- حقي ممدوح . "معجم المصطلحات العلمية لأحمد شفيق الخطيب" .- الرباط : اللسان العربي ، ع٩ ، ج١ ، ١٩٧٢م ، ٤٣٨ - ٤٣٩ .

- الخطيب ، أحمد شفيق . "وضع المصطلحات العلمية وتطور اللغة " .- الرباط : اللسان العربي ، ع٩ ، ج٢، ١٩٧٢م ، ٣ - .

- الخطيب ، أحمد شفيق . "منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة مع ترجمة للسوابق واللواحق الشائعة" .- الرباط : اللسان العربي ، مج١٩ ، ١٩٨٢م.

- الخطيب ، أحمد شفيق . "حول توحيد المصطلحات العلمية . من محاضرات مجمع اللغة العربية في مؤتمر ٥٩ بالقاهرة .- بيروت : مكتبة لبنان - دائرة المعاجم ١٩٩٣م ، ٥٤ص .

- الخطيب ، أنور . "منهج بناء المصطلحات العلمي العربية" .- الرباط : اللسان العربي ، ع٢٠، ١٩٨٣م، ٨٥ - ١٠١ .

- الدمرداش ، إبراهيم أدهم . "المصطلح العلمي ولغة العلم. في بحوث ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً .- تونس ، ١٩٨٦م ، ٥ص .

- السلاوي ، محمد أديب . "قضية المصطلح العلمي في العربية" .- الرباط : آفاق ، ع١ ، ١٩٨٠م ، ٨١ - ٩١.

- شاهين ، عبدالصبور . "العربية لغة العلوم والتقنية" .- ط٢ .- القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٨٣م، ٤٧٠ص.

- الصرم ، خالد . "المصطلحات اللونية في اللغة العربية" .- تونس : الحياة الثقافية ، ع٦٧ - ٦٨ ، ١٩٩٤م ، ١٣٣ - ١٣٧ .

- صيني ، محمود إسماعيل . "بنوك المصطلحات الآلية" .- الرياض : الفيصل، ع٨٩ ، ١٩٨٤م ، ٣٥ - ٣٩.

- عبدالعزيز ، محمد حسن . "المصطلحات العلمي بين الترجمة والتعريب" .- جدة : المنهل ، مج٤٥ ، ع٥٠٤، ١٩٩٣م ، ١٠٨ - ١١٢ .

- الفاضل ، عبدالرحمن عبدالعزيز ، نشاط مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية في مجال توثيق المصطلحات العربية وتوحيدها السجل العلمي "لندوة تعميم التعريب وتطوير الترجمة في المملكة العربية السعودية" في الفترة ٢ - ٣ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ، ٤٨٧ - ٥١٦ .- الرياض - المملكة العربية السعودية.

- الفحام ، شاكر . "قضية المصطلح العلمي وموقعه في نطاق تعريب التعليم العالي" .- دمشق : مجلة مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٤م ، ٦٩٢ - ٧٠٨ .

- القاسمي ، علي . "نحو إنشاء بنك المصطلحات المركزي في الوطن العربي" .- الرباط : اللسان العربي ، مج١٦، ج١ ، ١٩٧٨م ، ١٠٩ - ١٨٨ .

- القاسمي ، علي . "علم المصطلحات النظرية العامة

لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها" . من : بحوث مؤتمر تعريب التعليم الجامعي .- دمشق ، ١٩٨٢م .

- قرشي ، خضر بن عليان . "تعريب العلوم ووضع المصطلحات" .- الرباط : اللسان العربي ، ع٢٢، ١٩٨٣م ، ١٤١ - ١٥١ .

- القفاري ، عبدالله سليمان . "خطوات تطبيقية نحو منهجية مدعمة بالحاسب الآلي لمعالجة ونشر المصطلح" من بحوث ندوة منهجية وضع المصطلحات العربية وسبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته . المنعقدة في مجمع اللغة العربية الأردني (أيلوي) ١٩٩٣م .

- الكواكبي ، صلاح الدين . "النحت والمصطلحات العلمية" .- دمشق : مجلة مجمع اللغة العربية ، مج٣٩ ، ج٣ ، ١٩٦٤م ، ٥٠٧ - ٥٠٩ .

- محمد ، مناف مهدي . "المصطلح العلمي العربي قديماً وحديثاً" .- الرباط : اللسان العربي ، ع٣٠ ، ١٩٨٨م ، ١٤٣ - ١٥٩ .

- مدكور، إبراهيم . "المصطلحات العلمية المعاصرة" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ع١٨ ، ١٩٦٥م ، ٧ - ١٢ .

- مدكور ، إبراهيم . "محصول مجمع اللغة العربية لمصطلحات العلم ٢٥٠٠ مصطلح في العام" .- الكويت : مجلة العربي ، ع١٨٧ ، ١٩٧٤م .

- مدكور ، إبراهيم . "مجمع القاهرة والمصطلح العلمي".- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٢ ، ١٩٧٨م ، ١٠ - ١٤ .

- محفوظ ، حسين علي . "من مصادر المصطلحات العلمية في التراث العربي" .- بغداد : مركز إحياء التراث العلمي العربي ، ١٩٨٥م .

- مقدادي ، محمد فخري . "مشكلة المصطلحات العلمية في اللغة العربية" .- الأردن : مجلة اليرموك ، ع٢٠ - ٢١ ، ١٩٨٧م ، ٢٦ - ٢٩ ، ٣٨ - .

- الملائكة ، جميل . "في مستلزمات المصطلح العلمي" .- بغداد : مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج٢٤ ، ١٩٧٤م، ٩ - ١٨ .

- الملائكة ، جميل . "في قواعد وضع المصطلحات العلمية" .- بغداد : مجلة البحث العلمي العربي ، مج٢ ، ع٦ ، ١٩٨٢م ، ٨٦ - ٩٤ .

- الملائكة ، جميل . "في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه" .- الرباط : اللسان العربي ، ع٢٤ ، ١٩٨٥م ، ٣٥ - ٤٠ .

- الملائكة ، جميل . "تقييس المصطلح وتوحيده في العالم العربي : المبادئ والطرائق" في : بحوث ندوة التقييس والتوحيد المصطلحيان .- تونس ١٣-١٧/٣/١٩٨٩م، ١١ص .

- الملائكة ، جميل . "منهجية وضع المصطلح وتوحيده" في: بحوث ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد واشاعته . المنعقدة في مجمع اللغة العربية الأردني ، (٦ - ٩ أيلول) ١٩٩٣م .

- منتصر ، عبدالحليم . "مشكلة المصطلحات العلمية والطريقة العلمية لها" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ع١٣ ، ١٩٦١م ، ٢٠٣ - ٢٠٨ .

- الهلالي ، صادق . "تباين مصطلحات المعاجم العلمية وأثرها على التعريب" .- الرباط : اللسان العربي ، ع٣٠ ، ١٩٨٨م ، ٢١٩ - ٢٤٠ .

- الهلالي ، صادق . "تطوير منهجية وضع المصطلحات العلمية ورموزها وتوحيدها واشاعتها" في : بحوث ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وسبل نشر المصطلح الموحد واشاعته . المنعقدة في مجمع اللغة العربية الأردني ، ١٩٩٣م .

مصطلحات علم الأحياء

- سنكري ، محمد نذير . "إحياء التراث العربي في تعابير علم الأحياء" .- الرباط : اللسان العربي ، ع١٣، ج١ ، ١٩٧٦م ، ١٥٩ - ١٦٨ .

- الشبيبي ، محمد رضا . "المصطلحات العلمية وكتاب جامع أشتات النبات للإدريسي" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٩ ، ١٩٥٧م ، ١٥٩ - ١٦٤ .

- شهابي ، مصطفى . "أسماء النبات والحيوان في المعجمات العربية" .- دمشق : مجلة مجمع اللغة العربية ، مج٢٤ ، ج٤ ، ١٩٤٩م ، ٥١٥ - ٥٢٥.

- الهلالي ، صادق وسفيان العسولي . "ملاحظات حول مصطلحات علم الوراثة والعلوم الوراثية ومقترح لمصطلحات علوم الوراثة" .- الرباط : اللسان العربي، ع٢٢ ، ١٩٨٣م ، ١٥٧ - ١٩١ .

المصطلحات الجيولوجية

- حسن ، محمد يوسف : "المصطلح الجيولوجي" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٣٢ ، ١٩٧٣م ، ١٠٠ - ١٠٤ .

- حسن ، محمد يوسف . "ثراء اللغة العربية بأصول المصطلحات الجيولوجية" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ع٣٣ ، ١٩٧٣م ، ٩٢ - ١٠٨ .

- زايد ، محمد زايد . "المصطلحات العربية في علوم الأرض" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، مج٤، ج١ ، ١٩٧٧م ، ١٤٦ - ١٥٦ .

- السكري ، علي . "المصطلحات العربية في علوم الأرض" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٥٩ ، ١٩٨٦م ، ٨١ - ٩٠ .

- السكري ، علي وزايد محمد . "المصطلحات العربية في علوم الأرض" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٤٠ ، ١٩٧٧م ، ١٤٥ - ١٦١ .

- عابد ، عبدالقادر . "المصطلح العلمي العربي القديم في علم الجواهر والمعادن" في : بحوث المؤتمر العلمي الأول حول الكتابة باللغة العربية ببنغازي .- بيروت : معهد الإنماء العربي ، ١٩٩٠م ، ٢٤٧ - ٢٥٤ .

- الغنيم ، عبدالله يوسف . "استنباط المصطلحات العربية للأشكال الأرضية" .- الكويت : المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، مج٣ ، ع١٢ ، ١٩٨٣م ، ١٣ - ١٦ .

- الغنيم ، عبدالله يوسف . "المصادر العربية لمصطلحات الأشكال الأرضية" .- الكويت : الجمعية الجغرافية الكويتية ، ١٩٨٣م ، ٨٠ ص .

- الملائكة ، جميل . "مصطلحات المياه" .- بغداد مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج٢٣، ١٩٧٣م، ٢٨٣ - ٢٨٥.

- الملائكة ، جميل . "مصطلحات المياه" .- بغداد مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢٥، ١٩٧٤م، ٣٥٤ - ٣٦٥.

- ممو ، أحمد . "المعجم الهيدروجيولوجي العربي" .- تونس : مجلة المعجمية ، ع٤ ، ١٩٨٨م ، ٩١ - ١٢٢.

- ممو ، أحمد . "في المعجم الهيدروجيولوجي العربي" .- تونس : مجلة المعجمية ، ع٧ ، ١٩٩١م ، ٧٥ - ١٢٢.

- ممو ، أحمد . "في المعجم الهيدروجيولوجي العربي" .- تونس : مجلة المعجمية ، ع٨ ، ١٩٩٢م ، ١٢٣ - ١٥٤ .
- المهندس ، أحمد عبدالقادر . "اللغة العربية والمصطلحات الجيولوجية" في كتابه : تأملات في الأدب والحياة .- الرياض : جامعة الملك سعود ، ١٩٨٢م ، ١٥٣ - ١٥٦ .
- المهندس ، أحمد عبدالقادر . "دور التراث العربي في تعريب المصطلحات الجيولوجية" في : بحوث تعريب التعليم الجامعي .- دمشق ، ١٩٨٢م .

مصطلحات الفيزياء والرياضيات

- خرباش ، محمد . "مصطلح الرياضيات بين التعريب والترجمة" من كتاب : الترجمة العلمية ندوة لجنة اللغة العربية لأكاديمية المملكة المغربية .- طنجة (١١ - ١٢ ديسمبر ١٩٩٥م) ، ١٩٩٧م ، ٢٠٥ - ٢٢٨.
- الخطيب ، أحمد شفيق وآخرون . "حول مصطلحات الأرصاد الجوية" .- عمان : مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، ع٢١ - ٢٢ ، ١٩٨١م ، ١٧٣ - ٢٠٩.
- شوقي ، جلال . "مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب" : .- القاهرة : مجمع اللغة العربية ، ج٣٦، ١٩٧٥م ، ١٧١ - ١٩٥ .
- قسوم ، نضال . "مشاكل المصطلح الفيزيائي في الترجمة العربية" .- طنجة : مجلة ترجمان ، مج٤ ، ع١، ١٩٩٥م ، ٢١ - ٢٩ .

المصطلحات الفلكية

- الخوري ، جورج حبيب . "ملاحظات على المطلحات الفلكية للدكتور محمد رضا مدور" .- الرباط : اللسان العربي ، ع٧ ، ج٢ ، ١٩٧٠م ، ٣٦٦ - ٣٦٧.

المصطلحات الفلكية

- الزبادي ، عبدالفتاح . "مقتطفات لغوية من المعجم الفلكي" .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٣، ١٩٨٦م ، ٣٧ - ٤٧ .
- السمان ، وجيه . "مصطلحات الفلك الحديث" .- دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية ، مج٥٨ ، ج١ ، ١٩٨٣م ، ٧٠ - ٨٨ .
- مدور ، محمد رضا . "ملاحظات على بعض المصطلحات الفلكية" .- الرباط : اللسان العربي ، ع٦ ، ١٩٦٩م ، ٤٧١ - ٤٧٨ .

المصطلحات الكيميائية

- اتحاد الكيميائيين العرب ، الأمانة العامة . "المصطلح الكيميائي العربي خطوة رائدة في توحيد كلمة العرب" من بحوث ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات .- تونس ٧ - ١٠ /٧/١٩٨٦م .
- جرار ، عادل محمد . "التعريب ووضع المصطلحات العلمية : تسمية المركبات الكيميائية" .- تونس : المجلة العربية للعلوم ، ع١ ، س١ ، ١٩٨٢م ، ٧٦ - ٧٩ .
- جوهر ، حامد عبدالفتاح . تقرير عن مشروع معجم الكيمياء العامة .- القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية، ج٥٢ ، ١٩٨٣م ، ١٩٤ - ١٩٦ .
- الحاج سعيد ، أحمد . "التعريب ووضع المصطلحات العلمية . المصطلحات الكيميائية" .- تونس : المجلة العربية للعلوم ، مج١ ، ع٢ ، ١٩٨٣م ، ١١٤ - ١١٦ .
- الخمساوي، أحمد خمساوي . "مصطلحات الكيمياء الزراعية والحيوية : صياغتها ومشاكل تعريبها" .- القاهرة : الجمعية المصرية لتعريب العلوم ، ١٩٩٦م، ١/٤ - ٣١.

– الشكري ، جابر . "المصطلح الكيماوي في التراث العربي" .– بغداد : مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج٣١ ، ١٩٨٠م ، ٨٣ – ١٠١ .

– الطائي ، عادل . "المصطلح الكيميائي العربي : خطوة رائدة في توحيد كلمة العربي" في : بحوث ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً .– تونس ، ٧ – ١٠ / ٧/١٩٨٦م ، ٧ص .

– الطائي ، فاضل . "ملاحظات حول معجم الكيمياء" .– دمشق : مجلة المجمع العلمي العربي ، مج٢٣ ، ١٩٧٣م، ١٠٠ – ١٠٩ .

– الطائي ، فاضل . "مذكرة حول المصطلحات البترولية".– بغداد : مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج٢٥ ، ١٩٩٤م، ٣٣٤ – ٣٥٣ .

– القيسي ، مجيد علي . "المصطلح الكيميائي العربي" .– بغداد : مجلة المجمع العلمي العراقي ، م -٤ ، ج٢ ، ١٩٨٩م ، ٢٦٤ – ٢٩٥ .

– القيسي ، مجيد علي . "مناهج المصطلح الكيميائي العربي ومقاييسه" .– عمان : مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، ع٣٧ ، ١٩٨٩م ، ١٢١ – ١٧٦ .

– القيسي ، مجيد علي . "نقد مشروع معجم المصطلحات الكيميائي الموحد" .– عمان : مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، ع٥١ ، ١٩٩٦م ، ٢١٣ – ٢٣٦ .

– الكواكبي ، صلاح الدين . "الأخطاء العلمية في المصطلحات الكيميائية .– دمشق : مجلة مجمع اللغة العربية ، مج٤٧ ، ١٩٧٢م ، ٤٦٢ – ٤٦٦ .

– الميهوب ، عبدالسلام علي . "منطوق المصطلحات الكيميائية بين العربية والإنجليزية . بحوث المؤتمر العلمي للكتابة العلمية باللغة العربية ببنغازي ، ١٩٩٠م، ٣٠١ – ٣٠٥ .

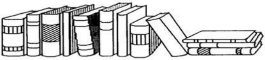
– وزارة التربية والتعليم السورية . تعديلات على معجم الكيمياء .– الرباط : اللسان العربي ، ع٤ ، ١٩٦٦م ، ٢٨٨ – ٢٩٠ .

المراجع

١ – صالح ، محمود إسماعيل ، ١٩٩٩م . دراسات المعجمية والمصطلحية "قائمة ببليوجرافية" ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٧ ص .

٢ – شوقي ، جلال ، ١٩٩٠م . "المصطلح العلمي بين الثراء والإثراء" في : بحوث المؤتمر العلمي الأول حول الكتابة باللغة العربية ببنغازي .– بيروت : معهد الإنماء العربي ، ص٢٤٧ – ٢٥٤ .

٣ – فروخ ، عمر ، ١٩٨٠م . "لغة العلم" ضمن بحوث مؤتمر الدورة (٤٧) ، مجمع اللغة العربية .



الخَيل في المكتبة العربية

عادل محمد علي الشيخ حسين

عمان - الأردن

﴿والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة﴾ [سورة آل عمران ، ١٤] ، ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [سورة النحل ، ٨] ، ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [سورة الأنفال ، ٦٠] ، ﴿والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحاً فالمغيرات صُبحاً ، فأثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً﴾ [العاديات ، ١ - ٥] .

إن هذه الآيات الكريمة التي جاءت بحق الخيل إنما هي تنويه بها ولفت إليها ورفع لقدرها باعتبارها نعمة مباركة من نعم الخالق الكثيرة جل شأنه على عباده من البشر .

والخيل ، بفتح الخاء ، جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه ، فهو حينئذ اسم جمع . والخيول قديمة جداً ، ولها فصيلة خاصة بها ما زال قسمٌ منها يعيش على حالته الوحشية في أواسط آسيا في القفقاس . وقد اعتقد علماء الحيوان أن معظم الخيول الوحشية وحتى العربية منها هي من أصل واحد، وأنها تنحدر من هذه الخيول الوحشية، وأن اختلاف التربة والمناخ والجو والغذاء هو الذي باعد بين أشكالها . وأتوا بدليل على ذلك أن الخيول العربية التي كانت تشترى من مصر والجزيرة وتربى في جهة أوكرانيا تأخذ سلالتها في الذرية الثانية شكل الخيول القفقاسية وحجمها . وهذا الرأي مرفوض لأن الخيول العربية قديمة وأصيلة وليست لها علاقة بالخيول الوحشية الحالية في أواسط آسيا الآن . وتمتاز الخيول الأصيلة بشكلها الجذاب ورقة جلودها ونعومتها ونزر شعرها مع لينه، وبقوة عضلاتها التي تكون واضحة بصلابة عظامها وقلة منسوجها الخلوي وباتضاح أوعيتها الشعرية تحت الجلد وسرعة سيرها ونمو مجموعها العصبي وقوة إدراكها وتحملها المشاق .

وكانت الخيل في عهد النبي الكريم محمد ﷺ موضع احترام وتقدير عظيمين فاتخذ الرسول ﷺ الخيل وارتبطها وأعجب بها وحض عليها وعلم المسلمين ما لهم في ذلك من الأجر ، وفضلها في السهم على أصحابها ، فجعل للفرس سهمين ولصاحبه سهماً ، فارتبطها المسلمون ، وأسرعوا إلى ذلك وعرفوا ما لهم فيه من التثمير في الرزق ، ومن أقوال الرسول ﷺ في الخيل : «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» .

وتتميز الخيول العربية الأصيلة بصفات جعلتها الفريدة في ذلك فهي تتحمل المشاق وتصبر على التقلبات الجوية وتقتات أغذية لا يمكن للخيول الأوربية تناولها ولا تتعب من مكابدة المشاق وتعيش على الدوام في الخلاء ، وتعتاد على أي طقس في أي إقليم معتدل أو بارد إذا ما وضعت فيه ، وهي لطيفة الطبع ، سهلة الانقياد حتى إنه يمكن تعليمها وتمرينها على الأعمال المطلوبة منها في أسرع وقت من باقي الخيول الأخرى . ويهتم العرب بالخيل من خلال ألوانها النقية كالأسود ذي العيون الحمراء ، والأشقر الزاهي والأشقر القاتم ، والأشقر الأصفر ، والأبيض والأحمر ذي العيون البيضاء . وقد استعان معظم مربي الخيول في العالم بالحصان العربي لتحسين خيولهم بعد أن أحسوا ما لهذا الحصان من صفات جيدة وقيمة لا توجد إلا فيه .

والخيل تتبع العائلة المسماة باسمها [الخيلية Equidae] ، وهي تتميز بوجود حافر واحد يتكون من الإصبع الثالثة داخل صندوق قرني هو الحافر . وقد ارتفع العقب والرسغ بعيداً عن الأرض وأصبحا يكونان العرقوب والركبة وقد هيأت هذه الحيوانات للسرعة الفائقة على الأرض الصلبة كما هيأت أسنانها لرعي الحشائش ومضغها . والذنب مغطى بشعر طويل يعمل عمل السياط في طرد الذباب في الحظائر والحقول ، وخاصة النعرة من جنس ذباب الخيل التي تثقب الجلد وتضع تحته بيضها ، والخيول حيوانات اجتماعية تعيش في قطعان قد يبلغ عدد الواحد منها بضع مئات ، والأفراس تلد صغيراً واحداً مرة كل سنتين . ويولد الصغير كامل النمو مفتوح العينين ، ويستطيع الوقوف بعد دقائق من مولده دون مساعدة ما . وتعمر الخيول طويلاً ، وقد تلد الفرس في سن الخامسة والعشرين . وقد عمر بعض الخيول خمسين عاماً ومدة حمل الأنثى ١١ شهراً . وأشهر الخيول العربية الأصيلة ما يعرف [بالكحيلان] الذي يتميز بجمال الجسم وقوة الاحتمال والنباهة والإخلاص لقائده وتعلقه به ، وكان هذا النسب هو الذي استمدت منه الآراء الغربية فيما يتعلق بتربية الخيول الممتازة كما يشير ڤيليب حتي إلى ذلك .

وفي القرن الثامن أدخل العرب الخيل إلى أوربا عن طريق إسبانية حيث خلفت أثرها الدائم في أنسالها من الخيول المغربية والأندلسية (حسب تأكيد ويليام ويراون) واكتسبت الخيول الإنجليزية دماً جديداً لاختلاطها بالخيول العربية أثناء الحروب الصليبية المتكررة على بلاد المشرق العربي .

ولم يبق على قيد الحياة من أصناف الحصان إلا صنفين هما : فرس منغوليا الوحشي ، والحصان الداجن [الأهلي] . وهناك نوع من الخيول يسمى بالسيسي وهي صغيرة الحجم ، ومن أشهر أنواعها السيسي النرويجي الذي له مزايا وصفات تجعله الوريث المباشر لأنواع الخيل، فارتفاع كتفه يتراوح بين ١٣٠ - ١٤٠ سم ، وكذلك لون الأقدام الأسود يوحي بهذه القرابة ، وهي فضلاً عن أن التخطيط الكثيف الضيق على الجبهة يشير إلى شبه بينه وبين حمار الوحش كما يبين غلظ العنق عن شبه بالحصان الوحشي - والاسم العلمي للخيل [Gavs caballus] ، وبالإنجليزية [The horse] .

أ - المؤلفات العربية القديمة في الخيل :

لهذه المزايا والصفات الحميدة التي يتمتع بها هذا الحيوان الوديع الأليف ، الذي رافق العرب منذ القدم ، في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والزراعية ، كان لا بد أن يفردوا له المؤلفات والمراجع والفصول والأبواب الكبيرة في كتبهم ومصنفاتهم المختلفة . وسنحاول أن نستعرض ما وصل إلينا من هذه المصنفات ضمن المكتبة العربية ، والتي ما زال قسم كبير منها إما مفقوداً أو مخطوطاً ، ولم ينشر إلى الآن ، وهذه المؤلفات هي كما يأتي :

١ - **الفروسية والخيل** ، لمحمد بن أبي حزام [حوالي ٢٤٦هـ]، تناول فيه سلوك الأفراس وخصائصها وأمراضها وطرق علاجها ، وقد قدمه للخليفة العباسي المتوكل .

٢ - **الخيل**، للأصمعي [عبدالملك بن قريب المتوفى ٢١٦هـ]، طبع هذا الكتاب أول مرة في فينا عاصمة النمسا سنة ١٨٩٥م بتحقيق المستشرق هافز في مجلة [SBWA] . وأعاد نشره وتحقيقه في بغداد نوري حمودي القيسي سنة ١٩٧٠م ، في مجلة كلية الآداب، العدد ١٢، ١٩٦٩م ، ص٣٤٦ . ثم حققه مرة ثالثة هلال ناجي على نسخة خطية لم يحقق عليها الكتاب سابقاً . وهي تختلف عن تحقيقي هافز والقيسي .

٣ - **الخيل** ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى [المتوفى ٢٢٤هـ]،

نشره وحققه المستشرق كرنكو في حيدرأباد سنة ١٣٥٨هـ . وأعيد نشره في القاهرة ، بتحقيق محمد عبدالقادر أحمد سنة ١٩٨٦م .

٤ – **أسماء خيل العرب وفرسانها** ، لابن الأعرابي [محمد ابن زياد / المتوفى ٢٣١هـ] ، نشره أول مرة المستشرق الإيطالي جرجس لوي دلاويدا ، الأستاذ في جامعة روما ، وطبع في مدينة ليدن عام ١٩٢٨م ، وأعاد تحقيقه محمد عبدالقادر أحمد ، ونشرته مكتبة النهضة المصرية في القاهرة سنة ١٩٨٤م ، ونشر مروان العطية نقداً لهذه الطبعة في مجلة المورد ، بغداد ١٩٨٧م ، ع٢ ، مج١٦ ، ص٢٠٩ – ٢٢٨ .

٥ – **أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها** ، لابن الكلبي [هشام بن محمد المتوفى ٢٠٤هـ] ، حققه أحمد زكي ، سنة ١٩٤٦م ، ونشره في القاهرة . ثم أعيد طبعه سنة ١٩٦٥م ، ونشرته تصويراً [بالأوفست سنة ١٩٧٧م، الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة عن طبعة أحمد زكي] . أما طبعة نوري القيسي وحاتم الضامن ، فهي في الأصل قد نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج٤ ، مج٣٦ ، بغداد ، ١٩٨٥م ، ص١٣٠ – ٢٠٠ ، وظهر منها مستلاً .

٦ – **فضل الخيل** ، لابن دريد [محمد بن الحسن / المتوفى ٣٢١هـ] أشار إليه الحافظ الدمياطي في كتابه (فضل الخيل) أيضاً .

٧ – **أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها** ، للغندجاني الأعرابي الحسن بن أحمد [المتوفى بعد ٤٣٠هـ] ، حققه عبدالرحمن الطلحي وناصر الرشيد في السعودية ونشر سنة ١٤٠٠هـ . ثم أعاد نشره بتحقيق آخر محمد علي سلطان ، وصدر عن دار الرسالة في دمشق – بيروت، ١٩٨٢م .

٨ – **حلية الفرسان وشعار الشجعان** ، لابن هذيل [علي بن عبدالرحمن الأندلسي/ القرن الثامن للهجرة] . نشره وحققه محمد عبدالغني حسن سنة ١٩٥١م ، ضمن سلسلة [ذخائر العرب] ، دار المعارف بمصر ، والكتاب قسمان ، الأول للخيل ، والثاني للسلاح . كما صدرت طبعة منه لم يذكر اسم محققها سنة ١٩٧٠م عن مؤسسة الانتشار العربي اللبنانية عن نسخة مغربية" مطبوعة في باريس سنة ١٩٢٢م ، ومنسوخة بالخط المغربي عن النسخة الأساسية التي كتبها المؤلف بخط يده .

٩ – **فضل الخيل** ، للحافظ الدمياطي [شرف الدين عبدالمؤمن المتوفى ٧٠٥هـ] ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء ، جمع فيها صفة الخيل ومعرفتها وعلاج الحرون منها وألوانها ومحاسنها وما يمدح ويذم منها، وأدويتها وأمراضها . وقد نشره وحققه محمد راغب الطباخ في حلب ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م وطبع في المطبعة العلمية .

١٠– **رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد** ، للبخشي [محمد البخشي الحلبي المتوفى ١٠٩٨هـ] ، ونشره محمد راغب الطباخ مع كتاب فضل الخيل للدمياطي ، أي في سنة ١٩٣٠م .

١١– **قطر السيل في أمر الخيل** ، للبلقيني [عمرو بن رسلان بن نصر المتوفى ٨٠٥هـ] حققه عبدالله الجبوري ، ونشره النادي الأدبي بالرياض – السعودية سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

١٢– **الحلية في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام** ، للصاحبي التاجي [محمد بن كامل المتوفى ٦٩٧هـ] . له أربع مخطوطات ، الأولى في مكتبة (مغنيسيا) بتركيا مؤرخة في سنة ٩٩٤هـ ، والثانية

في مكتبة [سوهاج] بمصر برقم ٥٥٩ أدب ، وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية ، والثالثة في مكتبة المتحف العراقي رقم (١٧١٠٨) ، الرابعة في دار الكتب المصرية برقم ٢١٤ ، فنون حربية . قد حققه حاتم صالح الضامن ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج١ ، مج٣٤ -٠ بغداد ، ١٩٨٣م ، ثم نشره مستقلاً في كتاب وصدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت ، ١٩٨٥م .

١٣- **الفروسية وعلاج الخيل** ، لبدر الدين البكتوت الرماح الخازنداري نائب [المتوفى ٧١١هـ] ، له مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم [٤م فنون حربية] ، وفي فهارس المخطوطات تحت عنوان [فصل الطب البيطري والحيوان] .

١٤- **الفروسية** ، لابن قيم الجوزية ، طبع في القاهرة سنة ١٩٤١م .

١٥- **كتاب الفروسية** للأشميطي .

١٦- **مجرى السوابق** ، لابن حجة الحموي [المتوفى ٨٣٧هـ].

١٧- **فوائد النيل بفضائل الخيل**، للشيخ علي بن عبدالقادر ابن محمد الطبري المكي [المتوفى ١٠٧٠هـ]، له مخطوطة في مكتبة [نور عثمانية برقم ٤١٣١] .

١٨- **إسبال الذيل في ذكر جياد الخيل** ، الرملي [القرن الحادي عشر الهجري] .

١٩- **كتاب السؤل والمنية في تعليم أعمال الفروسية** ، لم يذكر اسم مؤلفه ، يقول محمد إبراهيم نصر إنه ربما لبكتوت الرماح ، في حين يذكر بروكلمان أنه لمحمد بن عيسى الحنفي [المتوفى ٨٠٨هـ] .

٢٠- **كتاب الجهاد والفروسية وفنون الآداب العسكرية** ، لطيبوغا الأشرفي البكلميشي الرومي [المتوفى ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م] .

٢١- **الفروسية والبيطرة** ، لمؤلف بغدادي ؛ تحقيق : محمد التونجي ، جامعة أكستر البريطانية ، دون تاريخ.

٢٢- **الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل** ، وكان هلال ناجي قد حققه ونشره تحت عنوان [الخيول اليمنية في المملكة الرسولية] ، تصنيف ملك اليمن المجاهد علي بن داود الرسولي الغساني [المتوفى ٧٦٤هـ] ، وقد نشره هلال ناجي في مجلة المورد ، مج١٢ -٠ بغداد ، ١٩٨٣م ، ص٩١ - ١١٢. وحققه مرة أخرى يحيى الجبوري ، وصدر عن دار الغرب الإسلامي -٠ بيروت ، سنة ١٩٨٧م .

٢٣- الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها ، لابن داود الرسولي ، [معجم المولفين ، ج٧ ، ص٩٠ - ٩١] . وأعتقد أنه الكتاب السابق نفسه .

٢٤- **خُلقُ الفرس** ، للأصمعي .

٢٥- **السرج واللجام** ، للأصمعي ، نشر في المورد ، مج١٢ -٠ بغداد ، ١٩٨٣م .

٢٦- **الرحل** ، للأصمعي .

٢٧- **كتاب كامل الصناعتين [البيطرة والزردقة] ، المعروف بالناصري** ، لأبي بكر بن البدر البيطار [المتوفى ٧٠٩هـ] ، الذي قدمه لمكتبة السلطان المملوكي ناصر الدين بن قلاوون . وقد حققه عبدالرحمن إبريق ، ونشر من قبل معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ، سوريا ، وصدر بجزأين عام ١٩٩٣م .

٢٨- **كتاب الخيل** ، لمحمد بن رضوان النمري [المتوفى ٦٥٧هـ].

٢٩- **دعاء وحرز الخيل**، لأبي العلاء المعري [المتوفى ٤٤٩هـ].

٣٠- **كتاب خلق الفرس**، ليوسف بن عبدالله الزجاجي [المتوفى ٤١٥هـ] (معجم الأدباء ، ج٧ ، ص٣٠٨) .

٣١- **كتاب الخيل** ، لأبي علي القالي .

٣٢- **كتاب الخيل** ، لإبراهيم بن محمد سعداني (معجم الأدباء ، ج١ ، ص٢٨٧) .

٣٣- **كتاب الخيل والبيطرة** ، ليعقوب بن إسحق الكندي [تاريخ القفطي] .

٣٤- **كتاب الخيل** ، لأبي قلحم محمد بن سعد الشيباني [الفهرست ، ص٥٢] .

٣٥- **الخيل وسبقها ، وأنسابها ، وشياتها ، وعيوبها ، وإضمارها ، ومن نسب إلى فرسه** ، لعبدالله بن محمد التوزي [الفهرست ٦٣ ، إنباه الرواة ٢/١٢٦ ، كحالة ٦ / ١٤٣] .

٣٦- **الخيل**، لأبي نصر أحمد بن هاشم [الفهرست : ٦١].

٣٧- **الخيل** ، لمحمد بن عبدالله العتيبي [الفهرست : ١٣٥].

٣٨- **صفة الفرس** ، لعلي بن عبيدة الريحاني [الفهرست : ١٣٣] .

٣٩- **جر الذيل في علم الخيل** ، للسيوطي [مخطوطة أيا صوفيا رقم ٢٩٨٣ ، تركيا ، دليل مخطوطات السيوطي] .

٤٠- **كتاب خلق الفرس** ، لحسن بن عبدالله لغدة [معاصر للزجاج] .

٤١- **كتاب الخيل** ، لأحمد بن أبي عبدالله الكوفي البرقي .

٤٢- **خلق الفرس** ، لثابت بن أبي ثابت [من رجال القرن الثالث الهجري] [الفهرست : ٧٦] .

٤٣- **كتاب الخيل الصغير والخيل الكبير** ، لأبي بكر بن دريد [الفهرست : ٧٦] .

٤٤- **كتاب خلق الفرس**، لمحمد بن الوشاء [الفهرست: ٩٣].

٤٥- **كتاب الخيل** ، لعبدالله بن محمد العباسي الزيدي [الفهرست : ٥٦] .

٤٦- **أنساب الخيل** ، لأبي عبيدالله القاسم بن سلام [المورد ، مج٢ ، بغداد ، ١٩٨٣م] .

٤٧- **السبق والرمي وأسلحة المجاهدين** [فيه عن الخيل] ، لمؤلف مجهول ، تحقيق عبد ضيف العبادي [مجلة المورد ، مج١٢، بغداد ، ١٩٨٣م] .

٤٨- **الخيل** ، لابن قتيبة [الفهرست : ص٨٦] .

٤٩- **كتاب الخيل والسوابق** ، لابن مهرويه [الفهرست : ٨٨] .

٥٠- **كتاب الخيل** ، لمحمد بن حبيب [المتوفى ٢٤٥هـ] [معجم الأدباء : ٦/٤٧٦] .

٥١- **كتاب الخيل** ، لعمرو بن إسحاق بن مرار الشيباني [معجم الأدباء ٢/٢٣٥ ، الفهرست : ٧٥] .

٥٢- **خلق الفرس** ، لابن ثروان العكلي (معاصر سيبويه) [معجم الأدباء : ٢/٣٩٩] .

٥٣- **كتاب الخيل**، للعباس بن الفرج الرياشي [الفهرست: ٦٤].

٥٤- **الخيل الكبير** ، لأحمد بن أبي طاهر [الفهرست : ٦٤].

٥٥- **المغني في البيطرة** ، للملك الأشرف الغساني ، تحقيق : رمزية محمد الأطرقجي ، ونشره مركز التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩م .

٥٦- **سُهَيْل في ذكر الخيل** ، لعثمان بن عبدالله الحنبلي الحنفي ، ابن بشر النجدي .

٥٧- **الدر المطابق في علم السوابق** [في طب الخيل] ، وقد ظفر به ملك الأرمن في خزائن العباسيين عندما هاجمها التتر ، فنقله إلى بلاده وأمر بترجمته ، ثم ضاعت النسخة العربية الأصلية ، وقد حصل جنود مصر على الترجمة في بلاد الأرمن حينما فتحوها ، فترجمه إلى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الأسرى من الأرمن [المقتطف ، ج١ ، مج٣٩، القاهرة ، ١٩١١م ، ص٧٢] .

٥٨- **كتاب مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال** [عن الخيل] ، لعبدالله بن محمد بن جُزَي الكلبي الغرناطي [من أعلام الأندلس في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري] .

٥٩- **كتاب الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال** ، لأبي عبدالله بن محمد بن رضوان بن أرقم النميري الوادي آشي [المتوفى ٦٥٧هـ] .

٦٠- **الجواد العربي** ، لمؤلف مجهول ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، الكويت ، ١٩٩٣م .

٦١- **كاشف الويل في معرفة أمراض الخيل** ، لأبي بكر البيطار ، [وقد رتب هذا الكتاب على ٢٠ باباً] .

٦٢- **كتاب البيطرة** [فيه فصول عن الخيل] ، للسان الدين بن الخطيب الأندلسي [من أهل القرن الثامن الهجري].

٦٣- **خلق الفرس أو الخيل** ، للنضر بن شميل [المتوفى ٢٠٤هـ] ، وهو يعتبر أقدم المؤلفات في بابه .

٦٤- **الخيل** ، لقطرب [المتوفى ٢٠٦هـ] .

٦٥- **كتاب الخيل** ، لعبدالله بن جُزَي ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٦٦- **في الخيل** ، للبلقيني [المتوفى ٨٠٥هـ] [مختصر عن كتاب الحيوان للدميري مع بعض الشروحات] تقع في ٨٢ ورقة .

٦٧- **أسماء خيل العرب وفرسانها** ، للجواليقي [أبو منصور موهوب بن أحمد المتوفى ٥٤٠هـ] [الأعلام ٨/٢٩٢].

٦٨- **نسب الخيل** ، لمحمد بن صالح مولى جعفر بن سليمان [مصادر التراث العسكري عند العرب ، كوركيس عواد ، ٢ : ٤٣٢] .

٦٩- **الفروسية وركوب الخيل ومعرفة أنواعها وعللها مجهول المكان** [نوادر المخطوطات العربية لأحمد تيمور] .

٧٠- **كتاب الفروسية واستخراج الخيل العربية في البنود السليمانية** ، له مخطوط في مكتبة شهيد علي في تركيا [تحت رقم ١٥٥٠] [نوادر المخطوطات العربية في تركيا ، رمضان ششن ، ج٣] .

٧١- **كتاب الزردقة في معرفة الخيل وأجناسها وأمراضها**، [مصور منه في السلطانية بالقاهرة] [نوادر المخطوطات العربية لأحمد تيمور] .

٧٢- **مباهج السرور والرشاد في الرمي والسباق والصيد والجهاد** [فيه عن الخيل] ، لزين الدين عبدالقادر الفاكهي [٩٤٨هـ / ١٥٤١م] ، منه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس ، تحت رقم ٢٨٣٤ [الكافي في البيزرة ٤٠] .

ب - مؤلفات أفردت للخيل أبواباً وفصولاً مهمة :

١ - **الغريب المصنف** ، لأبي عبيد القاسم بن سلام [المتوفى ٢٢٤هـ] .

٢ - **الحيوان** ، للجاحظ [المتوفى ٢٥٥هـ] .

٣ - **عيون الأخبار ، والمعاني الكبير** ، لابن قتيبة [المتوفى ٢٧٦هـ] .

٤ - **العقد الفريد** ، لابن عبد ربه [المتوفى ٣٢٨هـ] .

٥ - **النوادر** ، لأبي علي القالي [المتوفى ٣٥٦هـ] .

٦ - **شرح مقصورة ابن دريد** ، لابن خالويه [المتوفى ٣٧٠هـ] .

٧ - **ديوان المعاني** ، لأبي هلال العسكري [المتوفى بعد ٣٩٥هـ] .

٨ - **الأنوار ومحاسن الأشعار** ، للشمشاطي [القرن الرابع الهجري] .

٩ - **مبادئ اللغة** ، للإسكافي [المتوفى ٤٢٠هـ] .

١٠- **فقه اللغة** ، للثعالبي [المتوفى ٤٢٩هـ] .

١١- **زهر الآداب** ، للحصري القيرواني [المتوفى ٤٥٣هـ] .

١٢- **العمدة** ، لابن رشيق القيرواني [المتوفى ٤٥٦هـ] .

١٣- **المخصص** ، لابن سيدة [المتوفى ٤٥٨هـ] .

١٤- **نظام الغريب** ، للربعي [المتوفى ٤٨٠هـ] .

١٥- **كفاية المتحفظ** ، لابن الأجدابي [القرن الخامس الهجري].

١٦- **محاضرات الأدباء**، للراغب الأصبهاني [المتوفى ٥٠٢هـ].

١٧- **ربيع الأبرار** ، للزمخشري [المتوفى ٥٣٨هـ] .

١٨- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، للنويري [المتوفى ٧٣٣هـ].

١٩- **حياة الحيوان الكبرى** ، للدميري [المتوفى ٨٠٨هـ] .

٢٠- **تحرير الرواية في تقرير الكفاية** ، لمحمد بن الطيب الفاسي [المتوفى ١١٧٠هـ] .

جـ - أهم المؤلفات والدراسات عن الخيل في العصر الحديث:

١ - **عقد الأجياد في الصافنات الجياد** : للأمير محمد ابن عبدالقادر الجزائري الحسني [المتوفى ١٣٣١هـ] (وقد جمع فيه أسماء خيل العرب وفرسانها) طبع لأول مرة في القاهرة ١٣٣١هـ ، ومرة ثانية سنة ١٣٨٣هـ في دمشق . ثم نشره المكتب الإسلامي بنفقة الشيخ أحمد بن علي آل ثاني . وقد اختصر الجزائري كتابه هذا في مختصر أسماه [نخبة عقد الأجياد] ونشره في سنة ١٢٩٣هـ ثم أعاد نشره سنة ١٣٢٦هـ في بيروت.

٢ - **سراج الليل في سروج الخيل** ، للحاصباني باك ، طبع في بيروت سنة ١٨٨١م .

٣ - **الخيل وفرسانها** ، نجيب خوري ، المطبعة الأنطونية ، بعبدا - لبنان ١٩١٢م .

٤ - **جواب السائل عن الخيل الأصائل** : للملك عبدالله بن الحسين [المتوفى ١٩٥١م] ، ونشر ضمن كتاب [عقد الأجياد] للجزائري من ٤ - ٣٥ ، وكان قد طبع لأول مرة في عمان ، ١٣٥٤هـ .

٥ - **الخيل العراب** ، لقدري الأرضروملي البغدادي ، وهو من أجمع الكتب المؤلفة في فنه، طبع في بغداد سنة ١٩٦٥م، ثم أعيد طبعه مرة ثانية في بيروت سنة ١٩٧١م .

٦ - الخيل في السلم والحرب عند العرب ، لعبدالرحمن زكي . **مجلة الدارة** ، السعودية ، س٤ ، ع١ ، ١٣٩٨هـ ، ص٩٤ - ١٠٧ .

٧ - **الخيل ورياضتها** ، نبيل محمد عبدالعزيز .- القاهرة: ١٩٧٥م .

٨ - **الفروسية في الشعر الجاهلي** ، نوري حمودي القيسي .- بغداد ، ١٩٦٤م .

٩ - **وصف الخيل في الشعر الجاهلي** ، كامل سلامة الدقس ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ١٩٧٥م .

١٠- **خيل رسول الله ﷺ** ، عبدالله الجبوري ، السعودية .

١١ - **تقاليد الفروسية عند العرب** ، واصف بطرس غالي ، القاهرة .

١٢- **علم الولادة في الخيل وأمراضها عند العرب** [دراسة لموفق قنصة] ، معهد التراث العلمي العربي .- حلب - سورية .

١٣- **الخيل والفروسية في الإسلام** ، محمد إبراهيم نصر ، دار الكتاب السعودي .- الرياض ١٩٨٦م [وقد استفدت كثيراً منه وضع هذا المقال].

١٤- الخيل في حياة العرب ، محمد العربي الخطابي .-

السعودية : **مجلة الفيصل** ، ١٩٨٣م ، ع ٧٥ ، س٧ ، ص ص١١٤ – ١٢٠ .

١٥– أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ، بهاء الدين الزهوري ، **المجلة العربية** ، ع ٧٨ ، س٨ ، السعودية ، ١٩٨٤م ، ص ص ١٠٢ – ١٠٤ .

١٦– كتاب الخيل ، تحقيق محمد الخطابي ، نقد سلمان قطاية ، **مجلة العربي** ، ع ٣٤٦ –، الكويت ، ١٩٨٧م، ص ص١٨٩ – ١٩٣ .

١٧– الجواد العربي في عيون العالم ، فتحي فرغلي ، **العربي**، ع٤١٣ ، الكويت ، ١٩٩٣م، ص ص١٤٤ – ١٥١.

١٨– الحصان هل ينقرض فلا نراه إلا في حدائق الحيوانات ، أحمد زكي ، **العربي** ، ع٤٨ ، ١٩٦٢م، ص ص٥٢ – ٥٨ .

١٩– الحصان العربي رمز الفروسية ، ألبير عمون –، **المجلة العربية**، ع ١٢٦، س١٢، ١٩٨٨م، ص ص٧٧–٧٩.

٢٠– الخيول العربية الأصيلة ، تعيد مجدها في عمان ، **مجلة الريم** –، الأردن، ١٩٨٣م، ع١، ص ص٣ – ٦.

٢١– تربية الخيل ، **المقتطف** ، ج٧ ، س٥ ، ١٨٨٠م ، ص١٧٢ – ١٧٤ .

٢٢– الخيول العربية [ظهورها عز وبطونها كنز] ، محسن حافظ ، **العربي** ، ع ٤٣٨ ، س٣٨ ، ١٩٩٥م ، ص ص١٠٤ – ١٠٧ .

٢٣– الجواد العربي سيد جياد التاريخ ، أحمد بهاء الدين، **العربي** ، ع ٢٧٩ ، ١٩٨٢م ، ص ص٦ – ٢٠ .

٢٤– الخيل وحوافرها ، **المقتطف** ، ج١ ، مج٣١ ، ١٩٠٦م، ص ص٩٧٠ – ٩٧٤ .

٢٦– الخيل المصرية ، **مجلة الضياء** ، ج١٤ ، ١٩٠٤م ، ص ص ٤٢٨ – ٤٣٢ .

٢٧– الخيل المصرية والخيل العربية ، **المقتطف** ، ج٤ ، مج٦٨، ١٩٢٦م ، ص ص٣٧٩ – ٣٨٤ .

٢٨– أوصاف الخيل العربية، مصطفى الشهابي، **المقتطف**، ج٤ ، مج٦٦ ، ١٩٢٥م ، ص ص٤٥٥ – ٤٥٧.

٢٩– ألوان الخيل وشياتها ، مصطفى الشهابي ، **المقتطف**، ج٢ ، مج٨٦ ، ١٩٣٥م ، ص ص١٧٨ – ١٨٠ .

٣٠– بصمات ذهبية للحصان العربي على سلالات الخيول في أوربا وأمريكا ، عثمان مهملات ، **العربي** ، ع٢٨٨، ١٩٨٢م ، ص ص١٤٨ – ١٥٢ .

٣١– **أطلس ثدييات العالم** [فيه عن الخيول البرية] ، حسين فرج زين الدين –، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٣٢– **الإبل والخيل في التاريخ والحضارة** ، عياد موسى العوامي –، ليبيا ، ١٩٨٥م .

٣٣– **تشريح الحصان** ، نبيه محمد ، بغداد ، ١٩٨٩م .

٣٤– **تربية الخيول العربية** ، الأمير محمد علي باشا الكبير –، القاهرة ، ١٩٣٨م ، جزءان .

٣٥– **الحيوانات والحضارة** [فيه فصل عن الخيل] ، عياد موسى العوامي –، تونس – ليبيا ١٩٧٧م .

٣٦– **الحصان العربي وخيول العالم** ، ترجمة وإعداد محمد غسان سبانو –، دمشق – القاهرة : دار الكتاب العربي ، دون تاريخ .

٣٧– **الحصان العربي الأصيل** ، قبلان غلوب –، بيروت ، بدون تاريخ .

٣٨– **الخيل** ، عبدالمنعم عبسة ، دمشق ، ١٩٩٤م .

٣٩– **الخيول العربية** ، محمد الغباشي ربيع –، بيروت – دون تاريخ .

٤٠– **الخيول والجمال** ، أحمد غسان غادري ، دار حلب – سوريا ، ١٩٨٣م .

٤١- **غـاية المراد في الخـيل والجـيـاد** ، رشـيـد بن داود السعدي ‎.- السعودية : مطبعة البيان ، ١٣١٤هـ .

٤٢- **المعجم الزوولوجي الحديث** [فيه فصول عن الخيل] ، محمد كاظم الملكي ‎.- النجف - العراق ، (١٩٥٧ - ١٩٦٩م) ، الأجزاء ١ - ٦ ، وطبع مرة أخرى بعنوان [حياة الحيوان] ‎.- النجف - العراق ، ١٩٨٩م .

٤٣- **معجم أسماء خيل العرب وفرسانها** ، لحمد الجاسر ، يقع في جزأين أو قسمين ، الأول : الخيل القديمة - السعودية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، والثاني : أصول الخيل العربية الحديثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٤٤ - **تاريخ العرب المطول** : [فيه فصل عن الخيل] : فيليب حتي ، وأدورد جرجي ‎.- وجبرائيل جبور ‎.- بيروت، ١٩٩٤م ، ط٩ ، ص ص٤٧ - ٤٩ .

٤٥- **الثروة الحيوانية في العراق** [فيه شيء عن الخيل] ، حافظ إبراهيم محمود ‎.- الموصل- العراق ، ١٩٨٠م.

٤٦- **الخيل والفروسية** ، أنسمنجر ، ترجمة نجيب توفيق غزال ‎.- الموصل - العراق ، ١٩٨٣م ، جزءان .

٤٧- **كتاب الخيل وبيطرتها عند العرب** [مجموعة مقالات ألقيت في ندوة بهذا المضمون] ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩م .

٤٨- منظومة في أسماء الخيل ، لجعفر بن محمد الأعرجي [المتوفى ١٩١٨م] [**الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ، لبزرك الطهراني ، ١١ / ٧٥] .

٤٩- نظرات تحقيقية في معجم أسماء خيل العرب وفرسانها [الخيل القديمة] عباس هاني الجراخ ، **مجلة لغة العرب** ، ج٧، ٨ ، س٣٢ ‎.- الرياض ، ١٩٩٧م ، ص ص٤٩٦ - ٥١٥ .

٥٠- الصيد [تاريخه، مصطلحاته ، كتبه] [فيه عن الخيل]، صادق آئينة وند، **مجلة مجمع اللغة العربية**.- دمشق، ج٣ ، مج٦٣، ١٩٨٨م ، ص ص٤٥٤ - ٤٩٤.

٥١- **الخيل والفروسية** ، ناصر بن محمد السويدان ‎.- الرياض ، ١٩٩٥م .

٥٢- من حديث [بوركهارت] عن الخيل والإبل العربية قبل (١٨٠ عاماً) ، ترجمه وقدم له عبدالله بن صالح العثيمين [وهو بحث مستل من كتاب **ملاحظات عن البدو والوهابيين** للرحالة (جوهان لودفيج بوركهارت) الذي زار الجزيرة العربية سنة ١٢٣٠هـ] ‎.- السعودية، ١٩٩٠م .

٥٣- **موسوعة الحصان العربي** ، ألكسندر ماكي سميث ، ترجمة أحمد غسان سبانو ‎.- لندن - جنيف ، ١٩٩٠م ، في ٣ أجزاء .

٥٤- **رحلة إلى بلاد العرب [مشاهداته عن الخيل في السعودية والعراق والبحرين والشام]** ، أحمد مبروك ١٩٣٨م .

٥٥- **دراسة حماية الخيول العربية وتثبيت مواصفاتها في بعض الدول العربية** ، إصدار المنظمة العربية للتنمية الزراعية ‎.- الخرطوم ، ١٩٨٣م .

٥٦- **الخيول العربية** ، خالد بكر كمال ‎.- السعودية ، ١٩٩٣م .

٥٧- **الجواد العربي** [التحفة الكنز] ، يوسف إبراهيم يزبك‎.- باريس ، ١٩٩٣م .

٥٨- **الحصان العربي [أجمل حيوان في عيون الإنسان]** ، حسني شحادة ، **مجلة الدوحة** ، ع١٠٧ ، تشرين ثاني ‎.- قطر ١٩٨٤م ، ص ص١٠٨ - ١١٤ .

نظرات في كتاب «الأعلام»

«شعلة» و «ابن الموقع»

عز الدين البدوي النجار*
عضو مجمع اللغة العربية

محمد عدنان الجوهرجي
باحث وخبير مخطوطات

دمشق - سورية

لعل العلامة الزركلي الشاعر المجود المطبوع لم يكن يقدر رحمه الله حين أخرج الطبعة الأولى من معلمه الثقافي العظيم «الأعلام» في ثلاثة أجزاء ، منذ نحو من سبعين عاماً (١) ، أنه سيخرج له من مباهج دنياه ، ويهجر من أجله - أو يكاد - فنه الأثير عنده (٢) ، وينفق في تصحيحه والزيادة عليه حتى يبلغ المبالغ العظام عمره كله .

ولا يملك متأمل لـ «أعلامه» منصف ، أو ناهل من عباب تياره الزاخر مستفيد إلا أن يستصغر عظيم الهمم بإزاء همته، ويَحْقِرَ جليل الصبر في جنب صبره ومطاولته ، وأن يجد يسير غلطه ، حين يجده ، مغموراً في البليغ الثر من فوائده وصوابه (٣) .

وعلى أن في غلط العالم ما لا ينصف فيه ، وما لا يعدو به موضعه ، إلا من دفع إلى المضايق، وزاول المشكلات ، وعرف بنفسه أن المرء ربما خيّل له أحياناً حتى يرى غير الصواب صواباً، وحتى يتعثر في الواضح السهل ، ويذهل عن المنكشف الظاهر . نعم ، وحتى يقف على الوجه ، يدله على المذهب ، من لعله من كلامه أخذ ، وعلى تحقيقه عوّل ، وفي نحوه وسمته سار .

وللتأدي إلى الصواب، بعدُ، وجوه ، وله أسباب . فربما جرت إليه مناسبة ، وأعانت على كشفه مصادفة ، وقرب من بعيده توفيق .

وملاك هذا كله البحث، ومن ورائه صدق الطلب، فلا ينفع جاهلاً في العلم حظ ، ولا تجدي على ذي دعة مصادفة .

وههنا شواهد هي من سبب ما تكلفناه في هذا التقديم، وهي أيضاً سبب في أن نستنزل للمصنف العلامة الرحمة ، ونرفع عن مصنفه الجليل الوهم ونجتلب لقارئه الحريص الفائدة .

وقعت لي (٤) بأخرة أوراق مدشوتة من كتاب في الفقه ، يكثر وقوع أمثالها لكل من كان من هذا الكتاب العربي المخطوط بسبب . فعكفت عليها أضم نشرها ، وأتألف شاردها ، حتى استوى لي منها كتاب أو كاد ؛ فإذا هي كتاب في فقه الشافعية لابن الموقع ، وإذا هي نسخة ممتازة منه ، إذ كانت بخط ابن المصنف (٥) وإذ كان عليها سماع وإجازة بخط المصنف نفسه . غير أنها قد تحيفتها الأيام ، فضاعت منها الورقة الأولى من ربع الكتاب الأول ، وضاع الربع الأخير كله .

وكأنما نفس بها من وقعت إليه ناقصة أن يتركها هملاً بلا نسب، وغفلاً بلا اسم ولا لقب ، فكتب بخط مختلف في أعلى الورقة الثانية ، وهي الأولى مما بقي من الكتاب : «كتاب إفشاء السر المصون من ضمير تصحيح ابن قاضي عجلون» ويقال له «عمدة المدققين في فهم عبارات مغني الراغبين» .

والكتاب شرح على واحد من الشروح الكثيرة الموضوعة على كتاب الإمام النووي «منهاج الطالبين» (٦)، بلا ريب في هذا، وأياً كان اسمه الذي سماه به مؤلفه (٧) تدل عليه مادة الكتاب نفسه ، ويدل عليه - نصاً - ما جاء في خاتمة الربع الأول منه : «تم بحمد الله وعونه الربع الأول من شرح تصحيح العلامة ابن قاضي عجلون للمنهاج . ويتلوه إن شاء الله تعالى في الربع الثاني : كتاب البيع . في يوم الإثنين المبارك الثاني عشر من جمادى الأولى بمكة المشرفة ، في عام تسع وستين وتسعمائة ، أحسن الله ختامها، وغفر لكاتبه ومشايخه ووالديه والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم» .

وهو من تصنيف ابن الموقع ، بلا ريب في هذا أيضاً. جاء في حاشية الورقة الأخيرة من الربع الأول نفسه : «الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ،

وبعد : فقد بلغ الشيخ الفاضل ، العلامة الحاوي لفنون متعددة من الفضائل ، سيدنا ومولانا الزيني أبو اللطف ابن سيدنا ومولانا الشيخ العلامة الصالح المعتقد القدوة البرهاني إبراهيم ، الشهير نسبه الكريم ، بابن صارم الدين ، الصيداوي بلداً ، الشافعي مذهباً ، قراءة ومقابلة علي وأنا ممسك الأصل بيدي، من أول هذا الكتاب الميمون إن شاء الله تعالى وإلى آخر كتاب الحج منه بالمسجد الحرام المكي ، تجاه الكعبة المشرفة، زادها الله تعالى شرفاً وعظماً، ولا أذاق كاتب هذه الحروف ألم فراقها ، بمحمد صلى الله عليه وسلم ، في مجالس متعددة آخرها سادس شعبان المكرم سنة تسع وستين وتسعمائة [٩٦٩هـ] وقد أجزت له رواية ذلك ، وأن يفيده لمن رامه بشرطه .

قال ذلك أقل الفقرا ، وأحقر الورا، خويدم طلبة العلم الشريف والقرا، محمد كمال ابن أبي الوفا الموقع الشافعي. غفر الله له ولوالديه ومشايخه وجميع المسلمين ، حامداً مصلياً مسلماً» .

قلنا : ونص إجازة ابن الموقع هذا جليل الفائدة بالقياس إلى طالب المعرفة بمفردات سيرته، على ما ستراه إن شاء الله بعد .

قلت : ثم إني فزعت إلى «الأعلام» مَفْزَع أهل العصر من الباحثين في باب التراجم خاصة ، ولكن الناس من بين ذاكر شاكر أو كاتم كافر [٨] ، ألتمس فيه تعريفاً جامعاً بابن الموقع ، ودلالة ناجزة على طائفة من أعيان المصادر التي ترجمت له ، فوجدته قد أحال في مادته (٣٣٣/٧) إلى «شعلة» «محمد بن أحمد» . وكتب هناك ما صورته : ابن الموقع (شعلة) ، محمد بن أحمد ٦٥٦ .

فحين رجعت إلى المادة (٣٢١/٥) وجدته كتب فيها ما أنقله لك بحروفه : محمد شعلة (٦٢٣ - ٦٥٦هـ = ١٢٢٦ - ١٢٥٨م .

محمد بن أحمد بن محمد الموصلي الحنبلي ، أبو عبدالله ، المعروف بشعلة . ويقال له : ابن الموقع . فاضل له علم بالقراءات وغيرها . كان أبوه موقعاً عند «خير بك» كافل حلب . وهاجر محمد إلى القاهرة بعد زوال الدولة الجركسية، وتوفي بالموصل . من كتبه : «الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية» ، منظومة رائية في نحو نصف الشاطبية ، «وشرح تصحيح المنهاج» لابن قاضي عجلون ، و «التلويح بمعاني أسماء الله الحسنى الواردة في الصحيح» و «الفتح لمغلق حزب الفتح» وهو شرح لحزب أستاذه أبي الحسن البكري، و «كنز المعاني في شرح حرز الأماني - ط) شرح للشاطبية في القراءات ، و«العنقود - خ) قصيدة في النحو .

ووجدته رحمه الله قد أحال في مصادره إلى : در الحبب [٩]، وكشف الظنون، وشذرات الذهب ، والمقصد الأرشد [٩] ، وغاية النهاية ، وبروكلمان S. 1 . 859 ، والكتبخانة : ١٠٤/١ .

قلنا : وفي هذا الذي رأيت ضروب من التوهم ساغ معها للمصنف أن يخرج ترجمتين مختلفتين وضعاً ومادة مخرج الترجمة الواحدة على ما ستراه ، يظهر بعض ذلك النظر ، وتظهر بعض المعارضة بما في الأصول .

وفي الآثار الإنسانية كلها موضع للغلط أبداً، يتنبه له في كل عصر المحققون من أهل العلم ، يتولون كشفه وبيانه، كما يتولون اقتراح الصواب فيه .

ونحن نعلم أن الأثبات والمحققين وأهل التحصيل لا يروعهم من الغلط أو الوهم يقعان في شيء من أعمالهم ما يروع الأعمار وضعفة المشتغلين من ذلك ، وإنما كان العالم عندهم من كثر صوابه وقل غلطه . فإذا ارتفعوا عن هذا شيئاً، وأرادوا التناهي في وصف العالم بالعلم ، وأنه غاية في جودة القريحة وصحة الخاطر ، قالوا : الكامل من عدت سقطاته . فكان هذا غاية ما عندهم في الثناء عليه، والتنويه بجليل خصاله ، وأنه في العلم طبقة وحده . فأما أن يكون أحد يصيب فلا يخطئ، ويستقيم على الجادة فلا يتعثر ، ويمضي إلى الغاية فلا يزيغ ، وحتى يكون كلامه كله سبكاً واحداً وصواباً محضاً فلا .

وأيضاً فلا نحسب أن أحداً يمتري في أن النص على

الصواب في الموضع يعرض فيه الغلط مطلب في العلم يتحيه الناقد بادئ ذي بدء ، كما أن التدليل عليه وإيراد البرهانات في نصرته والقيام به مطلب آخر صحيح ، من جهة ما ، لقارئه المتأمل له من إذكاء الفكرة ، وتصحيح الملكة، ورياضة الخاطر .

وحسبنا هذا في الانتفاء من شبهة إن عرضت أن في نقد كل ناقد توركاً بالضرورة على المنقود، وإصغاراً من شأنه ، وغفلة عن محاسنه .

وبعد ، فقد كان بيّناً جداً من أول وهلة أن الخير رحمه الله قد استدخل مادة ترجمة في مادة ترجمة أخرى؛ إذ كان الوقوف على تلك الأوراق المدشوتة يفضي إلى أن يعلم المرء علماً ليس بالظن أنها كتاب ابن الموقع المتأخر زمانه ضرورة عن زمان ابن قاضي عجلون، المتأخر زمانه ضرورة هو أيضاً عن زمان الإمام النووي صاحب (المنهاج) .

فإذا كان النووي قد توفي سنة (٦٧٦هـ) فإن من المحال البتة إذن أن يكون شعلة (الذي هو ابن الموقع بحسب ترجمة الخير) المتوفى سنة (٦٥٦هـ) (١٠) شارحاً لكتابه ، بله أن يكون شارحاً لشرح عليه .

وكان بيناً جداً أيضاً بعد أن يكون الزركلي رحمه الله قد اجترح هذا ابتداء من عند نفسه ، وأنه لا بد أن يكون قد استهواه شيء سهل عليه أن يلابس الغلط مع انكشاف صفحته وقرب مداه ؛ إذ كانت المسافة بين الرجلين (شعلة وابن الموقع) في مفردات السيرة وفي انفساح مدة التاريخ كتلك التي جشمها سلمي بن ربيعة ناقته في هواه الذي حفظه شعره على الدهر :

إن شـــــواء ونـــشـــــوة
وخبـــب البـــازل الأمـــون
يجشمهـا المـرء فـي الهـوى
مسافـــة الغـائـــط البطـين
مـــن لــــذة العيش والفتـى
للدهــر والدهــر ذو شجون (١١)

ونحن نذكر من ترجمة الرجلين ما يتبين به فرق بَيْنهما : زماناً ومكاناً وسيرة . نمتهد بذلك السبيل إلى جلاء الشبهة التي عرضت لمن وهم فيهما أول مرة ، إذ كان في بعض مادة الترجمتين ما يوفي إلى ذلك على ما ستراه.

- قال ابن الجزري في ترجمة (شعلة) في (غاية النهاية في طبقات القراء)* : ٢/٨٠ - ٨١ . ونحن نعقب على ترجمته بوجوه من التعقيب، يكون بها كالترجمة الأُنُفُ في تحقيق مادتها وثرائها، بالقدر الذي يتيحه ما تحت يدنا من مصادر : «محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين (١٢) أبو عبدالله الموصلي الحنبلي الملقب بشعلة (١٣) . إمام ناقل، وأستاذ عارف كامل ، وصالح زاهد . ولد سنة ثلاث وعشرين وستمائة [٦٢٣هـ] وقرأ القراءات صغيراً على عليّ بن عبدالعزيز الإربلي (١٤) ، ثم سمع من شيخه المذكور تصانيفه .

قال الذهبي (١٥) : كان شاباً فاضلاً ومقرئاً محققاً ، ذا ذكاء مفرط وفهم ثاقب ومعرفة تامة بالعربية واللغة . وشعره في غاية الجودة . نظم في الفقه والتاريخ وغيره . وكان مع فرط ذكائه صالحاً زاهداً متواضعاً .

قلت (١٦) : ومن نظمه : (الشمعة في قراءات السبعة)(١٧) قصيدة رائية جمع فيها القراءات ، وهي في نحو نصف (الشاطبية) ، وله (العنقود) في النحو ، تلك المقدنة اللامية المشهورة (١٨) ، وله (شرح الشاطبية) سماه : (كنز المعاني في شرح حرز الأماني) (١٩) وأورده الجعبري في تسميته (٢٠) واعتذر الجعبري عن ذلك في آخر شرحه بأنه لم يكن سمع به .

قرأت كثيراً من نظمه على شيخنا أحمد بن رجب البغدادي ، عن شيخه ، عن علي بن عبدالعزيز ، عنه (٢١)، أخبرت عن الشيخ أبي بكر المقصاتي الجزري أنه قال : سمعت بحثه في الموصل فكان أعجوبة .

وسمعت شيخه علي بن عبدالعزيز الإربلي يقول : كان شعلة نائماً إلى جانبي ، فاستيقظ وقال لي : رأيت [الساعة] (٢٢) النبي صلى الله عليه وسلم ، فطلبت منه

العلم، فأطعمني تمرات .

قال شيخه : ومن ذلك الوقت فتح عليه وتكلم .

توفي بالموصل في صفر سنة ست وخمسين وستمائة[٢٣] [٦٥٦هـ] عن ثلاث وثلاثين سنة [٢٤] » .

وترجم ابن الحنبلي لابن الموقع في كتابه (در الحبب) : ٢/١/١٦١ – ١٦٥ ، وهو أقدم من ترجم فيما وقفنا عليه، إذ كان معاصراً له ، بل توفي قبله (ت ٩٧١هـ) وعلى ترجمة ابن الحنبلي عول الغزي في (الكواكب السائرة) : ٣ / ٧٣ ، وضم إليها قطعة من كلام الشعراوي [٢٥] فيه.

واهتدم الشيخ راغب الطباخ ترجمة ابن الموقع في (در الحبب) فنقلها بحذافيرها إلى كتابه (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) : ٦/٨٢ . فما تجد بينهما من فرق إلا شبيهاً بما تجده في النسخ المتعددة من الأصل الواحد، وإلا أنه اجتزأ ببيتين اثنين من قصيدة تائية لابن الموقع، ساق ابن الحنبلي قطعة منها ، وستراها فيما سنحكيه عنه بعدُ [٢٦] .

ونحن نصنع في ترجمة ابن الموقع هنا نحواً من صنيعنا في ترجمة (شعلة) فيما سلف، ونزيد فيها ما زاده الغزي في (الكواكب) ليكون ذلك تماماً مقارباً في هذه الترجمة العجلى ، في سياق لم ين على الترجمة الشاملة ولا على الاستقصاء أصلاً .

قال ابن الحنبلي ، وهي الترجمة الرابعة والعشرين بعد الأربعمائة في كتابه : «محمد بن أبي الوفاء الشيخ كمال الدين ، المصري الأصل ، الحلبي المولد ، الشافعي ، الصوفي المقرئ المعروف بابن الموقع . لأن أباه – وكان أسلمياً [٢٧]، كان موقعاً عند خير بك كافل حلب .

ولما انهدمت الدولة الجركسية ، هاجر الشيخ كمال الدين إلى القاهرة ، وجد في طلب العلم النقلي والعقلي حتى وجد . فأخذه رواية ودراية عن جماعة ، منهم من علماء الطريق : صاحب الكرامات أبو السعود الجارحي ، وأزهد أهل زمانه سيدي محمد بن عراق الدمشقي ثم المكي، وصاحب الحال ابن مرزوق اليمني . ومنهم : القاضي زكريا الأنصاري ، والشرف عبدالحق السنباطي ، والسيد الشريف كمال الدين محمد بن حمزة الحسيني الدمشقي ، والشيخ كمال الدين الطويل ، والمسند المقرئ أمين الدين محمد بن أحمد إمام وخطيب [٢٨] الجامع الغمري بالقاهرة ، والدلجي ، والصافي ، وأبو الحسن البكري .

وألف كتباً ، منها : (شرح تصحيح المنهاج) لابن قاضي عجلون . وقد شهد له أبناء عصره في مذهبه بأنه عالي الذروة في التحقيق . ومنها : الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية) [٢٩] و (التلويح بمعاني أسماء الله الحسنى الواردة في الصحيح) ، و (الفتح لمغلق حزب الفتح) وهو شرح وضعه على حزبه أستاذه أبي الحسن البكري .

وله رسالة سماها : (إلهام الفتاح بحكمة إنزال الأرواح من عالمها العلوي وبثها في الأشباح) . وله : (الحكم اللدنية والمنازلات [٣٠] الصديقية الصدقية) التي أولها : من أدمن الاستسلام والرياضة أتحف الحق بعرائس لطيف المعارف، وبوأه من فردوس المشاهدة رياضة رافلاً في أثواب الحكم واللطائف .

ومنها : من أدمن الجوع والسكوت يصير للحكم ينبوعاً والمعارف له قوت . ومنها : أهمل عين قلبك بدفع لفظة الأغيار تشهد حال حبك . ومنها : صلاة الأسرار طهارة الباطن من شهود الأغيار .

وله (تائية) عدتها نيف وأربعون بيتاً ، ادعى كما وجدته بخطه في بعض الأثبات أنها في الحقيقة عصارة الطريق ، يرتشف المتخلق بمعانيها عذب ذلك الريق، من عطر شفاه عرب ذلك الفريق ، الأحلى من كل رحيق . وأولها :

أأنوار ليلى تستضيء بمهجتي
أم الحبب الثغري يبدو لمقلتي
أم البرقع النوري أسفر عن حمى
سعاد سحيراً ضاء في كل بقعة
نعم كل ذا قد كان إذ رفعت لنا
عيون عنايات بأحسن رقعة

وزفت لنا كاسات خمر إلهنا
بحان صفاء العيش في وقت خلوة
ودقت لنا كوسات وصل حبائبي
مبهرجة في حلة بعد حلة
تجلت لنا الأكوان في خلع الهنا
وغاية إدخال السرور بمنحتي
فأسلبت عقلي إذ شهدت جنائبي
تسامرني والغير في حال غفلة

ومنها [٣١] : ...

ونقل الغزي في (الكواكب السائرة : ٣ / ٧٣) عن الشعراوي قوله : «تبحر في علم الأصول والتفسير والقراءات والنحو والمعاني . وله عدة مؤلفات في هذه العلوم[٣٢] . وأجازه العلماء بالإفتاء والتدريس ، فدرس العلم مدة وانقطع في بيته للعبادة . وما سمعته يذكر أحداً بسوء، ولا رأيته يتردد إلى أحد من الولاة وأبناء الدنيا ، ولا يزاحم على شيء من مناصبها» .

قال الغزي : «ولم يؤرخ ابن الحنبلي وفاته لتأخره عن وفاته . ووقفت له إلى إجازة في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، رحمه الله» [٣٣] .

قلنا : وبقيت واحدة تتعلق بنسبة ابن الموقع ، لا بأس باستدراكها في هذا المقام .

نسب إسماعيل باشا صاحب (إيضاح المكنون : ٢٨٨/١) ابن الموقع حلبياً ، ونسبه ابن الحنبلي في موضع آخر من كتابه (٤٧٤/١/٢) قاهرياً . وهو أشبه بالواقع وأكثر مطابقة ، لطول مقامه بالقاهرة ، ولكونه انتقل إليها من حلب في صدر شبابه ، على ما يقضي به التحقيق في سيرته، والنظر في الوقائع المذكورة في ترجمته .

وبعدُ ، فهاتان ترجمتان بينهما مدة من الزمن أزيد من ثلاثة قرون (٦٥٦ - ٩٧٣) تذهبان بصاحبيهما مذاهب مختلفة، ليس إلى التوفيق بينها - عند التحصيل - من سبيل : اختضر [٣٤] أحدهما بالموصل ، وتنفس العمر بالثاني حتى توفي بالقاهرة [٣٥] ، وكان الأول حنبلياً ، والآخر شافعياً صوفياً ؛ وغلبت على علوم أحدهما اللغة والقراءات ، واستفاضت في ترجمة الآخر الطريقة والحقيقة والأحوال والمقامات والكرامات .

فيبعد على مصنف محقق كالخير الزركلي رحمه الله أن يلفق ابتداء من ترجمتين هذا القدر من الاختلاف ترجمة واحدة متدافعة ، وبدا لي أنه يمكن أن يكون قد استهواه شيء سهل عليه الوقوع فيما لا يقع فيه مثله، مع كثرة المواد التي يصنع منها كتاب كثرة مفرطة، ومع الذهول وكلال الخاطر اللذين لا يعرى منهما أحد . وإنما يتعقب المتعقب وينتقد الناقد مع احتشاء النفس ، وفراغ البال، وجموم الخاطر ؛ ومع القصد والحمية إلى التحقيق في مسألة مفردة ، ربما كان لها من أخواتها ونظائرها عند المنقود ألوف .

وقد نظرت في مأخذه فإذا فيها كتاب الحاجي خليفة (كشف الظنون) ، وإذا في الصفحة (١٠٦٤) منه ما هذا نصه : «الشمعة المضية بنشر القراءات السبعة [٣٦] المرضية .

منظومة للشيخ كمال الدين أبي عبدالله محمد بن الموقع أحمد بن أبي الوفاء بن محمد الموصلي الحلبي المعروف بشعلة ، المتوفى سنة ٦٥٠هـ ست وخمسين وستمائة» [٣٧] .

فإذا هو أصل العلة ومكمن الداء ، وهنا ورد صاحب الأعلام ، ومن هنا صدر ، وسرى الوهم من السحاب إلى العباب ، وأسلم التسليم الصرف إلى الغلط الصرف ، وحجبت الثقة الحقيقة ، وصح للأول قوله : إذا زلّ العالمُ زلّ بزلته عالَم .

ولو تأول متأول صنيع صاحب (كشف الظنون) وذهب يلتمس لعثرته العلل ، لجاء من تأوله فيما نحسب شبيه بما نورده :

انتهت إلى مخزون صاحب (الكشف) الهائل شمعتان: ضاءت إحداهما وخفتت الأخرى [٣٨]، وانتهى إليه عملان : اسم أحدهما أظهر ، إلا أن مضمون الآخر أشهر وأسير[٣٩] ، والذاكرة خؤون ، والمحفوظ متفلت ، والنفس تكل ، والوهم - وهو غيبوبة

الفكر الناقد في لحظة بعينها - يجري مع المرء مجرى النفس ، وليس تحت اليد ، في تلك اللحظة، ما يزيح العلة ويدرأ الوهن في هذا كله ؛ فـضُم ابن الموقع واسمُ كتابه إلى شعلة ومضمون كتابه ، فجاء منهما المحال ، وبقي كتاب هذا مسمىً بلا اسم ، وكتاب ذاك اسماً بلا مسمى !

فألفيا زعفران قم
فانغمسا فيه واستحما
فهي نظير اسمها المعلى
تفوح لا مرطها المدما
هيهات يا أخت آل بَمٍّ
غلطت في الاسم والمسمى

ويبدو أن الزركلي قد وقف على نص الحاجي خليفة هذا أول ما وقف ، فسكن إليه وأشربته نفسه ، ورجع في واعيته أصلاً يرد إليه ما يقف عليه من نصوص، فلا يرى فيها إلا ما رآه فيه .

فحين وقف بعد على ترجمة شعلة في (الشذرات) وعلى ترجمة ابن الموقع في (در الحبب) لم ير فيهما إلا ما رآه في (الكشف) : ترجمتين متكاملتين لا متدافعتين .

وسهل عليه هذا أن ترجمة شعلة مختصرة في (الشذرات) ، وأن ترجمة ابن الموقع خلو من تاريخ وفاته في (الدر) ، إلى ما تقدم من اشتمال الترجمتين جميعاً على ذكر تلك (الشمعة) الغريبة، غير ملتفت إلى أن هناك وصفين فارقين في اسم كتاب ابن الموقع خلا منهما اسم كتاب شعلة ، ولا إلى أن وفاة المترجَم في (الشذرات) كانت بالموصل ، وأن المترجَم في (الدر) قد هاجر إلى القاهرة ؛ بل غير ملتفت أيضاً إلى دلالات أخرى جليلة يعتد بها العارف بالتراث العربي ولا يهملها؛ وأيضاً - وهذا أبلغ ما تقدم - فإن في نص ابن الحنبلي تاريخاً من نوع آخر، كان جديراً لو توقف عنده الخير رحمه الله أن يقوض ترجمته التي صنعها من أساسها ، لولا غلبة المقدور ، وأن ما هو كائن سيكون .

الهوامش

* هذا نموذج آخر من تجربة في العمل العلمي المشترك، لا تخلو من طرافة وغرابة في آن . الحامل عليها الصديق محمد عدنان الجوهرجي ، الباحث وخبير المخطوطات العربية والعاديات . وهي أثر من آثار عنايته بالتحقيق وتحفيه بالعربية ، وثقته بأحد المشتغلين بها (كاتب هذه السطور) .

والرسم في هذه التجربة أن الباحث يضع المشكلة الأم وضعها الأول ، بحسب ما يعرض له في عالم مخطوطاته، أو في تنقيبه الدائب في أنواع الدفاتر والأسفار . ثم يضعها مشاركه وضعاً آخر ، يزيد فيه من ضروب الزيادة - متناً وحواشي - ما يتيسر له ، فربما أربت الزيادة على الأصل المرة أو المرات . ويمضي في تحقيق المسألة الأم أشواطاً أخرى بعد شوطها الأول المكتوب .

١ - صدرت طبعة "الأعلام" الأولى في القاهرة سنة (١٣٤٧هـ / ١٩٢٧م) في ثلاثة أجزاء كما تقدم . ثم صدرت طبعاته الأصول الثلاث التالية في بيروت: ثنتان في حياته ، والثالثة بعد وفاته :

- الأولى : (وهي الثانية بترتيب طبعات الكتاب) سنة (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) في عشرة مجلدات .
- الثانية (وهي الثالثة بهذا الترتيب العام) سنة (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) في تسعة أجزاء وأربعة ملاحق : أفرغ المصنف في اثنين منهما ما استدركه على مواد الأجزاء التسعة الأولى ، وأفرد الاثنين الآخرين لصور طائفة ممن ترجم لهم ، وصور نماذج منتقاة من خطوطهم ، أو خطوط من تقدمهم من الأعلام أو من مخطوطات لكتب طائفة ممن ترجم لهم، اختيرت بعناية فائقة .
- الثالثة (وهي الرابعة ، آخر طبعات الكتاب الأصول) في سنة (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) بعد وفاة المؤلف

(ذو الحجة ١٣٩٦هـ / تشرين الثاني ١٩٧٦م) ، أدرجت فيها المادة المطبوعة في الجزءين المستدركين اللذين أشرنا إليهما آنفاً ، والمخطوطة فيما كان المؤلف قد سماه «الإعلام بما ليس في الأعلام» . ونزلت الصور ونماذج الخطوط في منازلها من الكتاب . وإنما كان هذا كله عن رأي المؤلف وبتقديره قبل وفاته . وعن هذه الطبعة الرابعة الجامعة يتوالى ما في أيدي الناس اليوم من طبعات الكتاب .

٢ – الزركلي الشاعر أحد الأفراد من شعراء العربية في عصرها الحديث : أصالة ، موهبة ، وسمو غرض، وبراعة فن . وديوان شعره المنشور بعد وفاته (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) مشتمل على شعر له كان لا يزال يقوله – بدواعي الشعر ومناسباته – إلى أن توفي ، على حد قول العرب : «لا بد للمصدور أن ينفث» . وآخر شعر قاله أبيات ثلاثة قالها قبل وفاته بثلاثة أيام ، وجدت إلى جانب سريره في مشفاه بالقاهرة . إلا أن ما قاله كله : بعد انغماسه في "الأعلام" خاصة ، ومع معانٍ أخرى اختلج بها قلبه فيما نقدر قليل جداً بالقياس إلى مطبوع عظيم الطموح مثله ، وبالقياس إلى المدى المترامي الذي أتيح له أن يعيشه بعدُ (نصف قرن تقريباً) . هذا وما أعرف فيما عرفت إلى هذه الغاية دراسة شاملة تحيط بجوانب شخصيته الإنسانية والأدبية والعلمية، وتضعه بين رجال عصره في موضعه الجدير به من هذه الجهات كلها . وعلى أن «أعلامه» قد استقلت وحدها بهذا العبء ، ورفعته – بكونها حجر الزاوية في تصانيف المحدثين – إلى المرتبة التي تنحسر دونها الآمال ، وتنقطع دونها مطامع الرجال .

٣ – "أعلام" الزركلي أثر على حياله فيما يمكن أن يتهيأ لرجل فرد صَبَّر نفسه على مطلب فرد من مطالب الإحسان : تحقيقاً للمسائل، واجتلاباً لأصناف الفوائد، ونفاذاً إلى اللباب من مهم المقاصد، واقتداراً على الإيجاز الجامع فيما يفوت الذرع من ألوف التراجم . وبهذا ونحوه بان عمل الزركلي من جمهور ما خرج إلى الناس بعده مما شاكل معناه معناه ، أو قاربه وداناه .

وقد كان من تمام تحقيقه رحمه الله بناؤه إياه على أصله الأخلاقي، وذلك حين أورد من مقدمة الطبعة الثالثة للأعلام قطعة بليغة مؤثرة ، سمى فيها من تعقب كتابه من فضلاء المعاصرين، منذ صدور طبعته الأولى .

٤ – محمد عدنان الجوهرجي .

٥ – تجد نموذجاً من خطه ، وصورة خط ابن الموقع نفسه، في خاتمة هذه الكلمة .

٦ – (منهاج الطالبين وعمدة المفتين) للإمام النووي . اختصر فيه (المحرر) للإمام أبي القاسم عبدالكريم ابن محمد الرافعي القزويني (توفي في حدود ٦٢٣هـ)، اختصره في نحو نصف حجمه ، وضم إليه من النفائس ما ساغ له معه أن يقول : «وأرجو إن تم هذا أن يكون في معنى الشرح (المحرر) ، فإني لا أحذف منه شيئاً من الأحكام أصلاً» .

وقد استجيب للنووي رجاؤه ، وتم له اختصاره وشرحه، واستوى منهما (منهاجه) المشهور، مهيعاً عمدة في فقه الشافعية ، وتوفر على شرحه وشرح شروحه من العلماء والأئمة الجم الغفير .

ومن أجل هذه المنزلة التي تقررت للكتاب في تاريخ الفقه الإسلامي التفتت إليه دوائر الاستشراق في أوربا، فطبع مع ترجمة له بالفرنسية في ثلاثة أجزاء بعناية المستشرق الهولندي ڤان دن برج (باتاڤيا ١٨٨٢ – ١٨٨٤م) . الأعلام : ٤/٥٥، كشف الظنون: ١٨٧٣ – ١٨٧٦، معجم المطبوعات : ١٨٧٨، المستشرقون : ٢/٦٦٢ .

٧ – لم نقف على نص قاطع في اسم كتاب ابن الموقع ، وقد عرفت أن القطعة التي انتهت إلينا منه خلت من الورقة الأولى المشتملة على اسم الكتاب . ولم نجد اسميه المذكورين بخط مختلف على الورقة الثانية منه،

وهما : (إفشاء السر المصون)، و(عمدة المدققين) لا في (كشف الظنون) ولا في الذيل عليه (إيضاح المكنون) . وأما شرح (المنهاج) الذي كتب ابن الموقع شرحه عليه، فلابن قاضي عجلون نجم الدين أبي الفضل محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن (ت ٨٧٦هـ) كما في (كشف الظنون : ١٨٧٥) :

– تصحيح المنهاج ، مطول . عمل عليه توضيحاً ومتوسطاً ومختصراً، ذكر هذا أيضاً السخاوي في الضوء اللامع ، وهو بلفظه هناك : ٩٧/٨ .

– وهادي الراغبين إلى منهاج الطالبين . فرغ منه سنة ٨٦٠هـ .

ويؤخذ من كلام السيوطي في (نظم العقيان : ١٥٠) أن (الهادي) مختصر (التصحيح) . ووقع في (إيضاح المكنون : ٥٨٧/٢) عند كلامه على شروح (المنهاج): «وشرحه نجم الدين محمد بن قاضي عجلون ... وسماه : مغني الراغبين في شرح منهاج الطالبين» . وظاهر هذا أن (المغني) و (التصحيح) كتابان اثنان، إلا أنه يفهم مما في (نظم العقيان : ١٥٠) أيضاً أنهما كتاب واحد . قال السيوطي في ترجمة النجم المذكور : «وألف التصانيف النافعة، كالمغني في تصحيح المنهاج، ومختصره الهادي» .

٨ – درج طائفة من المشتغلين في زماننا على أن يغترفوا من (أعلام) الزركلي دون أن يشيروا إليه، وكأنما هو الماء والهواء المشاعان لكل واحد ، أو كتب الجاحظ التي قال فيها القاضي الفاضل فيما أحسب : «ما منا معاشر الكتاب إلا من شن على كتب الجاحظ الغارة ، وخرج وعلى كتفه منها كارة». غير أن هذا قد أخذ يتغير بأخرة ، ورجع (الأعلام) بالقياس إلى شباب المشتغلين وكأنه (كتاب قديم !) (لا يستحيا !) من الإحالة إليه .

٩ – كان (در الحبيب) و (المقصد الأرشد) لا يزالان مخطوطين حين كتب الزركلي هذه الترجمة أول مرة .

١٠ – بل إن ابن رجب قال في (الذيل) : «وقرأت على بعض شيوخنا أنه توفي سنة خمسين ، والله أعلم» . قلنا : يعني : وستمائة .

١١ – حماسة أبي تمام : ١١٣٧/٣ (المرزوقي)، ٨٣/٣ (التبريزي)، ٦٧٤ (بتحقيقنا : عز الدين البدوي النجار) . الخبب: ضرب من سير الإبل والخيل ، فيه سرعة . البازل من الإبل : التي بَزَل نابها، أي طلع ، وذلك حين تستكمل السنة الثامنة وتطعن في التاسعة ، وهي حينذاك في كمال قوتها . الأمون : الوثيقة الخَلْق، القوية – لذلك – على السير ، الآمنة من العثار والإعياء . يجشمها : يكلفها . الغائط : المطمئن من الأرض . البطين : النازح البعيد المترامي الأطراف .

* ترجمة (شعلة) في : سير أعلام النبلاء : ٣٦٠/٢٣ ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : ٦٧١/٢، تذكرة الحفاظ : ١٤٣٨/٤، العبر : ٢٣٤/٥، دول الإسلام : ١٢٣/٢ ، الوافي بالوفيات : ١٢٢/٢، طبقات النحاة لابن قاضي شهبة : ٥٥/١، شذرات الذهب : ٢٨١/٥، ذيل طبقات الحنابلة : ٢٥٦/٢ ، مختصر المنهج الأحمد : ١١٦ ، مختصر الذيل على طبقات الحنابلة : ٧٤، المقصد الأرشد : ٣٥٥/٢، ديوان الإسلام لابن الغزي: ١٤٣/٣ ، مرآة الجنان : ١٤٧/٤، تاريخ الإسلام : الورقة : ١٦٢ (أيا صوفيا ٣٠١٣) ، نهاية الغاية : الورقة : ٢٢١ .

وهذه المصادر وقفنا على أكثرها، والعهدة في سائرها – ولا سيما في المخطوط منها – على محققي السير و (معرفة القراء الكبار) .

١٢ – في (السير) و (العبر) و (معرفة القراء الكبار) و (الوافي بالوفيات) و (الشذرات) : محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن الحسين ؟ وهو أتم ما وقفنا عليه من نسبه . وفي (الذيل) : محمد بن أحمد بن الحسين؛ وهو أكثر منه اقتضاباً . طرح من نسبه جده وأبا جده . وفي مطبوع (تذكرة الحفاظ) " محمد ابن أحمد بن أحمد بن الحسين ، وهذا كما تراه . ووقع في مطبوع (دول الإسلام – حيدر أباد) :

عبدالله بن محمد بن أحمد ، وهذا من تخليط النساخ بلا ريب فيه . جعل (عبدالله) - وهو قطعة من كنيته (أبو عبدالله) اسماً له .

١٣- أفاد ابن رجب في (الذيل) أن لقبه شمس الدين .

١٤- قول ابن الجزري إن شعلة «قرأ القراءات صغيراً على علي بن عبدالعزيز الإربلي» فهذا موضع نظر . وذلك أن الذهبي ذكر في ترجمته في (معرفة القراء الكبار: ٦٧٩/٢) أنه «قرأ القراءات الكثيرة على جماعة بعد الثلاثين وستمائة وتصدر للإقراء والإفادة في حدود الخمسين وستمائة . وعليه قرأ أبو عبدالله شعلة» . فإذا صح وصفه بالصغر حين قرأ على علي ابن عبدالعزيز - بعد معرفة أنه ولد سنة ثلاث وعشرين وستمائة على قول ابن الجزري نفسه ، فإن هذا لا يمكن أن يكون إلا في حدود الثلاثين وستمائة وما بعدها ، وقد رأيت ما قاله الذهبي من أن الإربلي في هذا التاريخ كان لا يزال «يقرأ القراءات الكثيرة على جماعة» ، مع نصه في ترجمته أنه لم يتصدر للإقراء والإفادة إلا في حدود الخمسين وستمائة، أي حين كان (شعلة) شاباً مكتمل الشباب (٦٢٣-٦٥٠) لا يمكن وصفه - مع ذكائه المفرط - بأنه "صغير" بحال :

عددنا له ستاً وعشرين حجة

فلما توفاها استوى سيداً ضخما

ولا مخرج من هذا إلا بأن يتسامح في مدلول لفظ الصغر عند ابن الجزري - على عسر هذا وبعده كما رأيت - أو أن يصحح له - أي الوصف بالصغر، ومع قدر من التسمح أيضاً - وتَخْرُج قراءة (شعلة على شيخه من عموم لفظ الذهبي، من أنه (أي الإربلي) قد تصدر للإقراء والإفادة في حدود الخمسين وستمائة .

١٥- قاله في معرفة القراء الكبار : ٦٧١ .

١٦- أي ابن الجزري .

١٧- هذا هو الصحيح عربية في اسم الكتاب : (قراءات السبعة) أي قراءات السبعة القراء ، لا (القراءات السبعة). ولو كانت «السبعة» وصفاً لـ «القراءات» لا مضافاً إليها لكانت : «السبع» كما هو ظاهر .

وقد جاء اسم الكتاب مغيراً في غير موضع ، كالذي وقع في (معرفة القراء الكبار) وفيما نُقل عنه في (الذيل على طبقات الحنابلة) وفي (الوافي بالوفيات) و (الشذرات) .

وجاء اسم الكتاب في (السير) : الشمعة في السبعة)!! فجاء صحيحاً مليحاً، خفيف الحاذ .

وأول كتاب يعرف جاءت «السبعة» عنواناً عليه إنما هو (كتاب السبعة) لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) من أجل أنه هو «أول من سَبَّع السبعة» [غاية النهاية : ١٣٩/١] أي اختارها ، على ما هو معروف . وعلى أنه قد وقع عنوان كتابه في إحدى نسخه : (اختلاف قراء الأمصار في القراءات السبع) ، وهي نسخة كان أحمد راتب النفاخ رحمه الله قد وقف عليها ناشرَ الكتاب شوقي ضيف .

وانظر مقدمتيه على الطبعتين الأولى والثانية من الكتاب، طبع دار المعارف .

١٨- في ترجمة «شعلة» في (الذيل على طبقات الحنابلة) لابن رجب : «ونظم عقود ابن جني في العربية [و] سماه (العنقود)» . فإن كانت عبارة ابن الجزري متوجهة في هذه الجهة فإن (العنقود) هو (المنظومة اللامية) التي نظم بها شعلة (عقود) ابن جني . وينبغي أن تكون هذه المنظومة (قصيدة) لا (أرجوزة مزدوجة) كأرجوزة ابن مالك (الألفية) المشهورة في النحو ، من أجل أنها على روي واحد هو اللام ، كما وقع في نص ابن الجزري ، وأيضاً فإن قوله : «في النحو» محمول على التوسع في التعبير، من أجل أن (عقود) ابن جني - واسمها : عقود الهمز - هي في بابة بعينها من العربية كان النحويون ربما ضمنوها كتبهم بالاسم (الهجاء) تارة ، أو (الخط) تارة أخرى . والمصطلح الأول أقدم، وهو في آثار المتقدمين أشيع وأسير . والرسالة إذن في (الإملاء) كما نقول اليوم ،

بل هي في ناحية مخصوصة منه ، هي كتابة الهمزة خاصة حين تقع «مبتدأة وحشواً وطرفاً» كما قال ابن جني في صدر الرسالة .

وهذا بعينه يسلم إلى إشكال آخر في عبارة ابن الجزري، وهو أنه إذا كان هذا مضمون رسالة ابن جني فإنه يبعد إذن أن يكون مقدمة في (الخط) فضلاً عن أن يكون مقدمة في (التصريف) ، بله أن يكون مقدمة في (النحو) بمفهومه الذي استقر له عند المتأخرين .

فهذا كما تراه ، وإلا فإن الحاجي خليفة قد ذكر في (الكشف : ١١٧٤) : «العنقود في نظم العقود : في العربية، أي في النحو . نظم الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن الحسين الموصلي الخليلي ، المتوفى سنة (٧٣٥) ثم شرحه .

أوله : الحمد لله الذي أفضل وأنعم ... إلخ . وأول النظم :

لله ذي العز الذي رفع العلا

فاحمد وصل على النبي ومن تلا

...إلخ»

قلنا : وهذا نص غريب كيف وجهته .

– وذلك أنه إن حمل على ظاهره، وصحت مادته ، وصح أن من نسب إليه الكتاب موجود حقاً لا متوهم مفترًى، صنعته تصحيفات النساخ وأوهام المصنفين، وأنه من رجال المئة الثامنة أو المئتين السابعة والثامنة كما يفيد التاريخ المثبت في (الكشف) ، إن صح هذا كله فإنه يحل إشكالاً ويثير هو ذاته إشكالاً آخر . يحل إشكال الكتاب المنسوب لشعلة ، وينص نصاً صريحاً آخر على مضمونه ، ويقدم نموذجاً واضحاً من نظمه ؛ وهو بيّن هنا أنه قصيدة من الكامل ، ويفيد فوق هذا فائدة أخرى، وهي أن الكتاب «نظم وشرحه» وليس «مقدمة لامية» منظومة فقط ، كما قد يفهم من عبارتي ابن رجب وابن الجزري .

غير أنه يثير إشكالاً آخر تنتفي معه نسبة الكتاب إلى شعلة أو تضعف ، على الرغم من نسبة من نسبه إليه، لأسباب إذا تأملها العارف بأحوال التراث العربي صحت عنده أو رجحت ، لا نطيل بذكرها الآن ، وهي إلى الظهور ما هي على كل حال . فهذا وجه في نص صاحب (الكشف) يفضي إليه حمله على ظاهره ، وأنه صحيح المادة .

وممن ذهب إليه ممن وقفت على كلامهم عمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين : ٢٦٢/٩) ، وذلك أنه ترجم لأبي عبدالله محمد بن الحسين هذا بما لا يخرج عما في (الكشف) محيلاً عليه وعلى (بروكلمان : S, II : 200) . قال في معجمه : «محمد الموصلي : (... – ٧٣٥هـ) (... – ١٣٣٥م) .

محمد بن الحسين الموصلي ، الخليلي ، الحنبلي (شمس الدين ، أبو عبدالله) نحوي من آثاره : العنقود في نظم العقود ، في النحو» .

قلنا : فهذا كلام الحاجي خليفة نفسه مبنياً هنا بناء الترجمة لكاتب ، وقد كان مبنياً هناك بناء الترجمة لكتاب ، إلا أن كحالة رحمه الله زاد فيما كتبه زيادتين :

أ – النص على أن المترجم له نحوي ، فقصره على هذا الفن ، وليس في عبارة الكشف ما يفيد هذا على هذا الوجه .

ب – أنه حنبلي، بعد كونه موصلياً خليلياً . وهو تبرع منه رحمه الله بما ليس في اليد نص فيه ، أو أنه تابع فيه ما وجده في بروكلمان في الموضع المذكور .

– والذي يبدو لنا في هذا ، احتمالاً يقرب من اليقين ، وهو الوجه الثاني الذي يتوجه فيه نص صاحب (الكشف) – أن صاحب الكتاب هو شعلة نفسه، بلقبه وكنيته واسمه ونسبته ومذهبه :

وذلك أن (شعلة) على ما تقدم لنا ، هو : شمس الدين أبو عبدالله محمد [بن أحمد بن محمد بن أحمد بن] الحسين الموصلي .

فالصورة واحدة في الموضعين ، إلا أنه طوى في

(الكشف) قطعة من نسبه، ونسبه إلى جده . وليس هذا ببديع من فعلهم . وقد رأيت نموذجاً منه فيما تقدم في نسب (شعلة) نفسه .

وقد بقي من تعريف الرجل في (الكشف) نسبته إلى الخليل، وهي النسبة المانعة لأول وهلة من أن يكون المذكور هو نفسه شعلة على ما قدمنا ، إلا أن تأمل هذه النسبة نفسها هو الذي وجه النظر إلى ما نرجو أنه الصواب في هذا الموضع . وذلك أن نسبة صاحب الكتاب إلى (الخليل) بعد نسبته إلى (الموصل) من غير ترتيب ولا تفصيل ولا تقييد على عادتهم فيمن يترجمون لهم ، جعلت هذه النسبة تبدو وكأنها محال من محالات المنطق ، أو كأمنية المتمني التي قالها في الشعر :

ما أقدر الله أن يدني على شحط

من داره الحزن ممن داره صول

وذلك أنا إذا قدرنا (الخليلي) تحريفاً في (الحنبلي) فقد ارتفع ما كان يبدو تدافعاً في النسبتين، وزال المانع الذي كان يمنع من تطابق الوصف في الترجمتين ، واسترد (شعلة) كتابه ، وبقدر وتوفيق ما كان ذلك .

وبقي أيضاً تاريخ الوفاة المثبت في (الكشف) ، وهو الشبهة الأخرى ، بعد شبهة النسبة إلى الخليل ، التي ألقت بظلالها على الموضع ، والتي تخيل لمن يقف عليها أن المذكور رجل مصنف على حياله ، دب على مدرجة التاريخ ، وأثر فيه من الآثار . إلا أن هذا في (الكشف) خاصة ليس كبير الخطر . ولهذا مبحث نمسكه إلى حينه إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

وتصحيح المسألة برمتها فيما نرجو - غلبةَ ظن إلى أن يتهيأ اليقين بالوقوف على نسخة من الكتاب - أن (العنقود) صحيح النسبة إلى شعلة ، إذ كان من أثبته له أولاً ، وهو ابن رجب ، قريب العهد به (ت ٧٩٥هـ) وإذ كان من المرجوع إليهم في تراجم الحنابلة ، العارفين بآثارهم ، إلى أنه هو نفسه من كبارهم والمعدودين منهم .

غير أنه من أجل أن يصحح لابن رجب نصه ، وهو أن (العنقود) شرح لـ (عقود) ابن جني وأن تستوي لابن الجزري - بعض الاستواء - عبارته ، وهي أن (العنقود) مقدمة في النحو ، فإنه ينبغي أن تصرف (العقود) عن كونها علماً على كتاب أو رسالة قائمة برأسها، كالذي أسلفناه في صدر هذه الحاشية ، إلى كونها عنواناً لباب من أبواب كتاب . وذلك أنه وقع لابن جني في مختصره (التصريف الملوكي) أنه جعل قطعة لطيفة منه في «عقود وقوانين ينتفع بها في التصريف» (التصريف الملوكي : ٤٧ - ٥٦ ، شرح التصريف لابن يعيش) .

وهذا موضع ينتفع بلفظه كما هو ظاهر، وينتفع بمضمونه، إذ كانت هذه (العقود) مما يمكن عده من مقدمات علم التصريف ، الذي هو من علم النحو، أو هو العربية ، على اختلاف عبارة القوم في مصطلحهم، كما هو معروف .

١٩- مطبوع معروف .

٢٠- الجعبري ، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر (في حدود ٦٤٠ - ٧٣٢هـ) إمام متفنن مقرئ ، شيخ القراء في زمانه (النجوم الزاهرة : ٢٩٦/٩) ، له شرح كبير على الشاطبية كامل في معناه (معرفة القراء الكبار : ٧٤٣/٢)، سمى شرحه (كنز المعاني شرح حرز الأماني) موافقاً فيه اسم شرح شعلة . وتسميته هذه هي التي اعتذر عنها في آخر شرحه بأنه لم يكن سمع بشرح سلفه .

٢١- ساق ابن رجب من شعره في ترجمته التي عقدها له في (الذيل) : ٢٥٦/٢ قصيدة على النون في أربعة وعشرين بيتاً ، مطلعها :

دع عنك ذكر فلانةٍ وفلانِ

واجنب لما يلهي عن الرحمنِ

وساقها بذاتها ابن العماد في (الشذرات : ٢٨١/٥ - ٢٨٢) نقلاً عن ابن رجب .

ومن غرائبه قوله فيها :

واعلم بأن المـوت يأتي بغتـة

وجميع ما فوق البسيطة فانِ

٢٢- (الساعة) مستدركة من (معرفة القراء الكبار) وهي في (السير) : الآن . وموضعها في (غاية النهاية) بياض .

٢٣- قـال ابن رجب في (الذيل على طبـقـات الحنابلة) : «قرأت على بعض شيوخنا أنه توفي سنة خمسين ، والله أعلم» .

قلنا : ولا يكاد هذا يستقيم ، لمصادمته غير ناحية مما جـاءت به الرواية . وذلك أن من الثـوابت في ترجمته - إذ لم نجد إلى هذه الغاية ما يدفعها أو يدعو إلى التوقف فيها أنه عاش ثلاثاً وثلاثين سنة . ذكـــر هذا الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، وهو أقـــدم من ترجموا له ، أنه عـاش بضـعـاً وثلاثين سنة . وهذا قـريب من الأول ؛ إلا أنه يتـسع لما لا يتـسع له من التوفيق بين التواريخ حين يعارض بعضها ببعض، وحين تدعو الحاجة إلى زحزحتها عن مواضعها المقررة كما في نصوص المتقدمين .

ومن الثوابت أيضاً أنه قرأ على علي بن عبدالعزيز الإربلي (تقي الدين أبي الحسن : ٦١٦هـ - ٦٨٨هـ) ، وأن علياً هذا قرأ عليه فيما بعد بعض تصانيفه . فقد ذكر الذهبي في (معرفة القراء الكبار : ٦٧٩/٢) أنه سمع (الشمعة) من تلميذه أبي عبدالله [شعلة] . بل إن طرفاً من سيرته محكي عن شيخه علي هذا كما رأيت في ترجمته .

ومما يشبه أن يكون ثابتاً ما تقدم نقله عن الذهبي من أن علياً «قرأ القراءات الكثيرة على جماعة بعد الثلاثين وست مائة» وأنه «تصدر للإقراء والإفادة في حدود الخمسين وست مائة» .

فإن كانت وفاة شعلة سنة خمسين كما نقل ابن رجب، فإن هذا سيرجع بسنة مولده إلى ما قبل سنة عشرين وستمائة (٦٢٠هـ) على تقدير أنه عاش ثلاثاً وثلاثين سنة، فضلاً عما فوقها . وحينذاك فإن سنة (٦١٧هـ) التي يوجبها القول بوفاته سنة خمسين هي سنة لمولده تبعد كثيراً عن سنة مولده التي ذكرها ابن الجزري في (غاية النهاية : ٨٠/٢) وهي (٦٢٣هـ) ، ويبعد مع هذا التاريخ بل يتعذر أنه قرأ على شيخه صغيراً، على نحو ما أسلفنا في الفقرة التي تقدمت برقم (١٤) .

٢٤- في العبر : ١٢٣/٢ : ثلاثاً وثمانين سنة . وهو تطبيع بحث ، أو تحـريف في الأصـول التي أخـرج عنهـا الكتاب . وقد ذكر الذهبي في نص (العبر) وقبل سطر واحد من ذكر سنة وفاته أنه مات شاباً» !!

٢٥- هو المصنف المشهور أبو مـحـمد عبدالوهاب بن أحمد بن محمد بن علي الحنفي (٨٩٨ - ٩٧٣هـ) نسبـة إلى مـحـمـد بن الحنفيـة ، جده الأعلى . والشعراني نسبة إلى ساقية أبي شعرة ، من قرى المنوفيـة ؛ وهي قرية أبيـه ولهم فـيـهـا زاوية ، نقل إليها عبدالوهاب وله أربعون يوماً من قلقشندة ، وهي بلده جده لأمه ، وفـيـهـا ولد . وكـان يسـمي نفسه في مؤلفاته (الشعراوي)، وبهذه النسبة ذكره النجم الغزي، وقد أكثر من النقل عنه في كـتـاب (الكواكب السائرة) . ويشبه أن يكون الشعراني قد ترجم لابن الموقع في حياته .

الأعـلام : ٤ / ١٨٠ ، مـعـجم المؤلفين : ٦ / ٢١٨ ، مـعجم المطبوعات : ١ / ١١٢٩ (وفيه أنه ولد ببلدة ساقية أبي شعرة) ، الكواكب السائرة : ٣/ ١٧٦ - ١٧٧ (وفـيـه أن وفـاته في حـدود ٩٧٠هـ)، شـذرات الذهب : ٨/ ٣٧٢ (وفيات : ٩٧٣هـ) .

والشَّعْراني في (أنساب السمعاني : ٧ / ٣٤٣) ، و (اللباب لابن الأثير : ١٩٩/٢) نسبة إلى «الشعر على الرأس وإرساله» .

وانظر في (معجم البلدان) : شِعْران ، و : شَعْران .

٢٦- وترجم لابن الموقع عرضاً صاحب (إيضاح المكنون) عند ذكره كتابه (تسهيل الفحص عن رواية الإمام

حفص) ، وسنعقب على مادة هذه الترجمة المقتضبة جداً بما يقتضيه المقام بعد .

وترجم له كحالة في (معجم المؤلفين) : ١٢ / ٩٥ ، فلم يخرج عما في (الكشف) و (الإيضاح) . وسنعقب عليه أيضاً عند ذكر وفاة ابن الموقع .

٢٧- ذكر محققا (در الحبب) في حاشيتهما على اللفظ ، أن (الأسلمي) من لم يكن أباؤه على الإسلام ثم أسلموا .

قلنا : وقد أدركنا من كان كذلك في دمشق يسمى (مسلمانياً) .

٢٨- ذكر الغزي هذا الموضع في كتابه (الكواكب) على الصحة : إمام الجامع الغمري وخطيبه ، وللذي في الدر وجه .

٢٩- وقع في اسم كتاب ابن الموقع هنا شبيه بما وقع في اسم كتاب شعلة فيما تقدم ، ففي كشف الظنون : ١٠٦٤ : «الشمعة المضية بنشر القراءات السبعة المرضية» . وفي إعلام النبلاء : «الشمعة المضية بنشر قراءة السبعة المرضية» والصحيح في اسم الكتاب ما أثبتناه عن (در الحبب) : قراءات ، على الجمع والإضافة ، أي قراءات السبعة القراء .

٣٠- المنازلات في نص (الدر) مثلها في (الكواكب السائرة) و (إعلام النبلاء) ، وفي كشف الظنون : ٦٧٥ ، ومعجم المؤلفين : والمنازل ، وليس فيهما ولا في (الكواكب) : الصدقية .

٣١- ذكر محققا (در الحبب) في حاشيتهما على الموضع أنه كان في نسخة الأصل بعقب قوله : ومنها ، فراغ ... ، ألحق فيه بخط مختلف دقيق ، مقروء أحياناً وغير مقروء أحياناً أخرى أبياتاً من التائية ، وأبياتاً أخرى من منظومة على الميم . وقد أثبت المحققان في حاشيتهما ما استطاعا قراءته : ثلاثة أبيات من التائية، وتسعة من الميمية ، أولها :

يستأذن العبد في قرب يفوز به
من سادة وكرام العرب والعجم

٣٢- وذكر له صاحب (إيضاح المكنون : ٢٨٨/١) : تسهيل الفحص عن رواية حفص .

٣٣- يتبين من نص الغزي هذا أن سنة (٩٧٠هـ) التي جعلها عمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين : ٩٥/١٢) تاريخاً لوفاة ابن الموقع هي غلط منه رحمه الله لا شك فيه ، تابع فيه صاحب (إيضاح المكنون : ٢٨٨/١) .

وعلى أن البغدادي قال في كتابه : «في حدود سنة ٩٧٠هـ» ، وجزم كحالة رحمه الله، فلم يترك فيما ذكره فسحة ينفذ منها أخلافه إلى الصواب .

٣٤- أي مات شاباً غضاً ، وربما وقع هذا اللفظ في بعض التراجم فصحفه من لا معرفة له من النساخ : احتضر ، بالحاء المهملة .

٣٥- هذا على غلبة الظن ، من أجل أن المعاصر له ابن رجب الحنبلي لم يذكر في ترجمته له أنه هاجر من حلب إلى غير القاهرة ، مع ما رأيت فيما تقدم من أنه نسبه في موضع آخر من كتابه قاهرياً ، ومع أن الهجرة إلى موطن دالةٌ ، في الأكثر ، على المكث فيه . فإذا أرادوا النقلة والارتحال ذكروا لهما من الألفاظ ما يشاكل ذلك .

٣٦- هكذا جاءت «السبعة» في مطبوع (الكشف) : وصفاً للقراءات . وهي غلط بحت كما رأيت .

٣٧- هكذا جاء الموضع في مطبوع (الكشف) : كتب بالأرقام : ٦٥٠ ، وبالحروف : ٦٥٦ .

٣٨- الشمعة المضية ، والشمعة .

٣٩- تميزت منظومة (شعلة) ورزقت القبول منذ وضعها صاحبها . وقد تقدم لنا أن شيخ ناظمها علي بن عبدالعزيز الإربلي قد قرأها عليه . وهذا من بليغ ما وقع لمصنف شاب في علم كانت تمور بأصحابه البلاد .

تاريخ خليفة بن خياط
ملاحظات - تصويبات

مراجعة
عبدالكريم الحبيب
كلية الآداب - جامعة البعث - حمص - سورية

أولاً : تمهيد :

لقي تاريخ خليفة بن خياط بعض العناية من قبَل المحققين ، حيث حققه سهيل زكّار عن نسخة فريدة لا أخت لها، كما يذكر في المقدمة ، وهي قديمة يعود تاريخ نسخها إلى سنة ٤٧٧هـ كتبها أحمد الأشعري . وقد نشر هذا الكتاب بتحقيق زكّار سنة ١٩٦٧م في قسمين عن وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، وهو أول تحقيق يظهر لتاريخ خليفة ، ثم عاد فحقق هذا التاريخ مصطفى نجيب فواز رئيس قسم التاريخ سابقاً في الجامعة اللبنانية وحكمت كشلي أستاذة اللغة العربية في الجامعة نفسها، وهو التحقيق الثاني حيث نشر عن دار الكتب العلمية في لبنان سنة ١٩٩٥م . وقد سمعت مؤخراً أنه حُقّق تحقيقاً ثالثاً في العراق ، غير أنني لم أطلع على هذا التحقيق ولم أعرف المحقق .

والتحقيق الثاني الذي قام به المحققان - فواز وكشلي - هو موضع المراجعة في هذا البحث ، وقد قدّم لي المحققان كتابهما في زيارتهما إلى جامعة البعث ، وأبديا رغبة ملحّة أن أدوّن ملاحظاتي على العمل وتحقيقاً لذلك فقد قمت بدراسة العمل والاطلاع عليه دراسة متعمقة واطلاعاً متأنياً، وكان حصيلة ذلك هذه الملاحظات والتصويبات التي أتمنى أن تجد صدراً فسيحاً لدى أخوي المحققين ، إرضاء للعلم .

ثانياً - وصف العمل :

يقع العمل في ٤٤٥ صفحة تضم المتن والحواشي والمقدمة ، وقد عرضا في المقدمة شيئاً عن شخصية خليفة ابن خياط ، واسمه وكنيته، ولقبه ونشأته ، ووفاته، وعقيدته، وقوة شخصيته، ثم تحدثا عن منزلته ومَنْ ترجم له من المؤلفين ، ثم انتقلا إلى الحديث عن راوية تاريخه بقي بن مَخْلَد . وقد استغرقت هذه المقدمة عشر صفحات، وهي على إيجازها تزوّد القارئ بكل ما يحتاجه من معرفة خليفة ابن خياط، وقد وثّق المحققان معلوماتهما توثيقاً علمياً دقيقاً، ويمكن القول بأن هذه المقدمة أفضل مما كتبه زكّار في مقدمة عمله وأشمل منه . وبعد إنجاز التحقيق، زوّد المحققان عملهما بفهارس شاملة ، تعين الباحثين على الاستفادة من الكتاب، وهذه الفهارس هي :

١ - فهرس الأحاديث والآثار .
٢ - فهرس الأعلام .
٣ - فهرس القبائل .
٤ - فهرس الأماكن .
٥ - فهرس الموضوعات .

وشملت هذه الفهارس ١٢٠ صفحة ، وهي مرتبة ترتيباً هجائياً جيداً كما تضمن الكتاب ثبتاً بأسماء المصادر والمراجع بلغت ٦٠ مصدراً رتبها المحققان ترتيباً علمياً .

واختار المحققان في طباعة الكتاب الحرف الصغير، والأمر فيه ناحية تجارية، فيما أرى، لأنهما بهذه الطريقة جعلا الكتاب يصدر في مجلد واحد، بينما نراه عند زكّار في مجلدين، لأن الحرف الطباعي أكبر .

ثالثا - الملاحظات العامة على العمل :

من خلال اطلاعي على هذا العمل ، كانت لي الملاحظات التالية، وهي ملاحظات عامة، تشمل كلَّ ما رأيته يخلّ بالعمل، وأتمنى من المحققين الفاضلين عندما يريدان إعادة طباعة هذا الكتاب أن يأخذا بهذه الملاحظات، لاسيما وأنهما قد طلبا مني بإلحاح أن أدوّن ملاحظاتي على عملهما . وكنت قد أسقطت بعض

الملاحظات التي رأيت إدراجها في أخطاء التحقيق أو المتن. وأتمنى مخلصاً أن تجد ملاحظاتي هذه صدراً دافئاً، لأنها لا تريد إلا الصواب والعلم، والله من وراء القصد :

١ - أهمل المحققان الحديث عن المخطوط وصفاته، وخصائصه وميزاته، ولم يعرضا صوراً منه، وهذا الأمر يدخل في صلب عمل المحقق، من أجل أن يحيط القارئ بالمخطوط من ناحية، ومن أجل توثيق العمل علمياً .

٢ - أغفل المحققان شرح خطة الكتاب والتعريف بمنهجه، وهذا الأمر ضروري جداً لإطلاع القارئ على ذلك، ومن صلب عمل المحقق، وكذلك يمكن للمحقق أن يشير إلى الخلل الذي يقع بمنهج الكتاب إذا ما وقع فيه المؤلف .

٣ - كان هناك خلل واضح عند المحققين الفاضلين في منهج التحقيق وقد ظهر هذا الخلل جلياً في النواحي التالية :

أ - كانا يُعرِّفان ببعض الأعلام ويهملان بعضها الآخر، وليس الأمر عائداً إلى أن الأعلام المهملة لم تترجم لها المصادر وكتب التراجم. بل هي موجودة وبعضها مشهور، وهذا أكثر من أن يحصى ويذكر .

ولولا خوف الإطالة لأوردت منها كثيراً .

ب - لم يسر المحققان بخطوات ثابتة على سبيل المقارنة النصيّة بين المخطوط ومصادر المادة التاريخية، وإنما كانا يقابلان بعض النصوص، ويهملان مقابلة بعضها الآخر مما أوقعهما بخلل واضح فأصبح هناك فرق في تسمية الأعلام، انظر مثلاً السيرة ١٢٤/٣ .

جـ - أتم المحققان الفاضلان بعض النصوص من المصادر وأغفلا النصوص المهمة، وكان إتمامهما للأشياء الثانوية، دون النصوص الرئيسة وإليك بعض النماذج في الإغفال، وقد أوردت شيئاً من هذا الأخطاء التي وقعت في المتن . فمن ذلك :

- في تسمية الصحابة الذين استشهدوا ببدر ص٢٢، لم يذكر المحققان عدد الذين استشهدوا من القبائل التي ذكراها، وقد أثبتها ابن اسحق في السيرة، وكان بإمكانهما أن يذكرا ذلك في الحاشية إن لم يذكر في المتن.

- أنقص خليفة اسم الشهيد نعمان بن عبد عمرو وهو ممن استشهد بأحد من بني دينار بن النجار، انظر السيرة ١٢٥/٣، بينما لم يذكر خليفة من بني دينار سوى سليم بن الحارث . وكذلك اختصر خليفة نسب أوس بن الأرقم ص٣٠ بينما ذكره صاحب السيرة كاملاً ١٢٥/٣ ولم يشر المحققان إلى ذلك مطلقاً .

- أسقط خليفة كثيراً من أسماء الذين استشهدوا بأحد ص٣١ وهم : قال ابن هشام، انظر السيرة ١٢٧/٣ . وممن لم يذكره ابن إسحق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا :

(من الأوس) ثم من بني معاوية بن مالك : ابن نميلة حليف لهم من مزينة .

(من بني خطمة)، واسم خطمة عبدالله بن جشم بن مالك بن الأوس : الحارث بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة .

(من بني الخزرج) ثم من بني سواد بن مالك : مالك ابن إياس .

(من بني عمرو) ومن بني عمرو بن مالك بن النجار : إياس بن عدي .

(من بني سالم) بن عوف : عمرو بن إياس .

ولم يشر المحققان إلى ذلك، وانظر كذلك أسماء الذين قتلوا في خيبر .

- عند إتمام المحققين لبعض النصوص كان يسقط من إتمامهما بعض الأشياء مما يجعل إتمامهما بحاجة إلى إتمام كما ورد في المصادر . من ذلك مثلاً قولهما في ص٣٨ وقد وضعاه ضمن حاصرتين [محمود بن سلمة بن عدي بن مجدعة بن الحارث] أخو محمد بن مسلمة .

وفي السيرة ٣٤٣/٣ : ورد «... مجدعة بن حارثة بن الحارث» فأسقطا حارثة من النص .

٤ - أهمل المحققان الإشارة إلى مواضع الاختصار التي لجأ إليها خليفة، انظر مثلاً النص الوارد ص٣٩ في تاريخه وانظر النص نفسه في السيرة ٣٣٧/٣ .

٥ - أهمل المحققان الإشارة إلى أرقام الصفحات في

بعض المصادر التي ذكراها . انظر مثلاً ص٦٦ الحاشية (١) .

٦ - لم يشر المحققان إلى مصادر بعض النصوص كمصدر حجة الوداع وخطبتها . ولم يعلّقا على أحداث كثيرة لتوضيح النص .

٧ - كان المحققان يجزمان بتدوين بعض الأخبار في الحواشي دون أن يعرضا الآراء الأخرى في إيراد الأخبار، في المصادر الأخرى، انظر مثلاً الحاشية (٤) ص١٢٠ .

٨ - لم يتثبت المحققان من بعض تواريخ الأحداث الواردة عند خليفة والمصادر الأخرى . فمثلاً يذكر خليفة أن حرق الكعبة كان سنة ٦٣هـ، في حين يؤكد الطبري أن هذا كان في أحداث سنة ٦٤هـ .

٩ - لم يضبط المحققان النص على سيرة ابن هشام ضبطاً محكماً، علماً أنهما صرّحا بذلك ، انظر تصويبنا للأخطاء في المتن .

١٠- كان المحققان يضيفان ما يرياه ضرورياً على النص، غير أنهما لم يلتزما بهذا الأمر في كثير من الحواشي، انظر مثلاً : ص١٨ الحواشي ٣، ٤، ٥، ٦ .

١١- لم يشر المحققان إلى التقديم والتأخير الذي حصل عند ذكر بعض الوقائع، ولم يستهديا بما ورد في السيرة ، انظر مثلاً ص٢٩ من تاريخ ابن خياط، وانظر ١٢٣/٣ من السيرة .

١٢- نقل المحققان بعض الحواشي والتعليقات الجاهزة كما وردت في المصادر دون إعمال الفكر بها . انظر مثلاً ص١٥ حاشية (٤) . وقد وقعا في خطأ، أثبتناه في أخطاء التحقيق فلينظر .

١٣- وأخيراً فيما يتعلق بالمقدمة التي كتبها المحققان عن المؤلف خليفة بن خياط، فإنهما وقعا بالأخطاء التالية :

- لمعرفة لقبه، (شبّاب) فقد ضبطه المحققان بالتشديد، بينما ضبطه صاحب الأعلام بدون تشديد ٣١٢/٢ وكذلك ضبطه ابن خلكان دون تشديد أيضاً ٢٤٤/٢، غير أنه قال: شباب بفتح الشين المثلثة والباء الموحدة بعد الألف باء ثانية، وقد اختلفوا في تلقيبه بذلك لأي معنى هو .

- عندما تحدث المحققان عن ذكره في المصادر ص٦ لم يشيرا إلى صفحات تلك المصادر وأجزائها وكانا يقولان، (ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة في وفيات سنة أربعين ومائتين، وكذلك الزركلي في الأعلام، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب).

- قال المحققان : وثّقه البخاري في تاريخه الكبير، ولم يذكرا عبارة التوثيق .

- وقع المحققان في تناقض معين عندما تحدثا عن توثيق خليفة حيث أوردا في ص٧، س٦: «وثّقه البخاري في تاريخه الكبير»، وفي الصفحة ذاتها س١٦ عندما يذكران نصاً من تهذيب التهذيب ١٦٠/٣، هو : ولم يحدث عنه البخاري إلا مقروناً، وإذا حدث عنه لمفرده علّق أحاديثه. وهذا كلام متناقض، فكيف يوثقه البخاري، ثم لم يحدّث عنه إلا مقروناً، وكيف يعلّق أحاديثه لمفرده، فالعبارتان الأخيرتان تدلان على تحفظ البخاري عليه وعدم ثقته به .

- أهمل المحققان ذكر شيوخه .

- لم يذكر المحققان الأصول التي حقق الكتاب عليها وقورنت نصوصه بها .

رابعاً : الأخطاء التي وردت في متْن الكتاب :

يشتمل هذا القسم على معرفة الأخطاء التي وردت في متن الكتاب، وغفل عنها المحققان، وقد ذكرت تصويب كل خطأ وقعت عليه، وربما أشرت إلى مصدر التصويب، أو تعليل الصواب على حد معرفتي واطلاعي .

١ - ص١٣، س٤ : ورد : وانقضاء عدد نسائهم ومحل ديونهم» . والصواب : «نَسْئِهم ...» والنَسْء : التأخير والتأجيل، ورد في لسان العرب : النَّسْء : التأخير، وهي من فعل نَسَأ، وذلك من قولهم نَسَأ الدَّين : إذا أخّره، وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿**إنما النسيء زيادة في الكفر**﴾ التوبة ٣٧ . وورد هذا أيضاً في كلام العرب، حيث كانوا يؤخّرون الشهور الحرم ويغزون فيها ومن ذلك قول الشاعر :

ألسنا الناسئين على معدٍّ
شهور الحلّ نجعلها حراما

وقول الآخر :

وكنا الناسئين على معدٍّ

شهورهم الحرام إلى الحليلِ

وانظر تفصيل هذه المادة في الأمالي للقالي ٤/١ .

٢ – ص١٣، س٧ : ورد : «هي مواقيتَ للناس...» حيث ضبط المحققان (مواقيت) بالنصب، وهي آية في القرآن الكريم، والصواب : (... هي مواقيتُ ...) انظر: سورة البقرة ١٨٩/١، مع العلم أن المحققة حكمت كشلي مختصة باللغة العربية .

٣ – ص١٣، س٩ : ورد «... وعدد نسائهم ومحال ديونهم ...) أشرت إلى الخطأ بـ نسائهم وتصويبها في رقم (١) أعلاه ، والخطأ الثاني : (محال) حيث وردت هنا جمعاً. والصواب : (محل) وذلك لأن النص بحرفتيه تقدم في السطر ٤، فلا يمكن أن يورده المؤلف باختلاف ، وهو تكرار، والأمر الآخر : أعتقد أن الصواب في هذه العبارة هو : «... وعدة نسئهم ، ومحل ديونهم ...) وبهذا يستقيم المعنى .

٤ – ص١٣، س٩ : ورد : «... وأرّخت بنو إسماعيل من بنيان الكعبة ...» . والصواب : (... وأرّخ بنو ...) وذلك لأن (بني) جمع (ابن) للمذكر، وهذه تجمع على (بنات) لغير الأناسي، كما ورد في متن اللغة مادة ب ن ي وطالما أنها للمذكر، وجمعها للأناسي، فينبغي أن يذكر فعلها، وفق القاعدة المعروفة بإفراد الفعل وتذكيره مع الفاعل . انظر شذور الذهب ١٥٨.

٥ – ص١٤، س٤ : ورد : «كانت بنو إسماعيل ...» والصواب: (... كان ...) وفق ما تقدم في التصويب (٤) السابق .

٦ – ص٢٢، س١٠ : ورد : «... من بني ليث ...» والصواب : (... من بني سعد بن ليث ...) انظر : السيرة النبوية ٧٠٧/٢ .

٧ – ص٢٢، س١٧ : ورد : «ومن بني الخزرج ...» والصواب : (... ومن بني الحارث بن الخزرج ...) انظر : السيرة النبوية ٧٠٧/٢ .

٨ – ص٢٢، س١٨: ورد : «... ومن بني سَلِمَة...» حيث ضبط المحققان اللام في (سَلِمة) بالكسر والصواب (سَلَمة) بفتح اللام، وكذا في سائر الأصول والمصادر .

٩ – ص٢٢، س٢٠ : ورد : «... حارثة بن سراقة بن الحارث قتله، حبان بن العرقة بسهم ...» . وقد فصل المحققان بين الفعل (قتله) وفاعله (حبان) بالفاصلة، والصواب حذف الفاصلة ونقلها إلى ما قبل الفعل حيث يصبح سياق الجملة : ... بن الحارث ، قتله حبّان ...) لأن الفاصلة تحدد الجملة في الكلام .

١٠– ص٢٢، س٢٠ : ورد : (... ومن بني عدي بن النجار ...) قوله : (بني عدي) زيادة عما في السيرة النبوية ٧٠٨/٢، ولم يشر المحققان إلى ذلك .

١١– ص٢٣، س١ : ورد : «[رفاعة] سواد ...» وقد أضاف المحققان ما بين معقوفين من السيرة النبوية ٣٦٥/٢، ولم ينتبه المحققان إلى النقص، رغم عودتهما إلى السيرة، والصواب : (... رفاعة بن سواد...) كما في السيرة ٧٠٨/٢ .

١٢– ص٢٧، س٢١ : ورد : «... ثابت بن أبي الأقلح...) ضبط المحققان : (الأفلح) بالفاء ولم يترجما له، فلو ترجما له من مصادر الأعلام لأدركا الصواب . وهو (ثابت بن أبي الأقلح) بالقاف، وهو صحابي جليل، ترجم له صاحب الأعلام ١٤٠/٣ .

١٣– ص٢٩، س١٦ : ورد : «... ابن هيشة...» والصواب إضافة : (رجل) بعد الاسم .

١٤– ص٣٠، س١ : ورد : «... سليم بن الحارث ...» والصواب من المخطوط إضافة (عبدٌ لهم) بعد الاسم .

١٥– ص٣٨، س٢١ : ورد : «... والفضيل بن النعمان...» والصواب : (وفضيل بن النعمان) كما في السيرة ٣٤٣/٣ .

١٦– ص٣٨، س٢٤ : ورد : «... [بن خالد بن عدي بن مجدعة بن الحارث]...» وقد أضاف المحققان ما بين المعقوفين من السيرة النبوية وأشارا إلى ذلك في الحاشية غير أنهما أسقطا اسماً بعد (مجدعة) هو الحارث، وأنقصا كلاماً آخر . والصواب كما في

السيرة ٣٤٣/٣ : (... بن خالد بن عدي بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة...) .

١٧- ص٣٨، س٤ : ذكر المحققان : «... أبو الضيّاح بن ثابت . (ومن بعده) من الشهداء في خيبر من الأوس...» والصواب : (... ومن بني عمرو بن عوف، أبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف...) وأسقط المحققان أيضاً من بين الشهداء : ثابت بن أثلة، وطلحة بن يحيى بن مليل بن ضمرة...) انظر السيرة النبوية : ٣٤٤/٣ .

١٨- ص٣٩، س١١ : ورد : «... لأنه لم يوجفَ...» وقد ضبط المحققان الفعل المجزوم بعد (لم) بالفتح، والصواب جزمه بالسكون : (لأنه لم يوجفْ) . رغم أنهما أشارا إلى الفعل (وجف) في الحديث القدسي، وإلى معناه في لسان العرب .

١٩- ص٣٩، س٨ : ورد : «... انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليالي ...» . والصواب : (... فحاصر أهله ...) لأن الوادي مذكر، وكذا ورد في المخطوط .

٢٠- ص٣٩، س١١: ورد : «... لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ...» وورد النص في السيرة ٣٣٧/٣ كما يلي : (لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب ...) وكان حرياً بالمحققين أن يشيرا إلى فرق الرواية ، وهذا من مهام المحقق، والسيرة من مصادرهما .

٢١- ص٤١، س١ : «... فلقيتهم جموع هرقل بالبلقاء...» والنص كما ورد في السيرة ٣٧٧/٣، أوضح وأكثر تحديداً وهو : (... حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء، ويقال لها مشارف) .

٢٢- ص٤١، س١٨ : ورد : «...وكان بيتاً عظيماً لقريش...) والنص كما ورد في السيرة ٤٣٦/٣ : (... وكان بيتاً يعظّمه هذا الحي من قريش ...) .

٢٣- ص٤٢، س٩ : ورد : «... منهم أيمن بن عبيد ...» والصواب : (... من قريش ثم من بني هاشم، أيمن ابن عبيد ...) السيرة النبوية ٤٥٩/٣ .

٢٤- ص٤٢، س١٠ : ورد : «... جمح به فرسه ...» والصواب : (جمح به فرس له يقال له الجناح ، فقتل). انظر السيرة النبوية : ٤٥٩/٣ .

٢٥- ص٤٢، س١١ : ورد : «... سراقة بن الحباب، أنصاري ...» والصواب : (ومن الأنصار سراقة بن الحارث بن عدي من بني العجلان ...) انظر السيرة النبوية : ٤٥٩/٣ .

٢٦- ص٤٣، س٧ : اكتفى خليفة بن خياط بتسمية المؤلفة قلوبهم ، ولم يذكر عطايا الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، وهذا مما أغفله المحققان وكان من الممكن أن يشيرا إليه، أو يتمّا ذلك في الحواشي، وورد ذلك في السيرة، ٤٩٣/٣ حيث اعتبر ما أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم لمخرمة بن نوفل الزهري وعمير وهشام ابنا عمرو، وعمر أخي بني عامر بن لؤي دون المائة، ويصرح ابن إسحق بقوله : (... لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنها دون المائة ...) .

٢٧- ص٤٣، س١٢ : ورد عند خليفة أن (عباس بن مرداس ممن أعطوا دون المائة...) ولم يشر المحققان إلى سخطه، حيث ورد النص في السيرة ٤٩٣/٣ (أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها...) وكذلك أسقط خليفة عتاب عباس للرسول صلى الله عليه وسلم والشعر الذي قاله في الحادثة . وكذلك أنقص خليفة من بين المؤلفة قلوبهم : «إعطاء الرسول (ﷺ) السهمي خمسين من الإبل ...) والسهمي : هو عدي بن قيس .

٢٨- ص٤٣ : لم يذكر المحققان عطايا الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بعد ذكر المؤلفة قلوبهم، وذكر ذلك صاحب السيرة، انظر : ٤٩٣/٣ .

٢٩- ص٤٣، س١٥ : ورد : «... من بني أمية ...» وفي السيرة النبوية ٤٨٦/٣، (... من بني أمية بن عبد شمس...) .

٣٠- ص٤٣، س١٦ : ورد : «... وعُرفُطَة بن حباب بن

حبيب من الأزد حليف لهم» . والصواب : (... حليف لهم من الأسد بن يغوث ...) السيرة النبوية ٤٨٦/٣ .

٣١- ص٤٣، س١٩ : ورد : «... مات من رمية رمي بها» وفي السيرة ٤٨٦/٣ : (... من رمية رميها يومئذ...) وقد أسقط صاحب السيرة كلمة (مات) .

٣٢- ص٤٣، س٢٠ : ورد : «ومن بني عـــدي...» وفي السيرة ٤٨٦/٣ : (ومن بني عدي بن كعب ...) .

٣٣- ص٤٣، س٢١ : ورد : «... السائب بن الحارث بن قيس ...» وفي السيرة ٤٨٦/٣ : (الحارث بن قيس ابن عدي) .

٣٤- ص٤٤، س٧ : ورد : «ثم خرج رسول الله (ﷺ) من الجعرانة معتمراً وأمر ببقايا الفيء، فحُبس بمجنة بناحية مرَّ الظهران، فلما فرغ رسول الله (ﷺ) من عمرته انصرف . وإتمام هذا النص هام جداً من السيرة لم يعطه المحققان أهمية معينة ، رغم أنه يقرر حدثاً، ولم يشيرا إليه في الحاشية .

٣٥- ص٤٥، س٦: ورد : «عن عليٍ كرم الله وجهه» قال : أمرت بأربع : ألا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يقرب المسجد الحرام بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وأن يبرأ كل ذي عهد من عهده . وفي السيرة ٥٤٦/٤ : «قام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فأذّن في الناس الذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله (ﷺ) فهو له إلى مدته» . وكان حرياً بالمحققين أن يعرضا هذا النص على ذاك وإظهار فروق الرواية، للوصول بالنص المحقق إلى غايته .

٣٦- ص٤٥، س١٢ : ورد «... وقدم الجارود ومعه المنذر ابن ساوى في عبدالقيس ...» . وفي السيرة ٥٧٦/٤: (ورد أن الرسول (ﷺ) كان قد بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدي فأسلم ، فحَسُنَ إسلامه، ثم هلك بعد رسول الله (ﷺ) قبل ردة أهل البحرين) ومن نص السيرة نتبين أن المنذر بن ساوى أسلم قبل عام الوفود ، وجدير بالمحققين أن يشيرا إلى ذلك .

٣٧- ص٤٩، س١ : ورد «... وسيلط بن سيلط إلى أهل اليمامة...» وقد وقع تصحيف بالاسم . والصواب : (سليط بن سليط ...) وهو من عمال الرسول (ﷺ) وذكر أيضاً في تسمية رسله .

٣٨- ص٥١، س٢ : ورد في أول السطر : «عبدالوهاب بن يحيى بن سعيد أن أبا بكر قال ...» وقد سقط من أول السطر : (حدثنا) فتستقيم العبارة بها وكذلك تكرر هذا النقص في ص٥٤، س١ : «بكر عن إسحاق قال... » والصواب : (حدثنا بكر ...) وكذلك في ص٥٥، س٢٠ : «علي وموسى ...» والصواب : (حدثنا علي وموسى ...) .

٣٩- ص١١٥، س٢٢ : ورد «... وفيها مات خباب بن الأرت، مرجع عليّ من صفين ...» والصواب : (... فرجع علي ...) وبه تستقيم العبارة .

٤٠- ص١٢٠، س٢١ : ورد في تسمية عمال الإمام علي ابن أبي طالب (كرم الله وجهه) على خراسان، أنه وجه إليها عون بن جعدة المخزومة، فردّوه، فبعث خليد ابن قُرّة التميمي، غير أن الطبري أورد في تاريخه ١٣٢/٥ «أنه اختلف في عامله (أي عامل عليّ) على خراسان، فقيل : كان خليد ابن قرّة اليربوعي، وقيل : كان ابن أبزى .

وطالما أن خليفة لم يذكر ابن أبزى كان على المحققين أن يشيرا إلى ذلك، علماً أن كتاب الطبري من مصادرهما .

٤١- ص١٢٧، س١٨ : أورد خليفة : «وأقام الحج عنبسة ابن أبي سفيان» وأورد الطبري في أحداث سنة ٤٧هـ: واختلفوا فيمن حج بالناس في هذه السنة، فقال الواقدي : أقام الحج هذا السنة عتبة بن أبي سفيان وقال غيره : بل الذي حج في هذه السنة عنبسة بن أبي سفيان) انظر : الطبري ٢٣٠/٥ .

٤٢- ص١٢٧، أورد خليفة في أحداث سنة ٤٨هـ : «فوجه زياد سنان بن سلمة بن محبق الهذلي...» وورد في الطبري في أحداث السنة ذاتها : «وقال بعضهم : فيها وجه زياد غالب بن فضالة الليثي على خراسان وكانت له صحبة من رسول الله (ﷺ) انظر الطبري ٢٣١/٥.

٤٣- ص١٢٨، أورد خليفة في أحداث سنة ٤٩هـ : «قال ابن الكلبي : وفيها شتّى مالك بن هبيرة بأرض الروم، ويقال : بل شتى بها فضالة ابن عبيد الأنصاري» وورد في الطبري ٢٣٢/٥ في أحداث هذه السنة : «فكان فيها مشتى مالك بن هبيرة السكوني بأرض الروم، وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد جربّة، وشتا بجربّة، وفتحت على يديه وأصاب فيها سبياً كثيراً .

٤٤- ص١٤٣، س٦ : ورد : «... مات معاوية في رجب سنة ستين، وكانت خلافته تسع عشر سنة ونصف السنة» والصواب : (تسع عشرة سنة...) وفق قاعدة العدد حيث إن العدد المركب، يخالف فيه الجزء الأول المعدودَ في التذكير والتأنيث، والجزء الثاني يطابقه .

٤٥- ص١٤٨، س١ : ورد : «وأعطى بنية كل رجل منهم عشرة آلاف درهم ...» والعبارة غامضة، وقد وضعت نقطتان أيضاً فوق (بنيه) وورد في الطبري ٤٩٥/٥ : (وأعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف ...) .

٤٦- ص١٤٨، س٢: ورد : «... قال : أتيتكم من عند رجل...» وفي الطبري ٤٩٥/٥: (جئتكم من عند رجل).

٤٧- ص١٤٨، س٢ : ورد : «... قالوا : فإنه بلغنا أنه أجازك وأكرمك وأعطاك...» وفي الطبري ٤٩٥/٥ : (قالوا : قد بلغنا أنه أجداك وأعطاك وأكرمك...) .

٤٨- ص١٤٨، س٤ : «... قد فعل، وما قبلت ذلك منه إلا أن أتقوى به عليه ...» وفي الطبري ٤٩٥/٥ : (قال : قد فعل، وما قبلت منه إلا لأتقوى به ...) .

٤٩- ص١٤٨، س قبل الأخير : ورد: «... فلما صنع أهل المدينة، وجه إليهم مسلم بن عقبة ...» وفي الطبري ٤٩٥/٥: (... فبلغ ذلك يزيد، فبعث مسلم بن عقبة إليهم ...) .

٥٠- ص١٤٨، س الأخير : ورد : «... وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين أهل الشام، فصبوا فيه زقاً من قطران وعوّروه ...» وفي الطبري ٤٩٥/٥ : (... كل ماء بينهم وبين الشام، فصبوا فيه زقاً من قطران وعوّر ...) .

٥١- ص١٤٩ : ورد : «فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وبهيئة لم ير مثلها ... فأمر مسلم بسريره فوضع بين الصفين ... فشد الناس في قتالهم ... وعبدالله بن حنظلة متساند ... فرأى ما صنع أمر أكبر ... يحكم في أهليهم ودمائهم وأموالهم ...» وفي الطبري ٤٩٥/٥ : (... وهيئة لم يرَ مثلها ... ومسلم شديد الوجع .. فبينما الناس في قتالهم ... وعبدالله بن حنظلة مستند ... ما صنع الناس فأمر ... يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ...) .

٥٢- ص١٤٩: ورد : «قال : دخل أبو سعيد الخدري يوم الحرّة غاراً، فدخل عليه رجل ثم خرج، فقال لرجل من أهل الشام أدلك على رجل تقتله، فلما انتهى الشامي إلى باب الغار وقال لأبي سعيد – وفي عنق أبي سعيد السيف – إخرج إليَّ، قال : لا وإن تدخل عليَّ أقتلك، فدخل الشامي، فوضع أبو سعيد السيف وقال : بوء بإثمي وإثمك وكن من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فقال أبو سعيد الخدري : أنت ! فقال : نعم، فاستغفر لي، قال : غفر الله لك ...»

وقد أورد الطبري هذه الحادثة برواية فيها بعض الاختلاف وهي : (... فخرج أبو سعيد حتى دخل في كهف في الجبل، فبصر به رجل من أهل الشام، فجاء حتى اقتحم عليه الغار . عن أبي سعيد الخدري : قال: دخل إليَّ الشامي يمشي بسيفه، قال : فانتضيت سيفي فمشيت إليه لأرعبه لعلّه ينصرف عني، فأبى إلاّ الإقدام عليَّ، فلما رأيت أن قد جدّ شمتُ سيفي، ثم قلت له : لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين، فقال لي: من أنت لله أبوك ؟ فقلت : أنا أبو سعيد الخدري، قال:

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم، فانصرف عني ...) انظر الطبري ٥/٤٩١ .

٥٣- ص١٥٨، س٢٥ : ورد : « ... وأمه ميسون ابنة بجدل الكلبية ...» (بالجيم) والصواب : (... بحدل ...) بالحاء المهملة .

٥٤- ص١٥٩، س١ : ورد : « ... وهو ابن ثمان عشرة سنة...» والصواب : (وهو ابن ثماني عشرة سنة ...). وفي الصفحة نفسها أورد ابن خياط خبر مقتل نافع ابن الأزرق في سنة (٦٤هـ)، وأورده الطبري ٥/٦١٣: في سنة (٦٥هـ) .

٥٥- ص١٦٣، س٢٤ : ورد : «ومات مروان بن الحكم بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين، وهو ابن ثلاث وستين سنة ...» .

وأورد الطبري ٥/٦١١: (... وكان هلاك مروان في شهر رمضان بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي، وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه قال : كان يوم هلك ابن إحدى وستين سنة، وقيل : توفي وهو ابن إحدى وسبعين سنة وقيل : ابن إحدى وثمانين...). وكان حرياً بالمحققين أن يذكرا تفاوت هذه الأقوال لأهميتها التاريخية ووضعها بين يدي القارئ الكريم وهذا من مهمة المحقق، كما هو معروف .

٥٦- ص١٦٥، س٣ : ورد : « ... وقُتِل المختار بن أبي عبيد، دخل عليه القصر طريف وطراف أخوان من بني حنيفة ، فقتلاه ...» وأورد الطبري ٦/١٠٨ : وزعم الناس أن المختار قُتِل عند موضع الزياتين اليوم، قتله رجلان من بني حنيفة أخوان، يدعى أحدهما طرفة والآخر طرّافاً ابنا عبدالله بن دجاجة من بني حنيفة...» .

٥٧- ص١٧٥، س١٦ : ورد : « ... فيها غزا المهلب بن أبي صفرة كش ونسف من بلاد خراسان ...» وقد أوردها المحققان (كش) بالشين المعجمة، في كل ما ذكراه، بينما ضبطها الطبري ومحقق الكتاب : بالسين المهملة. انظر الطبري ٦/٣٢٥ .

٥٨- ص١٧٦، س٣ : ورد : « ... وأقام الحج أبان بن عثمان ...» وورد في الطبري ٦/٣٢٩: (وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، وقال بعضهم : الذي حج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبدالملك) .

٥٩- ص١٧٧، س١٣ : ورد في أحداث سنة اثنتين وثمانين: « ... قُتِل يومئذ أبو الجوزاء الربعي، وعقبة بن عبد الغافر العوذي، وعقبة بن وساج البرساني وعبدالله بن غالب الجهضمي...» وقد توسع في هذا الخبر الطبري ٦/٣٤٣ وفي توسعه أهمية تاريخية ، ولم يشر المحققان إلى ما ذكره الطبري في هذا الخبر حيث ورد : (... وقتل في المعركة عبدالرحمن بن عوسجة أبو سفيان النهمي، وقتل عقبة بن عبدالغافر الأزدي ثم الجهضمي في أولئك القراء في ربضة واحدة، وقتل عبدالله بن رزام الحارثي، وقتل المنذر بن الجارود وقتل عبدالله بن عامر بن مسمع، وأُتِي الحجاج برأسه، فقال : ما كنت أرى هذا الرجل فارقني حتى جاءني الآن برأسه، وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً فقتله، وزعموا أنه كان مولى للفضل بن عباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبدالمطلب، كان شجاعاً يدعى نُصيراً ، فلما رأى مشيته بين الصفين، وكان يلومه على مشيته، قال : لا ألومه على هذه المشية، وقتل الطفيل بن عامر بن واثلة...) .

٦٠- ص١٧٩، س٢٣ : أورد خليفة أن وقعة دير الجماجم حدثت في سنة (٨٢هـ) وأوردها الطبري في أحداث سنة (٨٣هـ) انظر : ٦/٣٥٧ ، ولم يشر إلى ذلك المحققان .

٦١- ص١٩٥، س١٤ : ورد في أخبار سنة (٩٤هـ) قال خليفة : «وأقام الحج مسلمة بن عبدالملك...» وأورد الطبري في أحداث السنة نفسها : قال : (حج بالناس مسلمة بن عبدالملك سنة أربع وتسعين، وقال الواقدي: حج بالناس سنة أربع وتسعين عبدالعزيز بن الوليد ابن عبدالملك، قال ويقال : مسلمة بن عبدالملك ...) انظر الطبري ٦/٤٩١ .

٦٢- ص١٩٧، س١٧: ورد في أخبار سنة (٩٥هـ) : «مات الحجاج وهو ابن ثلاث وخمسين ...». وأورد الطبري في أخبار السنة نفسها : (وفيها مات الحجاج بن يوسف في شوال، وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة، وقيل ابن ثلاث وخمسين سنة ...) انظر الطبري : ٤٩٣/٦ .

٦٣- ص١٩٧، س١٨ : ورد في أخبار سنة (٩٦هـ) : «... قال : ومات (الوليد بن عبدالملك) وهو ابن إحدى وخمسين ، قال حاتم بن مسلم : ابن تسع وأربعين، وكانت ولايته تسع سنين وخمسة أشهر وأياماً ...» .

وفي هذا الخبر اختلاف أيضاً لم يشر إليه المحققان حيث ورد في الطبري ٤٩٥/٦ : (وقال هشام بن محمد: وكانت ولاية الوليد ثماني سنين وستة أشهر، وقال الواقدي : كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين، واختلف أيضاً في مبلغ عمره، فقال محمد بن عمر : توفي بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر، وقال هشام بن محمد : توفي ابن خمس وأربعين سنة، وقال علي بن محمد : توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة، وقال علي : كانت وفاة الوليد بدير مرّان، ودفن خارج باب الصغير ويقال في مقابر الفراديس، ويقال : إنه توفي ابن سبع وأربعين سنة...) .

٦٤- ص٢٠٢، س١٤ : ورد في أخبار سنة (٤٩هـ) : «مات سليمان بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ...» . وورد في الطبري ٥٤٦/٦ : (توفي - فيما حدث هشام عن أبي مخنف - بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر، وقد قيل : توفي لعشر ليال مضين من صفر) .

٦٥- ص٢٠٢، س١٨ : ورد : «... كانت ولايته - أي عبدالعزيز - سنتين وعشرة أشهر ونصفاً، أو تسعة أشهر ونصف ...» .

وورد في الطبري ٥٤٦/٦ : (فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام، وقيل : كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر، وقيل سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وقيل : فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر...) .

٦٦- ص٢٢٢، س٥ : ورد في أخبار سنة (١١٣هـ) خبر خروج الجنيد بن عبدالرحمن من مرة غطفان غازياً، يريد طخارستان . وهذا الخبر أورده الطبري ٨٥/٧ في أخبار سنة (١١٢هـ) .

خامساً : الأخطاء التي وقع بها المحققان في التحقيق :

هذه الأخطاء تشمل ما وقع به المحققان أثناء تحقيق النص والتعليق عليه من وهم وتصحيف، سواء في الحواشي والإحالات أم في متن الكتاب، وقد اتبعت في تدوين هذه الأخطاء تسلسل ورودها في الكتاب أيضاً، فإن كان الخطأ في المتن أشرت إلى رقم الصفحة والسطر، وإن كان في الحواشي، أشرت إلى رقم الصفحة والحاشية .

١ - أسقط المحققان ما وجد على الصفحة الأولى من مخطوط الكتاب وهو ما يلي : «سفر فيه تاريخ خليفة ابن خياط بن خليفة بن خياط، رواية بقي ابن مخلد . حدّثنا هذا التاريخ الإمام الأوحد الفقيه القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد قال : حدثني الفقيه المقرئ أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي رضي الله عنهما . قال : حدثني الفقيه القاضي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج قاضي الجماعة بقرطبة رحمه الله . قال : حدثني أبو القاسم أحمد ابن عبدالله بن محمد بن مبارك بن حبيب بن عبدالملك ابن الوليد بن عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين رحمه الله ...» .

٢ - ص٤، س٤ : قال المحققان : «الاستيعاب لابن عبد ربه» وهو خطأ ، والصواب : أنه لابن عبدالبر، وهو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي له تصانيف كثيرة أشهرها الاستيعاب . انظر ترجمته ومؤلفاته في الأعلام : ٢٤٠/٨ .

٣ - ص٤، س٩ : قال المحققان : «عرّفنا على أسماء الأعلام» وهو تعبير خاطئ لأنه لا يقال في اللغة

(عرّف على كذا) وإنما يقال : (عرّف بزيد : إذا أوضحه بعلامة أو غيرها مما يجعله عارفاً به، ويقال عرّفه الشيء: إذا أعلمه إياه . انظر اللسان مادة (ع – ر – ف) ولذلك الصواب أن يقول المحققان : (عرّفنا بأسماء الأعلام) .

٤ – ص٧، س٢٤ : أورد المحققان : «أنا تميم الجرجاني، أنا أبو سعيد النحوي، أنا أبو عمرو الجدي، أنا أبو يعلى الموصلي ...» فالتبس الكلام وغمض معناه بالتصحيف والوهم لأن الصواب حذف الألف المهموزة من بدء كل جملة، فتصبح : (... نا تميم الجرجاني... إلخ) لأنها مختصر لكلمة (حدثنا) كما هو معهود في المخطوطات، حيث يكتبونها كاملة تارة ، وتارة يضعون (ثنا) أو (نا) .

٥ – ص٧، س٢٧ : أورد المحققان : «... كان الرجل يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم من نخلة الصدقات ...» والصواب : (... من نخله ...) لأن الهاء عائدة إلى الرجل، وهي بدون نقطتين لأن بهما التباساً في المعنى.

٦ – ص٧، س٢٨ : أورد المحققان : «فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد بعد ذلك وأن أهلي أمروني أن آتيه، فسأله الذي كانوا أعطوه ...» والصواب : (... فسأله ...) .

٧ – ص٩، حاشية (١) : أورد المحققان : «جذوة المقتبس للحميري» وهو خطأ لأن جذوة المقتبس للحميدي، وهو محمد بن فتوح، عالم بالفقه والحديث أخذ عن ابن حزم ورحل من الأندلس إلى بغداد، انظر الأعلام ٣٢٧/٦ .

٨ – ص٩، حاشية (١) أيضاً، أورد المحققان : «نفح الصليب للمقري» وهو تصحيف والصواب: (نفح الطيب).

٩ – ص٩، س١١ : أورد المحققان : «داود بن رشيد» والمأثور في اسم (داوود) إذا لم يكن مهموزاً أن يكتب (بواوين) كما رسمناها، وإن كان مهموزاً يكتب (بواو واحدة (داؤد) .

١٠– ص١٥، حاشية (٢) : أورد المحققان : في ترجمة محمد بن إسحق : (... ذكياً حافظاً طلابه للعلم ...» وفي العبارة تصحيف يبهم المعنى ، والصواب (... طلابةً للعلم ...) .

١١– ص١٥، س١٢ : أضاف المحققان على المتن [فنحن لِدان] ضمن حاصرتين ثم ذكرا في الحاشية رقم (٤) أن العبارة مضافة من سيرة ابن هشام ١٦٧/١ وشرحا العبارة بقولهما : «لدّان : مثنى لدّة، واللدة : الترب، والهاء فيه عوض عن الواو الذاهبة في أوله، لأنه من الولادة، وفي سائر الأصول لدتان، ولم تذكره كتب اللغة» . انتهى تعليق المحققين في الحاشية ، ثم ذكرا سيرة ابن هشام ص ١٦٧ حاشية (٤) .

والصواب : أن سائر الأصول هو المصيبة في إيراد العبارة [فنحن لدتان] وقد أخطأ المحققان ثلاثة أخطاء هي :

الأول : أثبتا الخطأ بين حاصرتين [فنحن لدان] وقد أضافا ذلك من سيرة ابن هشام، علماً أن الصواب مذكور في سائر الأصول على حد زعمهما [فنحن لدتان] .

الثاني : علّلا أن الهاء بدل الواو الذاهبة، وهي (تاء مربوطة وليست هاءً) وفرق كبير بين الهاء التي هي ضمير يدل على غائب، وبين التاء المربوطة التي تدل على التأنيث .

الثالث : قال المحققان (ولم تذكره كتب اللغة) وهذا النفي غير صحيح، لأن كتب اللغة ذكرت ذلك وأقربها إلى متناول المحققين (متن اللغة) فقد درسته حكمت كشلي دراسة معمقة، في كتابها (المعجم العربي في لبنان) وقد أهدتني نسخة من كتابها، وغفلت عما جاء فيه. حيث ورد في متن اللغة مادة (و – ل – د) اللِّدَةُ : التِّربُ، أي الذي يولد معك في وقت واحد، جمعها (لدات ولدون) وتصغيرها (وُليدة ووليدون (على الأصل) ولُديات ولديون على اللفظ شاذ ونستدل من هذه المادة أن مثنى اللدة : لدتان ، وهو الذي أنكره

المحققان ولم يثبتاه، وقد ورد في الأصول . فالصواب [فنحن لدتان] .

ثم أخطأ المحققان بقولهما في الحاشية (٤) ص١٥ (والهاء فيه عوض عن الواو والصواب : عوض من) .

وعندما ذكر المحققان رقم الحاشية (٤) بعد ذكر سيرة ابن هشام، تبيّن أنهما نقلا التعليق من السيرة، ولم يجشّما نفسيهما عناء البحث عن ذلك .

١٢- ص١٧، حاشية ٣ : ذكر المحققان : (روبة بن العجاج) وفي الاسم تصحيف والصواب : (رؤبة بن العجاج) بوضع همزة فوق الواو، ورؤبة هو رؤبة بن عبدالله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، من أشهر الرّجاز بعد أبيه وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، انظر الأعلام ٣/٣٤ .

١٣- ص٢٥، س١٢: لم يشر المحققان إلى الآية الكريمة التي وردت في هذه الصفحة واعتبراها من النثر، ولم يخرّجاها من القرآن الكريم، والآية : «فقال السفهاء: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها» وهي في القرآن الكريم ﴿**سيقول السفهاء : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها**﴾ سورة البقرة ٢/١٤٢ .

١٤- ص٣١، حاشية ١٠: أورد المحققان: (يلتهبون من الغيط...) بالطاء المهملة. والصواب: (من الغيظ...) بالمعجمة .

١٥- ص٣٩، س٤ : أورد المحققان : «قال ابن إسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر في المحرم» ووضعا رقم (٣) إشارة إلى الحاشية (٣) في الصفحة ذاتها حيث يوردان : (راجع ص٨٢ من هذا الكتاب) ثم يوردان في المتن «قال علي بن محمد : خرج في المحرم، وافتتحها في صفر، ورجع لغرة شهر ربيع الأول» ووضعا رقم (٤) إشارة إلى الحاشية (٤) في الصفحة ذاتها، حيث يوردان : (انظر ص٨٢ من هذا الكتاب) . وعندما عدت إلى الصفحة (٨٢) لم أجد شيئاً مما أحال إليه المحققان، وإنما كان الكلام كله على (وقعة تُسْتر).

١٦- ص٤١، س٢: أورد المحققان ما يتعلق بغزوة مؤتة : (... وأخذ خالد بن الوليد الراية فانحاز بالمسلمين ...). والنص كما يظهر فيه نقص لم يتمه المحققان وهو : (ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا : أنت، فقال : ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس) . انظر السيرة النبوية ٣/٣٨٠، ويتضح المعنى كما أوردناه سليماً .

١٧- ص١١٤، س١٩ : أورد المحققان رجزاً لقائد الجمل في وقعة الجمل، ولم يتحققان من صحته وهو :

نحن بنو حنبة أصحاب الجمل ...

والصواب : نحن بني ... لأنها منصوبة على الاختصاص .

ونبغي ابن عفّان بأطراف الأسل ...

والصواب : ننعى ... وقد ورد ذلك في كل المصادر ويروى ننعى على عثمان... انظر الطبري ٤/٥١٨ والكامل ١/١١٢ .

١٨- ص١٢٠، حاشية (٤) : أورد المحققان أنه ورد في تاريخ الطبري : (قتل علي وهو ابن ثلاث وستين) وهذا الأمر مختلف، حيث إن الطبري ذكر هذه الرواية من جملة روايات متعددة، ولم يحدّد سنة بعينها، حيث قال : (اختلف في سنّه - أي علي - يوم قتل ، قال بعضهم : قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة، وحُدِّثت عن مصعب بن عبدالله، قال : كان الحسن بن علي يقول : قتل أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وحُدِّثنا عن بعضهم، قال : قتل وهو ابن خمس وستين سنة) . ثم يورد الطبري بأسانيد متعددة (أنه قتل وهو ابن ثلاث وستين سنة) . وينهي الخبر بذلك : انظر الطبري ٥/١٥١ - ١٥٢ .

وطالما أن مهمة المحقق تحرّي النصوص، فقد كان على المحققين أن يشيرا إلى اختلاف هذه الروايات، لا أن يعتمدا رواية واحدة دون استناد صريح، ووثيقة

واضحة . لاسيما أن خليفة قد أورد في تاريخه سنة معينة من تلك السنوات المتوقعة في الطبري والكامل وهي ثمان وخمسين سنة .

١٩- ص١٢١، س٨ : أغفل المحققان ذكر ما أورده الطبري ١٥٥/٥ من أن عامل عليّ على البحرين وما يليها ومخالفيها كان عبدالله بن العباس. بينما عدّد خليفة عماله فكانوا «عمر بن أبي سلمة، وقدامة بن العجلان والنعمان بن العجلان الأنصاري» . وكان عليهما أن يشيرا إلى هذا الاختلاف .

٢٠- ص١٦٤، حاشية (١) : أورد المحققان : «وقع طاعون الجارف بالبصرة» والصواب : (... الطاعون الجارف...) .

٢١- ص١٦٦، ذكر خليفة أن خلع عمرو بن العاص من قبل عبدالملك من أحداث سنة سبعين، وأورد بيتين من الشعر في ذلك . غير أن الخبر كله وارد في أحداث سنة تسع وستين في الطبري - انظر ١٤٨/٦ ولم يشر المحققان إلى ذلك رغم إشارتهما إلى الحدث والبيتين في الحاشية (٣) صفحة ١٦٦ .

٢٢- أورد المحققان في قائمة المصادر والمراجع (ص٣٢١/(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر، تحقيق علمي محمد البجاوي . والصواب : (علي محمد البجاوي) .

٢٣- أورد المحققان في قائمة المصادر والمراجع ٣٢٢/(٢٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحميري . والصواب : (الحميدي) وقد تقدم ذلك .

خاتمة :

هذا ما دونته من ملاحظات وتصويبات تهدف إلى الارتقاء بالعمل إلى درجة الكمال العلمي، مع التأكيد الكامل على شكري العميق للمحققين، وما يتسمان به من العلم والموضوعية يجعلهما محط الإكبار والإجلال .

ولي وقفة أخرى مع الكتاب نفسه الذي حققه سهيل زكار مقابلاً على أصله المخطوط، وأصوله المطبوعة من المصادر . وذلك لإكمال الفائدة واستدراك النقص الذي يمكن أن يقع به كل محقق .

المصادر

١ - القرآن الكريم .

٢ - الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ١٩٨٠م .

٣ - الأمالي ، أبو علي القالي، دار الحكمة، لبنان، بيروت، بلا تاريخ .

٤ - تاريخ الأمم والملوك، الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، بيروت، ١٩٦٧م .

٥ - تاريخ خليفة بن خياط، مخطوط مصور .

٦ - تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكّار، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، سورية، دمشق، ١٩٦٧م .

٧ - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحميدي ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة السعادة، مصر، القاهرة، ١٩٥٣م .

٨ - السيرة النبوية ، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، ورفيقيه، دار الخلود، لبنان ، بيروت، بلا تاريخ .

٩ - شذور الذهب، ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مؤسسة النوري، ١٩٦٥م .

١٠- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، لبنان، بيروت، ١٩٨٢م .

١١- لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر ، لبنان، بيروت ١٩٧٦م .

١٢- متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، ١٩٦٥م .

١٣- المعجم العربي في لبنان، حكمت كشلي، دار ابن خلدون، لبنان، بيروت، ١٩٨٢م .

١٤- نفح الطيب، المقرّي، تحقيق محمد البقاعي، دار الفكر، لبنان، بيروت، ١٩٨٦م .

شعراء إتحاف المُطالع

بونيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع

إحصاء وتقديم

نجاة المريني

كلية الآداب - جامعة محمد الخامس - الرباط

الحديث عن موسوعة أعلام المغرب يرتبط أساساً بالحديث عن منسق أعمالها، ومعدّ مؤلفاتها، وحامل عبء تحقيق مخطوطاتها عبر قرون امتدت، وكتابات تنوعت في أمانٍ واطمئنان .

لذا سيتناول هذا العرض نقطتين اثنتين بعد المهاد .

الأولى : المحقق محمد حجي .

الثانية : شعراء إتحاف المطالع : إحصاء وتقديم . وتضم العناصر الآتية :

- كلمة لا بدّ منها .
- كتاب إتحاف المطالع .
- مصادر الكتاب : المخطوطة والمطبوعة .
- شعراء إتحاف المطالع :
  - المجموعة الأولى .
  - المجموعة الثانية .
- خاتمة .

مهاد :

سؤال لا بدّ من طرحه، وُفّقنا في الإجابة عنه أو تعذر علينا ذلك :

من لم تُصبه غَوايَة التاريخ ؟ من لم ينْسق لمغرياته ؟ من لم يسلم من شطحاته ؟ لا أعتقد أن باحثاً استطاع أو يستطيع أن يتملصّ من حقنة التاريخ وأدواء المؤرخ .

يستدعي فعلُ الكتابة كيفما كان تحريك همة الذاكرة، واسترجاع مخزونها، والتملّي في رواسبها، لينْشئ على تداعياتها ، ويبني على أساسها صرْحَ عطائه الإبداعي أو العلمي أو التاريخي ، فالذاكرة وعاء التاريخ محطة لا بُدّ من الإرساء عندها مُدداً والانطلاق منها بَدَداً .

هكذا ، نجد أنفسنا مع التاريخ ، رَغِبْنا فيه أم رغبنا عنه، نفيد من مادته ، ونستقي من أخباره، ونحتكم إلى عبره في صبر حيناً، وفي عجلة حيناً آخر .

وعندما يتمكن منّا حُبُّه ، ويستغرقنا عشقه، ننصرف إليه بشغف، تسبقنا عيونُ العاشق، وتستبدُّ بنا لهفة الوامق لتشغلنا بعد ذلك الرقائق لامتلاك الحقائق .

التاريخ هو ذاكرة الإنسان، يحفظ ويستوعب الأحداث ماضياً وحاضراً، وتوَظِّف مَرْوياته بعد اختمارها في الذهن للمساهمة في تشكيل المستقبل ، التاريخ غذاء الفكر والنفس، مادة لا يمكن الاستغناء عنها، يُتوسلُ باللغة لبناء هيكله، ورواية أخباره ، وتوثيق أحداثه، ومن ثم يسعى الإنسانُ إلى استثماره لبناء حياة معقلنة تسمو به عن الخرافة والأسطورة وضلالية الرواية .

مساءلة التاريخ مساءَلة للغة في نصاعتها ومكرها، في حياتها وجمودها، مساءلة التاريخ مساءلة للفكر في يقظته واستقامته، في غفوته واعوجاجه ، ومن ثم فالتاريخ فكر يقظ وعين لاقطة . وحاسة واعية، وما على الإنسان إلا أن يعيش وقائعه ، باعتباره صانعها والفاعل فيها والمستفيد منها .

من هذا المنطلق ، فالحديث عن الذات وعن المستقبل هو امتداد للحديث عن اللحظات الهاربة، وإحياء للذاكرة المسجِّلة، وتثمين للطاقة النابضة، وهو قبلُ وبعد ما يعرف بالتاريخ ذاكرة وخيالاً وعقلاً وأحداثاً ووقائع .

وباعتباري مهتمة بالتاريخ ، تمكن مني داؤه ، وعسر علاجه عليّ أعيش به وفيه، وجدتُ نفسي أبحث في كتبه ومخطوطاته، وأنقب في أوراقه ورقائقه، وأتزود بما يسعفني على بناء دراساتي وأبحاثي ، وأنتفع بمأثور حكمته وفلسفته، ثم لأتتبع فيما بعد خطى أصحابه ورواده وأسْلك نحوهم كل طريق ، لأنتشي بشيئين متلازمين : الفائدة والمتعة .

النقطة الأولى – المحقق :

محمد حجي أحدُ هؤلاء الذين أسعد بمجالستهم والإنصات إليهم ، والاستفادة منهم، لما أجد عنده من حسن استقبال ، وحلو حديث ، وفصاحة لسان، وغزارة علم، وفورة نشاط، وجمّ تواضع .

أديب عَشق التاريخ ، فجال في مسالكه ودروبه وأبحر في شواطئه وخلجانه، مؤرخاً لأحداث بلده ، دارساً لأوضاع زواياه ، مهتماً بتراجم رجاله، محققاً لوفياتهم، بضبط متقن، وحسّ لغوي مرهف، وذوق أدبي راق .

أستاذ لغة يجرفه تيار التاريخ ، فيغوص في لجه، منقباً عن أصدافه وجواهره ، عارضاً لدرره ولآلئه ، بتأني العالم ، ومهارة الباحث، وهدوء المتأمل، واتزان الحكيم، فجاءت كتاباته المختلفة في التاريخ والأدب، دراسة وتحقيقاً، محكمة واضحة، متماسكة شاملة، يقتطف من زهرها المؤرخ والأديب ، ويقتني من دررها اللغوي والفقيه ، ليعم نفعها ويفوح أرجُها في كل وقت وحين .

وعندما انتقل محمد حجي من اللغة والأدب إلى التاريخ يمكن القول، بأنه بدأ هاوياً ، وانتهى محترفاً، فأخلص له الحب ومحضه الودّ، وكشف بأعماله ما رسخ في أعماقه من ازدواجية أحسن توظيفها في كتاباته وتحقيقاته كفاعل في التاريخ ، واللغة والأدب ، وهو كما وصفه صاحب "سلّ النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال" عبدالسلام بن سودة : «الأستاذ العلامة المطلع النابغة سيدي محمد حجي السلاوي» (ج٩/٣٤١١) .

ولعل أول اتصال لي بمحمد حجي كان عن طريق التحقيق المتميز الذي أنجزه والمؤرخ الباحث والفقيه اللغوي أحمد التوفيق لكتاب نشر المثاني للقادري، وكم كنت معجبة بالعمل في دقته وانتظامه ، وتبويبه وسياقه، وضبط مروياته وأشعاره، وطول نفس محققيه في صقل غامضه وتبسيط شائكه، وقد نظرا في التراجم نظرات فاحصة، وأضفيا عليها حياة نابضة، فسهُلت المطالعة، واستثيرت الذاكرة لتقوى على مساءلة صاحب الترجمة عن اهتماماته، ومناقشة آرائه وأقواله، في تأمل العابد، وانبهار المحب، وشغف الولهان .

ولعل ما تلمسته من دقة في ضبط الأشعار ، خاصة في الأجزاء الثلاثة ما زاد في إغرائي بالتاريخ وإعجابي بالمؤرخ، إذ وجدت في تلك الأشعار ضالة طالما نشدتُها، وإثراءً لوجدان طالما سعيت إليه، ففيها من الوجدانيات حيناً، ومن الحكم حيناً آخر ما يرغّب فيها ويدعو إلى الإقبال عليها .

ولا أجد أبلغ نعتاً ولا أدق وصفاً للمحقق من قول الشاعر :

فقـل لمن عنـه غـدا سائلاً
قد جُمعتْ فيه الخصالُ الحسانْ (١)

النقطة الثانية – شعراء إتحاف المطالع :

١– كلمة لا بد منها :

تُعد موسوعة أعلام المغرب باعتبارها قاموس تراجم لمشاهير الرجال المغاربة خلال أربعة عشر قرناً عملاً جباراً لافتاً للنظر مغرياً بالفحص والقراءة لغناها وتنوع مادتها وغزارة معلوماتها وطريقة ترتيبها، فقد لمّ المحقق المنسق شتات تسع مؤلفات بعضها لم يكن معروفاً ولا متداول الاسم، ولا شائع الاستعمال، يجد فيها المؤرخ ضالته والأديب قصده، والفقيه بغيته، وصاحب التراجم طلبه .

إعداد هذه الموسوعة للنشر بتحقيق نصوصها وضبط فهارسها لم يكن عملاً ميّسراً في مختلف مراحله، لذلك فخطو محمد حجي خطواته نحو هذه المغامرة العلمية يُعد له في سجل الحسنات وصكّ المكرمات، حفّزه على الإقدام على

هذه المغامرة منذ السبعينات المؤرخ عبدالسلام بن سودة بنشر بعض كتب الوفيات منها "شرف الطالب لابن قنفذ، ووفيات الونشريسي، ولقط الفرائد لابن القاضي في كتاب ألف سنة من الوفيات" في مرحلة أولى، وبتحقيق كتاب "نشر المثاني" للقادري ونشره مع المؤرخ أحمد التوفيق الذي وهبه الله بسطة في العلم في مرحلة ثانية وبتحقيق هذه الموسوعة وتنسيقها في مرحلة ثالثة .

إن إصرار حجي على النجاح في هذه المغامرة كان أهم أسلحته ، إذ القيام بمثل هذا العمل يستلزم جهود طاقات بشرية متخصصة، ومكافآت مادية مغرية لا يمكن أن تقوم بها جهود فردية في ظروف كظروفنا، خاصة وأن المسؤولين عن الكتاب والثقافة والإعلام في غفلة أو تغافل عن الموضوع .

إنجاز الموسوعة بإخراج أنيق دليل على أن الاعتزاز بالتراث المغربي والعمل على نشره غير موكول إلى أجهزة الدولة القادرة على ذلك . وإنما هو موكول إلى عزيمة الأفراد الذين نذروا أنفسهم للعلم والدرس، وأخذوا العهد عليها لتحقيق مشروعات كبيرة في ميدان إحياء التراث بجهودهم وقدراتهم ووسائلهم المختلفة تحقيقاً لهوية وإثباتاً لوجود .

٢ – كتاب إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لعبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة المتوفى سنة ١٩٨٠م [ولد سنة ١٣١٩هـ – ومات سنة ١٤٠٠هـ] .

تضم موسوعة أعلام المغرب تسعة كتب، بعضها سبق نشره، وبعضها الآخر ينشر لأول مرة .

من بين هذه الكتب التي تنشر لأول مرة ، كتاب "إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع" لمؤلفه عبدالسلام بن عبدالقادر بن سودة، وكان قد قدم نسخة أصلية منه لمحمد حجي لينشره ضمن مشروعه العلمي في السبعينات (٦/١) .

والكتاب كما ينبّه إلى ذلك صاحبه : هو اختصار زبدة الأثر مما مضى من الخبر في القرن الثالث والرابع عشر، وكالذيل على كتاب التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار المائة الحادية والثانية عشر للشيخ محمد القادري» (٣٤٨٩/٩).

يتناول الكتاب كما يذكر حجي : «تراجم شيوخ المؤلف الذين عرفهم عن قرب، وحرّرها مع ذلك مختصرة على نمط التراجم الأخرى محيلاً في كلّ واحد منها على ما في فهرس سلّ النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال» (١٤/١).

وقد ذكر المؤلف ابن سودة في ترجمته بقلمه «أن الكتاب يقع في مجلد، وسيقدم للطبع قريباً» (٣٤٨٩/٩) .

إلى أن طبع الكتاب لم يتم في حياة صاحبه كما وقع مع مؤلفه «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» إذ ينتقل المؤلف إلى عفو الله في ١٢ يوليو ١٩٨٠ بمدينة سلا، وبعد أزيد من خمس عشرة سنة يوفّق حجي في نشر هذا الكتاب ضمن موسوعة أعلام المغرب مُحققاً بذلك رغبة المؤلف في أن يراه مطبوعاً في متناول الباحثين والناس أجمعين، وكذلك إنجازاً لمشروعه العلمي الجاد في نشر كتب تراثية مغربية .

يتألف كتاب «إتحاف المطالع» في الموسوعة من ثلاثة أقسام توزعت في الأجزاء السابع والثامن والتاسع وتضم تراجم عديدة لأدباء وشعراء وفقهاء ومؤرخين وقضاة وغيرهم ابتداء من عام ١١٧١هـ إلى سنة ١٤٠٠هـ، وفي ذلك يقول المؤلف : هنا انتهى بنا القول في تراجم الأشياخ وأهل التبرك حسب الإمكان ، وإني فيما أظن وفيتُ بما وعدتُ به أولاً ... وقد أتيتُ بما انتهى إليه علمي ومعرفتي، وفوق كل ذي علم عليم» (٣٤٨٢/٩) .

أمّا المنهج الذي سار عليه المؤلف في كتابه فهو منهج القادري في كتابه نشر المثاني : «إذ رتبته على السنين كأصله زبدة الأثر مما مضى من العبر في القرن الثالث والرابع عشر» من أول عام واحد وسبعين ومائة وألف إلى عامنا هذا عام سبعين وثلاثمائة وألف [٢] ذاكراً فيه وفاة الشخص في عامه الذي توفي فيه، وبعض التحليات التي رأيته موصوفاً بها على وجه الاختصار والاقتصار ذاكراً تحلية من عاصرتهم واتصلت بهم، أو الذين رأيتُ منْ عاصرهم واتصل بهم، أو ما اتفق عليه في تحليتهم، سواءً كان المذكور من العلماء أو من رجال الصلاح والدين، أو من الوزراء والقواد والباشوات الذين هم رجالُ السياسة،

لأنهم يذكرون في الحوادث السياسية كثيراً، وأشير إلى بعض الحوادث إن كانت مهمة في وقتها، وإن أردت بسط ذلك، والاطلاع عليها على وجه التفصيل، فعليك بمراجعة الأصل كتاب «زبدة الأثر»، ولا شك تجدها إن شاء الله مبسوطة هناك» (٢٣٦٧/٧) .

وحرصاً على أمانة النقل من المصادر المختلفة، يشير المؤلف ابن سودة إلى أنه سيذكرها في آخر الكتاب، يقول: «وأذكر في الآخر إنْ شاء الله أسماء التآليف التي نقلتُ عنها، واستفدت منها، لأني تركتُ النسبة إليها داخل الكتاب طلباً للاختصار» (٢٣٦٧/٧) .

مصادر «إتحاف المطالع» نوعان: مخطوطة ومطبوعة :

يقول المؤلف عن مصادره المخطوطة : «وجلّ هذه المصادر الخطية التي أذكرها الآن، توجد إمّا بالخزانة الحسنية وإما بالخزانة العامة، والكل بالعاصمة الرباط، الأمر الذي صار معه الرجوع إليها والبحث فما سهلاً في متناول الجميع» (٣٥٠١/٩) .

تتوزع المصادر المتحدث عنها بين كتب تاريخية وسير ذاتية ، وكنانيش وفهارس ، وقد حرص حجي على التمييز بين المخطوط منها والمطبوع الصادر إلى اليوم .

– **المخطوطات** : عدد المصادر المخطوطة ثمانية وعشرون ومائة . أشار حجي إلى ما حقق ونشر منها، وعددها اثنا عشر [٣] ، وأشير إلى البعض منها وقد أنجز كرسائل جامعية ، حسب علمي ، بعضها نشر، وبعضها لم ينشر من ذلك : وأستأذن حجي في هذه الإشارة :

* البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية لأبي الربيع سليمان الحوات العلمي الحسني (١١٦٠هـ– ١٢٣١هـ) حققه عبدالرحمن عظيمي وهو مرقون بخزانة كلية الآداب بالرباط . نوقش العمل سنة ١٩٩٣م .

* ثمرة أنسي في التعريف بنفسي للشيخ أبي الربيع سليمان الحوات ، حققه جهاد شداد سنة ١٩٩٥م، مرقون بخزانة كلية الآداب بالرباط [٤] .

* ديوان الشيخ حمدون بن عبدالرحمن ابن الحاج (١١٧٤هـ – ١٢٣٢هـ) : وقد أنجز تحقيقه أحمد العراقي سنة ١٩٩٢م، لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، من كلية آداب فاس ، وقد صدر أخيراً ضمن منشوراتها سنة ١٩٩٤م، في جزأين .

* ديوان الوزير محمد بن إدريس العمراوي ، وحققه الباحث التهامي شهيد، سنة ١٩٨٥م لنيل دبلوم الدراسات العليا وهو مرقون بخزانة كلية الآداب بالرباط .

* مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط لأبي عبدالله محمد بن علي دينية الرباطي ، نشر بعناية السيد مصطفى الغربي سنة ١٩٨٦م .

* النوافح الغالية في الأمداح السليمانية لحمدون ابن الحاج وقد حققه الباحث أحمد العراقي رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بفاس سنة ١٩٨٢م، وهو مرقون بخزانة الكلية المذكورة .

* الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأبي العباس أحمد الشنقيطي وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٦١م بعناية أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية فؤاد سيد أمين كما ذكر محمد حجي .

وقد عمل محمد ولد ماء العينين على تحقيقه كرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا سنة ١٩٩١م، بكلية الآداب بالرباط ، وهو مرقون بخزانتها .

كما تضم المصادر المخطوطة ثلاث عشرة فهرسة، وتسع كناشات، ومجموعة إجازات .

وقد عني المحقق بتصنيف هذه المصادر وترتيبها حسب حروف المعجم والإشارة إلى الباحثين الذين عملوا على تحقيقها، وإلى طبعها وسنة الطبع كذلك .

المصادر المطبوعة :

كان المحقق حجي حريصاً على التمييز بين المخطوط والمطبوع من مصادر "إتحاف المطالع" إذ لم يُميِّز بينها المؤلف ابن سودة إذ كان أغلبها غير محقق، وإن كانت إشارته «وجلُّ هذه المصادر الخطية التي أذكرها» (٣٥٠١/٩)، تؤكد أن هناك مصادر مطبوعة رجع إليها، لكنه لم يكلف نفسه عناء الفصل بين المطبوع والمخطوط، وكان عمل حجي ملبياً لحاجة الباحث في تسهيل مهمته وأداء رسالته .

ويبلغ عدد المصادر المطبوعة محققاً أو معتنى بنشره

سبعة وسبعين كتاباً وفهرستين .

ويختم المؤلف ابن سودة لائحة مصادره بقوله : «هذا ما حضر الآن من ذكر أسماء المصادر التي نقلت عنها واستفدت منها، وربما تركت ذكر أسماء البعض منها، فمعذرة للمطالع ، ومؤلفيها، والله المستعان، وعليه التكلان» (٩/٣١٣ه) .

ويجمع المؤلف ابن سودة بين الاعتزاز بمؤلفه واستيفائه عمله، وبين الاعتذار عما يكون قد أغفله بذكاء وتواضع ، يقول : «وقد وفيت، والحمد لله، الموضوع حقه على حسب ما وقفت عليه من الوفيات، وربما تبحث عن اسم عالم أو شهير فلا تجده مذكوراً في هذه الوفيات وتقول أين هو ؟ فلا تظن أني تركت ذلك عمداً، لأني أقول : هذا ما وصل إليه علمي واطلاعي وبحثي وإنما الإحاطة لله، وفوق كل ذي علم عليم، على أني أدّيت فوق المستطاع على حسب الإمكان والبحث طيلة أعوام وسنين» (٧/٢٣٦٧) .

وبحصافة الباحث، وتيقظ العالم، يأتي دفاع المؤلف ابن سودة عما يمكن أن يعاب عليه في مسرد وفياته وتراجمه وتحلياته، يقول : «كما أنك قد تجد ذكر الرجل وتقول : لا معنى لذكره وأي غرض يدعو إلى ذكره، وما يستفاد من ذلك، فأقول أيضاً : إني وجدته مذكوراً، ذكره الغير فتبعته في ذكره، لأن مشارب الباحثين متعددة، والأفكار مختلفة فربَّ رجل تقول لا معنى لذكره، غيرك يبحث عنه بالخصوص ولا يعنيه غيره لاجل التبرك به مثلاً، وإنْ رأيت نقصاً في تحلية ووصف بعض الرجال، فليس ذلك مقصوداً في حقه وإنما دعا إليه الاختصار، وأذكر في وفاة الرجال كل ما وصلني من أسماء مؤلفاتهم كيفما كان نوعها، لأن ذلك دليل على مقدرتهم وعلمهم حيث تجرؤا على التأليف» (٧/٢٣٦٨) .

٣ – شعراء إتحاف المطالع :

يضم كتابُ «إتحاف المطالع» تراجم عدد كبير من الشعراء بل إنه سجل نادر لشعراء أعلام لم تشر إليهم المصادر، ولا إلى دواوينهم الضائع أغلبها .

لقد ترجم ابن سودة لمائتين وثلاثين شاعراً من طبقات مختلفة ، أبدى رأيه في شعرهم إيجاباً وسلباً، ويمكن تصنيفهم إلى مجموعتين :

– **المجموعة الأولى** : لم تتوفر لديه – فيما يظهر – دواوينها، ولم يطلع على أشعارها المختلفة، فلم يشر إلى الديوان أو إلى المجموعة الشعرية، وإنما ترجم لأصحابها باقتضاب حيناً، وبتفصيل حيناً آخر، بناءً على ما توفر لديه من مصادر وأخبار، وما اطلع عليه من مرويات وأشعار فأبدى رأيه في الشاعر، وحلاّه بنعوت وصفات مختصرة، من ذلك قوله عن الشاعر ابن الونان صاحب الشمقمقية «الشاعر المتفنن المقتدر» (٧/٢٤٠٠)، وعن الشاعر محمد الجيلالي السباعي : «كان شاعراً مجيداً، مفخرة من مفاخر المغرب» (٧/٢٤٦٠) .

ويبلغ شعراء هذه المجموعة مائة وثمانين شاعراً، منهم المشهورون ومنهم المغمورون، منهم من نُعت شعره بالجودة، ومنهم من نُعت شعره بالتوسط في الجودة، ومنهم من كان ينعته بانتحال الشعر، ويمكن تصنيفهم كالآتي :

أ – شعراء نُعتوا بالإجادة في قول الشعر، منهم :

– أحمد بن أحمد الحكمي : ت ١٢٢٦هـ يقول عنه : «كان شاعراً مجيداً مطلعاً» (٧/٢٤٨٥) .

– العربي بن محمد الدمناتي : ت ١٢٥٣هـ «كان علامة مشاركاً بليغاً شاعراً مجيداً» (٧/٢٥٥٥) .

– الفاطمي بن محمد الشبيهي : ت ١٢٥٦هـ «كان علامة مشاركاً شاعراً مجيداً يطيل في القصائد» (٧/٢٥٦٠).

– أحمد الأزموري : ت ١٣٧٣هـ «كان علامة مشاركاً مطلعاً، شاعراً مقتدراً، يجيد الشعر مع فصاحة وإقدام» (٩/٣٢٨٨) .

ويبلغ عدد الشعراء الذين نعتهم بالإجادة في قول الشعر تسعة وأربعين شاعراً .

ب – شعراء نعتهم بالاقتدار والتفنن والإبداع منهم :

– أحمد بن المهدي الغزّال : ت ١١٩١هـ : «وكان علامة مشاركاً أديباً شاعراً مطلعاً، كاتباً مقتدراً» (٧/٢٤١٠).

– إدريس الرندي : ت ١٢٤١هـ : كان أديباً شاعراً مقتدراً» (٧/٢٥٢٤) .

– محمد الأزموري : ت ١٢٨٤هـ «العلامة الأديب المشارك الشاعر المقتدر» (٧/٢٦٣٣) .

– الحسن بن محمد الرنكي : ت ١٣١٢هـ : «العلامة

الأديب المشارك الشاعر المبدع» (٢٨٠٢/٨) .

– محمد بن أحمد الرغاي : ت ١٣١٥هـ : «العلامة المشارك المطلع الشاعر المتفنن والكاتب المقتدر» (٢٨١٣/٨).

– علي بن محمد المسفيوي : ت ١٣١٦هـ : «له نظم بديع، وكلام في البلاغة رفيع» (٢٨١٥/٨) .

ويبلغ عدد هؤلاء الشعراء واحداً وأربعين شاعراً .

جـ – شعراء نُعتوا بالمشاركة والاطلاع منهم :

– الحسن بن إبراهيم الصالحي : ت ١٣٣٦هـ : «كان شاعراً أديباً مطلعاً مشاركاً» (٢٩٠٣/٨) .

– محمد بن علي الصويري : ت ١٣٣٧هـ : «الأديب المشارك المطلع الشاعر» (٢٩٠٩/٨) .

– البشير بن أبي بكر السوسي : ت ١٣٣٧هـ : «كان علامة أديباً شاعراً مطلعاً» (٢٩٠٩/٨) .

– عبدالله بن عبدالرحمن السوسي : ت ١٣٥١هـ : «أديب شاعر مطلع» (٣٠١٣/٨) .

ويبلغ عدد هؤلاء الشعراء أربعة وثلاثين شاعراً :

د – شعراء سكت عنهم ، منهم :

– مصطفى ماء العينين : ت ١٣٢٨هـ : «دولة أشعار وأنظام» (٢٨٦٠/٨) .

– العربي بن صالح الروداني : ت ١٣٣٠هـ : «الفقيه الأديب الشاعر» (٢٨٦٨/٨) .

– علي بن أحمد زنيبر : ت ١٣٣٠هـ : «له أنظام وأشعار» (٢٨٦٩/٨) .

– محمد التريكي : ت ١٣٩٠هـ : «المدرس الأديب الشاعر المؤلف» (٣٤٢٨/٩) .

– محمد بن اليمني الناصري : ت ١٣٩١هـ : «كان أديباً شاعراً سلفي العقيدة» (٣٤٣٠/٩) .

ويبلغ عدد هؤلاء الشعراء واحداً وثلاثين شاعراً .

هـ – شعراء نعتهم بالتوسط في الجودة منهم :

– العربي بن أحمد بنيس : ت ١٢١٣هـ : «له شعر متوسط الجودة» (٢٤٦٢/٧) .

– محمد بن الطاهر الهواري : ت ١٢٢٠هـ : «له شعر متوسط الجودة» (٢٤٧٧/٧) .

– أحمد بن الطاهر : ت ١٢٥٠هـ : «له شعر متوسط الجودة» (٢٥٤٣/٧) .

– محمد بن الهادي غرّيط : ت ١٢٧١هـ : «له شعر متوسط الجودة» (٢٦٠٩/٧) .

– محمد بن عبدالمعطي السرغيني : ت ١٢٩٦هـ : «له شعر متوسط الجودة» (٢٦٦٢/٧) .

– المكي بن المهدي بن سودة : ت ١٣١٧هـ : «له شعر متوسط الجودة» (٢٨١٩/٨) .

وقد بلغ هؤلاء الشعراء الذين وصف المؤلف ابن سودة شعرهم بالتوسط في الجودة تسعة عشر شاعراً .

و – شعراءُ نعتهم بانتحال الشعر : وهم قلة، منهم :

– عبدالقادر بن أحمد شقرون : ت ١٢١٩هـ : «كان يقول الشعر وينتحله» (٢٤٧٦/٧) .

– محمد بن يحيى العقلي : ت ١٣٥٤هـ : «يقول الشعر وينتحله» (٣٠٤٣/٨) .

– العربي بن أحمد البلغيثي : ت ١٣٥٩هـ : «كان عالماً مشاركاً، يقول الشعر وينتحله» (٣٠٧١/٨) .

– إدريس بن عبدالرحمن الشرفي: ت ١٣٦٦هـ : «له الفهم الثاقب، ينتحل الشعر ولكن لا يجيده» (٣٢٢٢/٩) .

– محمد بن محمد قصّارة : ت ١٣٧٤هـ : «كان علامة مشاركاً مطلعاً، يقول الشعر وينتحله، وربما قال الجيّد منه» (٣٢٩٩/٩) .

وعدد هؤلاء الشعراء الذين وصفهم بانتحال الشعر ستة .

– المجموعة الثانية : وتضم خمسين شاعراً، اطلع على دواوين شعرائها، وأبدى آراءه في شعرهم ؛ بل واصفاً في بعض الأحيان طريقة الشاعر في ترتيب ديوانه، من هؤلاء الشعراء :

– عبدالكريم بن عبدالسلام بن زاكور : ت ١٢٠٠هـ يقول : «له السّراج الوهاج في مدح صاحب التاج والمعراج في ثلاثة أسفار، وهو ديوان جمع فيه أمداحه في النبي ﷺ غير مرتب على حروف المعجم» (٢٤٣٤/٧) .

وقد قام بتحقيق هذا الديوان محمد الوهابي رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط سنة ١٩٩٠م، وهو مرقون بخزانة هذه الكلية .

- محمد بن محمد زنيبر اللطام : ت ١٢١٠هـ : «وقفت له على مجموع عليه خط يده، جمع فيه بعض أشعاره، وبعض إجازات أشياخه، وجلّ أشعاره في التوسل بالأولياء والعلماء، يوجد هذا المجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٠١٩ جـ» (٢٤٥٦/٧) .

وتقوم حليمة أوبيدار بتحقيق هذا الديوان كرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط، سجلتها سنة ١٩٩١م .

- حمدون ابن الحاج السلمي : ت ١٢٣٢هـ : «المفسر المحدث الأديب الشاعر المطلع ، له ديوان شعر في مجلدين ، وديوان في الأمداح التي صدرت منه في السلطان المولى سليمان سماه النفحات المسكية في الأمداح السليمانية في مجلد» (٢٤٩٩/٧) .

وقد قام أحمد العراقي بتحقيق الديوانين الأول لنيل دكتوراه الدولة في الآداب سنة ١٩٩٢م، من كلية الآداب بفاس، وقد طبعته الكلية المذكورة ضمن منشوراتها سنة ١٩٩٥م في جزأين، أمّا الديوان الثاني فلا يزال مخطوطاً بعد أن حققه الباحث نفسه لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب فاس سنة ١٩٨٢م، وهو مرقون بخزانة الكلية نفسها .

- محمد بن محمد الحراق : ت ١٢٦١هـ : «العلامة الصوفي العارف بالله، العامل بعلمه، الشاعر المبدع على طريقة التصوف، جمع ديوانه ، وهو مشهور متداول» (٢٥٧٤/٧) .

وتقوم نعيمة بوغرومني بتحقيق هذا الديوان كرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية آداب الرباط، سجلتها سنة ١٩٩٤م .

- أحمد بن خالد الناصري : ت ١٣١٥هـ : «ديوان ما بقي من شعره» (٢٨١١/٨) .

وقد قام عبدالكريم الجعفري بتحقيق هذا الديوان لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٩٦م .

- عبدالقادر بن عبدالله البريبري : ت ١٣٣٢هـ : «له ديوان خاص بالأمداح النبوية، وديوان في شعره المطلق» (٢٨٨١/٨) .

- الطيب عواد : ت ١٣٣٦هـ : «وله ديوان شعر حافل في مجلد، وهو من جيّد الشعر» (٢٩٠١/٨) .

وتقوم كنزة العلمي بدراسة شعر الطيب عواد كرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، مسجلة بكلية الآداب بالرباط ، سنة ١٩٩١م .

- عبدالله بن العباس القباج : ت ١٣٦٤هـ : «الشاعر المطبوع والفحل المعروف، سيّال القريحة المكثر المجيد، له مساجلات طوال مع جلّ فحول وقته وشعراء إبانه، وله الغرر الفريدة مدحاً وهجواً، وأخبرتُ أن له دواوين أكبرها في مجلدين» (٣١٩٣/٩) .

وقد أنجز عبدالقادر فراجي رسالته الجامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية آداب الرباط سنة ١٩٨٨م حول شعر عبدالله القباج : دراسة، والرسالة مرقونة بخزانة الكلية نفسها .

- الطاهر الإفراني : ت ١٣٧٤هـ : «العلامة المطلع، الشاعر المبدع، تكون تكويناً متيناً في اللغة والأدب والفقه، وطارت شهرته في أرجاء سوس، وله أشعار كثيرة، تخرج في ديوان كبير» (٣٣٠٠/٩) .

وقد أنجز الباحث عبدالله الدرقاوي رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا حول : الطاهر الإفراني : حياته وشعره، بكلية آداب الرباط سنة ١٩٨٥م . وهي مرقونة بخزانة الكلية نفسها .

- عبدالرحمن حجي : ت ١٣٨٤هـ : «العالم اللغوي، والأديب المشارك، الشاعر المبدع الشهير، له ديوان شعري حافل» (٣٣٨٨/٩) .

وقد طبع ديوان الشاعر حجي أخيراً سنة ١٩٩١م بإشراف لجنة من العلماء من بينهم محمد حجي ومحمد ابن شريفة والمرحوم محمد زنيبر والشاعر مولاي علي العقلي . وقد صدرت طبعة الديوان عن دار الغرب الإسلامي ببيروت .

- محمد بن اليمني الناصري : ت ١٣٩١هـ : «كان أديباً شاعراً، سلفي العقيدة» (٣٤٣٠/٩) .

والملاحظ أن ابن سودة لم يشر إلى ديوانه، وقد قام

بجمع شعر الناصري ودراسته عبدالحق بنطوجة كرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، من كلية آداب الرباط، سنة ١٩٩١م، وهي مرقونة بكلية الآداب ، الرباط .

كما قام أبناء الشاعر الناصري بطبع ديوان أبيهم سنة ١٩٩٤م، بدار الصفوة، الغردقة ، مصر، تحت عنوان: «ديوان أبو الشعور : محمد بن اليمني الناصري» .

خاتمة :

من خلال قراءة متأنية لكتاب إتحاف المطالع يمكن إبداء الملاحظات الآتية :

* خلوّ الكتاب من نماذج شعرية لمختلف طبقات الشعراء الذين تحدث عنهم، ووصف شعرهم بالجودة أو التوسط أو الانتحال، خاصة وأنّ الكتاب تكملة لنشر المثاني للقادري، ففي هذا الكتاب نماذج شعرية كثيرة لا بأس باختياراتها .
* سعةُ اطلاع المؤلف ابن سودة على إنتاجات معاصريه وعلى وقوفه على أشعار مترجميه .
* علاقاته الجيدة بشيوخه وأصدقائه، وفَّرت له سبل جمع هذا الكم الهائل من التراجم .
* حرصه على التنبيه إلى الإهمال الذي يعاني منه الشعر المغربي، إذا نجده يكرر في تراجم كثيرة قوله: «لو جمع شعره لأفاد» وقد تكررت العبارة في تراجم شعراء منهم :

– زين الدين بن رضوان : ت ١٢٤٠هـ – (٢٥١٩/٧) .
– إدريس بن محمد العمراوي: ت ١٢٩٦هـ – (٢٦٦٣/٧).
– محمد بن المسطاري : ت ١٣٠٥هـ – ٢٧٧٣/٨ .
– العربي بن محمد الحامي الدرعي : ت ١٣١٠هـ – (٢٧٩٢/٨) .
– محمد بن عبدالله البدراوي : ت ١٣٤٧ – (٢٩٧٨/٨) .
– عبدالله بن عبدالسلام الفاسي : ت ١٣٤٨هـ – (٢٩٩٣/٨).

* أنه كان معجباً بطريقة الأندلسيين في الشعر، فنجده ينعت بعض الشعراء بقوله : «شاعر مكثر على طريقة أهل الأندلس»، من هؤلاء :

– محمد بن أحمد أكنسوس : ت ١٢٩٤هـ – (٢٦٥٦/٧).
– محمد بن عبدالقادر بن موسى : ت ١٣٠٠هـ – (٢٦٧٩/٨) .
– عبدالكريم بن العربي بنيس : ت ١٣٨٠هـ – (٣٠٠٤/٨).
– العباس بن عبدالرحمن الشرفي : ت ١٣٥٩هـ – (٣٠٧٥/٨) .
– عبدالهادي بن محمد بن سودة : ت ١٣٧٠هـ – (٣٢٦٠/٩) .
– محمد الناصري : ت ١٣٧١هـ – (٣٢٧٦/٩) .
– محمد بن عبدالكبير ابن الحاج السلمي : ت ١٣٧٨هـ – (٣٣٣٦/٩) .
– عبدالرحمن العلوي : ت ١٣٨٤هـ – (٣٣٨٦/٩) .

كتاب «إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع» سفر ثمين أغنى المكتبة المغربية، وقدم لنا ببليوغرافيا دقيقة عن الشعراء المغاربة على اختلاف مشاربهم وتنوع اتجاهاتهم، كما أن عمل المحقق محمد حجي عمل يدعو إلى المتابعة بتقديم دراسات عن هؤلاء الشعراء إن لم تكن مجموعة في ديوان ... وبذلك نستطيع التعريف بشعراء المغرب الأقصى وتقديم دواوينهم وأشعارهم لمختلف القراء والدارسين في العالم العربي والإسلامي .

الهوامش

١ – إتحاف المطالع ، جـ٧، ق ٢٥٤١/١ .

٢ – إشارة لم يتقيد بها المؤلف ، إذ استمر في كتابة تراجم إتحاف المطالع إلى سنة وفاته ١٤٠٠هـ ، وقد نبه إلى ذلك المحقق في الهامش ١٥، من الجزء ٩، ص٣٥١٣ .

٣ – انظرها في ثبت مصادر إتحاف المطالع ٣٥٠٢/٩ – ٣٥٠٩ .

٤ – صدرت بتحقيق عبدالحق الحيمر، سنة ١٩٩٦م .

مجموعة "عسل الشمس" لفؤاد قنديل

دراسة موضوعية وفنية

حسين علي محمد

كلية اللغة العربية بالرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة :

هذا بحث يهدف إلى رسم صورة أمام القارئ المتخصص، ومن ثم القارئ العادي، بشأن فن القصة القصيرة عند فؤاد قنديل، من خلال دراسة مجموعته القصصية "عسل الشمس" : دراسة موضوعية وفنية .

وفؤاد قنديل واحد من أبرز أدباء جيل السبعينات في كتابة القصة القصيرة والرواية، وهو قد نشر إنتاجه في القصة القصيرة في معظم الصحف والمجلات الأدبية المصرية والعربية، وله ست مجموعات قصصية هي "عقدة النساء" (١٩٧٨م)، وكلام الليل" (١٩٧٩م)، و"العجز" (١٩٨٣)، و"عسل الشمس" (١٩٩٠م)، و"شدو البلابل والكبرياء" (١٩٨٩م)، و"الغندورة" (١٩٩٦م) ... وله قصص أخرى لما تُجمع بعد في مجموعات .

وقد ظفر إبداعه في القصة القصيرة بمقالات للدكاترة والأساتذة : عبد القادر القط، ورجاء عيد، وصابر عبد الدايم، وصبري حافظ، وعلي الراعي ، وخليل أبو ذياب ، وأحمد زلط، ومحمد السيد عيد، وإبراهيم فتحي، وحامد أبو أحمد، ويسري العزب، ومصطفى كامل سعد ، وسمير درويش ... وغيرهم. إلا أن أحداً من الذين كتبوا مقالات عن مجموعاته القصصية ، لم يُخصص دراسة أدبية لمجموعة "عسل الشمس" تدرسها موضوعياً وفنياً ، مما جعل الباحث يُفرد لها هذه الدراسة التي تقع في فصلين :

الفصل الأول بعنوان: الدراسة الموضوعية، ونتعرّف من خلاله على أهم القضايا التي تطرحها هذه المجموعة من خلال ثلاثة عناوين كبرى، هي القرية / السلطة / الآخر.

والفصل الثاني بعنوان: الدراسة الفنية، ونتناول فيه الخصائص الفنية لهذه المجموعة، من حيث:

١ - شاعرية اللغة.

٢ - التجسيم .

٣ - التضخيم .

٤ - المفارقة التصويرية (الجزئية والكلية).

٥ - الرمز .

تلي ذلك الخاتمة التي تضم النتائج التي تتوصّل لها الدراسة، ثم قائمة المصادر والمراجع .

نرجو أن يكون هذا البحث لبنة في صرح الدراسات الأدبية المعاصرة، وأن يضيف شيئاً إلى الدراسات الأدبية في فن القصة القصيرة الذي مازال يحتاج إلى دراسات كثيرة في الظواهر الموضوعية والفنية، بعد أن توجّه معظم الدارسين للفنون السردية إلى الرواية بوصفها "ديوان العصر الحديث" كما يقولون .

الفصل الأول : الدراسة الموضوعية .

تضم مجموعة "عسل الشمس" لفؤاد قنديل[1] تسع قصص قصيرة، يتراوح طول القصة الواحدة بين أربع صفحات وعشرين صفحة، باستثناء القصة الأخيرة "ليلة يهودية" التي تقع في تسع وعشرين صفحة .

وهذه القصص جميعاً كُتبت ونُشرت بعد هزيمة

١٩٦٧م، وقد "أعادت هذه الهزيمة بعض الكتاب إلى واقع الحياة في مجتمعهم، وفتحت عيونهم على كل سلبياته، وأعادت إليهم الروح كي يتم الالتحام من جديد بالمشروع الوطني والقومي، وبقضايا المجتمع المصري، سعياً وراء وضع حد لما أصبح عليه بعد يونيو ١٩٦٧م"(٢)، ومن هؤلاء الكتاب فؤاد قنديل في هذه المجموعة.

وقصص مجموعة "عسل الشمس" تُعالج مشكلات الإنسان الصغير كالبائعة، والعسكري، والطالب، والمسافر في بلاد الله بحثاً عن الرزق، والعجوز التي تريد أن تعيش الباقي القليل من عمرها في أمان ودفء عاطفيين بين أبنائها وأحفادها، ويمكن إدراج هذه القصص جميعاً تحت عنوان رئيس هو قصص المهمّشين، كما يمكن عرضها موضوعياً تحت ثلاثة عناوين كبرى، هي القرية / السلطة/ الآخر. وهذه العوالم الكبرى التي تطرحها المجموعة تتداخل، وتتشابك أحياناً، وتتصادم في غالبية أحوالها:

١ - القرية :

"ظل الريف - على محدودية عمر أدبنا القصصي - منبعاً لإلهام القصاصين والروائيين، وقد عكست صوره واقع الملايين المغمورين في قراه ونجوعه"(٣)، ويتضح هذا في إبداعات: يحيى حقي، ومحمد عبد الحليم عبد الله، وثروت أباظة، وعبد الرحمن الشرقاوي، ويوسف إدريس، وعبد العال الحمامصي، وعبد الحكيم قاسم، وبهي الدين عوض ... وغيرهم .

ويظفر عالم القرية باهتمام فؤاد قنديل الإبداعي، فقد سبق أن عالجه في رواية "عشق الأخرس"(٤)، وبعض قصص مجموعته "العجز"(٥) وفي غيرها من أعماله الإبداعية - في الرواية والقصة القصيرة - التي سبقت هذه المجموعة، وهو في هذه المجموعة يتناول عالم القرية من خلال ثلاث قصص يُمكن أن نسميها "ثلاثية بهانة" حيث تظفر "بهانة" - تلك الفلاحة والبائعة الصغيرة للخضر- بثلاث قصص من هذه المجموعة هي "أمنيات بهانة" و"عصر بهانة" و"ابن بهانة".

أ - أحلام الهامشيين:

يقول نجيب محفوظ: "أي موضوع للفن بصفة عامة قد سبق أن طرقه الفن ، وكل موضوع بالنسبة للفنون جميعاً استُهلك أكثر من مرة ، إلا أن المسألة ليست بهذه البساطة ، فالمستَهلَك يتجدّد كما تتجدّد الحياةُ نفسُها، والجديد دائماً ليس هو الموضوع الذي لم يُطرق من قبل ، بل هو الفنان ، والفنان إنسان وعصر وحضارة ، وكل جيل يُعطي وجهة نظره في موضوعات ثابتة في جميع الأزمان"(٦).

وفي كتابة فؤاد قنديل عن القرية تتمثّل إضافة فؤاد قنديل في اهتمامه بالهامشيين، ونقصد بأولئك الهامشيين الأفراد العاديين وهم الشخصيات "التي تسلك سلوكاً لا يتسم بالشذوذ أو الغرابة، ولا يُصيب تكوينها الجسمي والنفسي والفكري ضرب من التشويه أو عدم الإلف ... وهي قد تُرسم من الخارج والداخل معاً، وقد يُكتفى برسمها من الخارج فقط، وقد يهتم المؤلف بإحدى تلك الشخصيات فيمنحها تفرداً وتميزا ظاهرين، عمن حولها، وذلك إذا أراد لها أن تلعب دوراً هامّاً في أحداث القصة، رغم أنها تظل في الغالب أنماطاً"(٧) .

وتتمثّل أحلام الهامشيين - من الفلاحين الفقراء الذين تُصوِّرهم مجموعة "عسل الشمس" - في الستر، الذي يتمثل في بيع المحصول القليل الذي تنتجه الأرض التي يزرعها الفلاح الصغير (أو الفلاحة الصغيرة) بالإيجار، أو الحصول على عشاء دسم مجاني في وليمة سنوية يُقيمها العمدة، أو العودة إلى القرية سالماً من المدينة. وهي أحلام متواضعة، قد تتحقق أحياناً بعد معاناة ومكابدة !

ففي القصة الأولى "أمنيات بهانة" يصور فؤاد قنديل هذه البائعة للخضر في بؤسها وفاقتها ورحلتها اليومية لبيع الخضر في سوق بنها، وهذه البائعة الفقيرة تُعاني من مطاردة العسكر لها، رغم أن زوجها عسكري في الأمن

المركزي بالقاهرة وذو ثلاث شرائط .

وتتصاعد أحداث القصة وتنمو مع أحداث يوم مهمة، ولحظة كاشفة في حياة هذه الفلاحة البائعة (بهانة)، متمنية أن يُعوِّضها الله عن شقائها وكدِّها ومعاناتها برؤية زوجها عائداً برتبته الجديدة (الشريطة الثالثة)، وابنها جلال (الطالب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية) الذي سيعود إلى (كفر سندنهور) أيضاً اليوم .

ويصور القاص "بهانة" في صورة المكافحة العنيدة؛ فهي وحدها تزرع ربع فدان أجّرته بنفسها، وتبيع بنفسها محصوله الذي لا يكفي مع مرتّب الرجل كي يأكل أولادها ويلبسوا كما تتمنّى لهم. وهي منذ الصباح الباكر تُغادر قريتها (كفر سندنهور) المتاخمة لبنها، وتحمل حزم الجرجير والكرات والبقدونس الصغيرة في قفة على رأسها، وذراعها اليمنى تحرسها من الوقوع، بينما تحتضن رضيعها بالذراع اليسرى[8].

وأحلامها – كأحلام المهمّشين – صغيرة، إنها تحلم بمجرّد مكان صغير آمن في السوق تبيع فيه محصولها اليومي من الخضرا :

"طوال الطريق لم تبرح رأسها خريطة السوق وتضاريسه، والمكان الذي تودُّ لو يُسعدها الحظ وتحط فيه اليوم. إنه ركن صغير، لكنه قريب من الباب ويسهل رؤيتها فيه. أكبر مشكلة في حياتها أنها لا تستطيع أن تُحافظ على هذا الركن كل يوم، فهي لا تلحق به يومين متتاليين، رغم تفكيرها الدائم فيه طيلة النهار وأثناء النوم، ورغم تبكيرها بالخروج لتقطع هذا المشوار الطويل من (كفر سندنهور) إلى (بنها) .. دائماً هناك من ينقض عليه، وليس لديها عربة يد أو أي شيء تتركه في الركن يحرسه لها حتى تجيء"[9] .

ولكن العسكري سليم – هو أيضاً عسكري كزوجها محفوظ – يعبث بأحلامها، فـ"فجأة هبّت العاصفة، وقبل أن تنحني على مالها تحميه وتستنقذه كان الحذاء الرهيب قد بعثر القفة على الطريق، وتمزّقت الحزم في التراب ... انتهت المأساة في ثوانٍ، وبقي لبهانة الخد فوق اليد، والقلب المفتت"[10] .

وفي القصة الثانية "عصر بهانة" تحلم بهانة بأن يحصل زوجها على الشريطة الثالثة، وتنتظر اليوم الذي يتخرّج فيه ابنها جلال من الجامعة (من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية) ليعمل بعد ذلك مباشرة في وزارة الخارجية، وتستدعيها "الحاجة صفية" (زوجة العمدة) لمساعدتها في طهو العشاء السنوي الذي يقيمه العمدة، وهي فرحة، لأنها بعد هزيمتها في المدينة وضياع محصولها اليومي ستستطيع أن توفِّر العشاء لأفراد الأسرة[11].

ولكن زوجها محفوظ يعود من المدينة جريحاً (مُصاباً لأول مرة في المظاهرات التي ألِف تفريقها)، وتعود بهانة إلى البيت لتطمئن على زوجها :

"عرفت بهانة القصة، واطمأنت عليه .. ساعدته في خلع ملابسه .. تركته يرتاح، وعادت إلى الحاجة صفية حتى لا يفقدوا عشاءً دسماً .. قالت له :

- ابعث لي العيال بعد المغرب"[12] .

ولعل الكاتب بتصويره الصادق لجوانب مختلفة من شخصيات متميزة مثل شخصيتي "بهانة" و"محفوظ" أوجد شخصيات قصصية متميزة، ليس من السهل على أي دارس للقصة المصرية القصيرة أن يتجاوزها ويمر عليها دون أن يتأمّل في ملامحها وقسماتها الفنية التي ستبقى وقتاً طويلاً، ولمثل هذه الشخصية المتميزة يُشير توفيق الحكيم بقوله :

"قوة الخلق الفني لشخصية قصصية لا تكون فقط في حياتها المتدفقة النابضة داخل القصة نفسها، بل في حياتها خارج القصة، في حياتها الممكن استمرارها على وجوه أخرى في أرؤس الناس"[13] .

وفي القصة الثالثة "ابن بهانة" يحلم جلال (ابن بهانة) أن يصل إلى قريته من القاهرة يوم الخميس، حتى يقضي أجازته الأسبوعية مع الأسرة، وهو مستعد

للمصاعب التي ستقابله في وسيلة المواصلات المتمثلة في العذاب الذي سيلقاه في القطار.

يقول السارد في استهلال القصة :

"عمل حسابه أن يصل إلى المحطة قبل موعد قيام القطار بنحو ساعة .. أصبح على ثقة أن يوم الخميس هو بروفة حقيقية – مسرحها القطارات – ليوم الحشر، وعلى ثقة – أيضاً – من أن العائد إلى بلده في هذا اليوم ليس لديه مانع من التعلق بأي حديدة في القطار، فركوب قطار مزدحم ليس مشكلة، والصعود على سطحه ليس مشكلة، والاكتفاء بالتعلق بمقبض الباب لا يأباه أحد أو يخشاه، والانحشار بين العربتين ليس أمراً صعباً. كل أطراف القطار صالحة لأن تحمل المشتاق إلى أرض له فيها أهل وميلاد .. والناس في بلادنا يتعوّدون بسرعة ويرضون بالموجود"(١٤).

وقد سألت القاص فؤاد قنديل في حوار أجريته معه(١٥) "لطبقات المهمشين في البيئات الشعبية والريفية حضور ملحوظ في قصصك القصيرة ورواياتك، فهل هذا مقصود؟ أم أنه مجرد تصوير لبيئة ولدت فيها وتعيش بين أحضانها؟" فأجاب:

"هما الاثنان معاً :

أولا : يقتضي الصدق أن أنهل من بيئتي، وعسير أن أؤسس لبيئات جديدة خاصة مع الأسلوب شبه الواقعي أو الذي يعتمد الواقع عالماً ومادة أساسية يُحاول أن يفجِّر الكاتب فيها ينابيع الجمال والتميز.

ثانيا : لأن هذه المجتمعات تمثل عالماً مناسباً بالفعل لمناطق عملي في بعض الروايات، وتنسجم مع طبيعة تفكيري ورؤيتي لمشكلات أمتي التي لا أُخفي تعاطفي معها، وانشغالي الدائم بها.

والكتاب في هذا السياق يختلفون، فقد يكون من بينهم من تعنيه أمور واقعه، لكنه لايكتب فيها!، وآخر مهموم بها، لكنه لا يحاول أن يجعل من كتابته ساحة لهذه الهموم، وهكذا أنا أحاول أن أقدم هذه العوالم الاجتماعية للقارئ من خلال رؤية جديدة، تتنوع معها الأساليب بين المباشر وغير المباشر، المعقول واللامعقول، المتفائل والمتشائم حسب نوع ولون المياه التي يحتويها الإناء"(١٦).

ب – القرية في مواجهة المدينة :

يقول تشارلس مورجان في تعليقه على علاقة المبدع بمجتمعه :

"إن العلاقة بين الفنان والمجتمع هي من ناحية علاقة ثابتة لأنها تنبع من طبيعة الفن وطبيعة المجتمع نفسه، ومن ناحية أخرى علاقة دائمة التغيير، من حيث إنها تنبع من تغيرات في الممارسة الفنية، وفي الأشكال التي يتخذها المجتمع في العصور المختلفة"(١٧).

والقاص يُحاول أن يوظف مادة قصصه التي أخذها أو استقاها من واقعه "لطرح رؤاه وأفكاره الذاتية ومواقفه تجاه هذا الواقع والإنسان وبخاصة في القضايا الي تتعلّق بكثير من مشكلات وأزمات الحياة المعاصرة"(١٨) التي يُعايشها، ويُعاني منها، وله فيها رأي.

وقد ظل فؤاد قنديل يعيش في قريته – بعد تخرجه وعمله في القاهرة – ومن ثم فقد حاول أن يرصد هذه العلاقة – من خلال احتكاكه اليومي بالقرية والمدينة – في كثير من قصص مجموعة "عسل الشمس".

تبدأ ثلاثية بهانة بقصة "أمنيات بهانة"، وهي بداية موفقة تُرينا المرأة التي تقصد المدينة لبيع خضراواتها في السوق، وتبدأ بالعبارة التالية: "لم يبق حتى تبلغ المدينة غير كيلو متر واحد"(١٩)، وكما يقول صبري حافظ "كأنه (القاص) يُريد أن يُثبِّت موقعها من المدينة، ويحرص على بقائها خارجها، فسوف تهل عليها من المدينة كل النكبات، فالمدينة ... سرُّ أزمة بهانة وهي مصدر كل مصائبها"(٢٠).

– ففي المدينة فشلت"بهانة" في أن تحصل على موضع قدم آمن في السوق تبيع فيه الخضر، وضاع محصولها اليومي من الخضر، وانتهكت أحلامها تحت

أرجل "سليم العسكري"، ولم تستطع أن تعمل شيئاً وهي ترى أحلامها تتناثر على الأرض مختلطة بالتراب (قصة "أمنيات بهانة").

– ومن المدينة عاد زوجها جريحاً منهك القوى، وهو يفض مظاهرة من المظاهرات التي تعوَّد على فض الكثير من أمثالها أثناء عمله بالأمن المركزي، وكاد يُفقدها العشاء الدسم الذي ستحصل عليه – هي والأولاد – من الوليمة السنوية التي تُقيمها الحاجة صفية زوجة العمدة (قصة "عصر بهانة").

– و"جلال" الطالب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – ابن محفوظ وبهانة – العائد من المدينة إلى القرية في القطار المزدحم، بعد أسبوع من الدراسة والتعب في القاهرة، تُطارده الرائحة الكريهة المنبعثة من رِجل العسكري النازلة فوق رأسه (قصة "ابن بهانة").

وهكذا يكون الملمح الأساس من ملامح "ثلاثية بهانة" هو إبراز المفارقة بين القرية والمدينة، ونجد "التوتر بين القرية والمدينة من عناصرها التكرارية الأساسية"[٢١].

ج – قيم القرية ترفض السقوط:

البطل في قصص هذه المجموعة يحمل القرية تحت جلده، ومشاهدها لا تُفارقه، وقيم الإيمان والعمل والكسب الحلال – التي أكسبته إياها القرية – تحمي من يُفكِّر بالسقوط.

يقول السارد في قصة "ليلة يهودية"، وهو يُقاوم السقوط الذي يتهدده على أيدي الفتاة الجميلة بإغرائه لخيانة الوطن:

"تذكَّرت قريتي المسكينة التي تقبع راضية أو مكرهة على بعد من المدينة مقداره خمس كيلو مترات من التراب .. طال دورانها حولي وإلحاحها عليَّ.

أيتها القرية الطيبة !

يا أطيب قرى العالم .. أرجو أن تصرفي عني الآن تذكاراتك الأثيرة .. اطمئنِّي فمنقوش في صدري إلى الأبد عرق حواريك المظلمة وصفصافتي وأرضنا الصغيرة والبهائم وأكوام السباخ والطيور الوديعة والأشجار الحنون.

حصى السيجة، وزفة المولد، والعيش السخن، ومقام سيدي أبو نوار .. حياء النساء وأسرارهن .. حكمة جدي وسيرة عنترة والهلالية وبيبرس وهوجة عرابي ومشية أبو قردان ونوتر الهدهد وقفز الأرنب وصوت الخفافيش في الطاحونة المهجورة وزحام المتسولين أمام السيد والسيدة.

اطمئني فما زالت بأنفي طيوب المساجد، وأمام عيني الآن قدما أبي المشققة، وديوكنا الرومية تتهادى في صحن الدار وضحكاتها المتغطرسة تُجلجل إذا الصمت ساد، وألفونس الذي كان في رمضان يصوم معي.

يا صاحبةَ القلب المتأجج دوماً بالشوق إلى الأحباب .. لا تخافي .. لن تُحرِّضني البيضاء الجميلة عليك .. ولا تخشي عليَّ شيئاً من دهشتي، أنا كما عهدتني أسلمها لله فسلميها .. لن أقطع حبلي السري"[٢٢].

إنه يتذكَّر تلك اللحظات الصغيرة المُترعة بالحياة التي تمرُّ به في قريته، والمحفورة في وجدانه، ومنها هذه الصور المؤثرة:

– عرق الحواري الصغيرة .

– ألفونس – النصراني – الذي يصوم رمضان مع المسلمين إشارة إلى الالتحام الوجداني بين عنصريْ الأمة من المسلمين والأقباط.

– طيوب المساجد.

– قدما أبيه المتشققتان (تعبيراً عن المجالدة في العمل والشقاء فيه).

وكأن هذه الصور البسيطة تمنعه من السقوط، أو تحفزه إلى المقاومة.

يرتفع رمز القرية في النهاية كما في قوله " لن تُحرِّضني البيضاء الجميلة عليك .. ولا تخشي عليَّ شيئاً" ليصير رمزاً لمصر كلها، وخيانة القرية إذن خيانة لمصر جميعاً.

وهي قطعة وجدانية عذبة جاءت في مكانها،

كأنشودة في حب القرية التي يرجو أن يظل وفياً لها، وكأنه يعاهدها ألا يسقط في فخاخ الأعداء، المنصوبة حواليْه من كل الجهات.

٢ - السلطة :

يبدو هاجس السلطة مهيمناً على عالم فؤاد قنديل القصصي، فلا تخلو مجموعة قصصية من مجموعاته الست - كما لا تخلو رواية من رواياته - من الإشارة إلى السلطة، وتعرية مواقفها الباطشة وغير العادلة.

في قصة "أمنيات بهانة" ينحاز سليم العسكري إلى تاجر الخضراوات الكبير، بينما يُطارد البائعة الصغيرة بهانة:

"لاحت منها نظرة ناحية الحاج إبراهيم تاجر الخضراوات الكبير .. أهم رجل في السوق، الكل يعمل له ألف حساب .. كان يجلس كعادته في صدر دكانه وأمامه البوري. بعد لحظات ظهر سليم العسكري .. تقدّم من الحاج إبراهيم وحياه تحية عامرة بالقشدة والفل والسعادة.. رد الخضري بغير عناية"[٢٣].

إن سليم العسكري يتزلّف إلى التاجر الكبير، الذي يتثاقل عليه، ويُعامله بغطرسة، بينما "بهانة" الفقيرة الضعيفة تحلم بمكان آمن، وتدعو الله في سرها أن يجنبها شر سليم، وأن يسترها معها هذا اليوم[٢٤]، ولكن العسكري الذي لا يحمل للصغار شفقة أو رحمةً أو مودة انطلق كالإعصار، وبعثر بضاعتها الصغيرة في التراب :

"فجأة هبّت العاصفة، وقبل أن تنحني على مالها تحميه وتستنقذه، كان الحذاء الرهيب قد بعثر القفة على الطريق، وتمرّغت الحزم في التراب"[٢٥] .

-ومحفوظ زوج بهانة (العسكري أبو ثلاث شرائط) - الذي يعمل في الأمن المركزي - نموذج آخر للمتسلّط الصغير في قصة "عصر بهانة"، فرغم أن زوجته تُعاني في سوق الخضر ببنها من تسلط سليم إلا أنه يُمارس تسلطه وجبروته على المتظاهرين الصغار من الطلبة والعمّال، ويصفه السارد وصفاً مؤثراً كرمز للطغيان والجبروت:

"نال محفوظ شهرة كبيرة في تفريق المظاهرات. أي مظاهرة مهما بلغ حجمها ودرجة هياجها كان قادراً على صدّها والسيطرة عليها، وإصابة عدد كبير من رجالها، وأسر عدد أكبر.

أصبحت خبرته ومهارته العالية في هذا النوع من العمل البوليسي مضرب المثل، وقد ساعدته ضخامته وخفة حركته وتوقُّد ذهنه وشجاعته .. وهذا كله كوم وقناعته التي لا تهتز بأن المظاهرات تمثيليات كوم آخر.

هو واثق تماماً أن المتظاهرين في كل أنحاء العالم وبخاصة في مصر قبضوا مبالغ لقاء هتافاتهم التي لا يفهمون معناها ولا يقصدونها، وأن وراءهم فئة كل مرادها زعزعة النظام وتعويق الإنتاج.

على أية حال باستطاعة محفوظ أن يقتحم أية مظاهرة وأية معركة مدنية ويسيطر عليها ويبهر رؤساءه بقيادته للجنود ورفضه استعمال القنابل المسيلة للدموع إلا في المظاهرة الضخمة التي لا تستطيع سوى الدبابات السيطرة عليها.. ساعتها يمكن أن يستخدم المسيلة، وهو لا يرفضها رحمة بالشباب الغض والمُضلّل، لكن التعجل باستخدامها إقرار بعجزه"[٢٦].

ويجعل فؤاد قنديل من الطاغية الصغير - محفوظ - نموذجاً للطغاة الشاذين الذين هم في حاجة إلى التحليل النفسي للكشف عن كوامن عللهم (وكأنه يقول إن الطغاة مرضى!)، فيصف "محفوظا" بأنه يجد في عمله هذا (أي ضرب المتظاهرين والعبث بالمتمرّدين، بنص تعبير القاص) لذة لايجد مثلها في حضن "بهانة" زوجته!. يقول السارد:

"ومحفوظ لا يعتبر نفسه موظفاً، ولا يتعامل مع المهام التي تُطلب منه بوصفه عاملاً رسمياً يتقاضى لقاءها راتباً، ويجب أن يُحلّه، ولكنه يتعامل معها من منطلق الهواية والمزاج الشخصي، فهو يجد في فض المظاهرات والإمساك بالمجرمين والعبث بالمتمردين من أي صنف ولون لذة شخصية وغالباً لايجد مثلها عند بهانة ولا في حضن أولاده".

ويُحاول محفوظ في النص أن يكون فاهماً للأمور مبرراً لما يفعل، ويُدافع عن فهمه المغلوط للأمور، في الحوار الذي أجراه معه أحد الصحفيين، وتحس منه أن أحد الضباط لقّنه إياه فهو يحفظه عن ظهر قلب. وقد أحسن السارد حينما نقل لنا فقرات منه، ليُرينا كيف يُفكِّر جنود الأمن المركزي:

"سألت الشاويش محفوظ: ألست تقف ضدّ الشعب لأن العمّال أو الطلبة يتظاهرون من أجل مطالب شعبية مشروعة؟

رد محفوظ في ثقة: لا تُصدِّق هذا .. هؤلاء الطلبة والعمال مجرّد أدوات .. هناك زعماء كبار وبالتأكيد شيوعيون يدفعونهم لهذا .. والذين يُنفِّذون المظاهرات زعماء أيضاً، ولكنهم يختصون فقط بالتنفيذ والتحكُّم في المجاميع وتوجيهها.

توجد إذن ثلاث فئات تتعاون في صنع المظاهرة: مفكّرون أو مُخطّطون، مقاولو[٢٧] أنفار أو منفذون، ثم وقود المظاهرة أو أدواتها. والفئة الثالثة عادة تكون كالطوبجي الأعمى يُهاجمون بلا وعي، ويُردّدون هتافات محفوظة وفي أكثر الأحيان تكون الفئات المؤيدة للمظاهرة أربع فئات إذا أضفنا إليها الفئة المولة .. داخلية أو خارجية.

– المموّلة؟

باندفاع قال محفوظ:

– نعم .. التي تُنفق على المظاهرة.

سألته :

– طبعا المسألة تتضمّن أجوراً للمتظاهرين وانتقالات، وربما يحتاجون إلى معدّات حسب الغرض من المظاهرة.

بدا محفوظ متحمساً وهو يتحدث .. يتكلّم بلسانه وعينيه ويديه ورجليه وشاربه الكث .. كل عضلاته وأعصابه تشترك في الحوار، فقرّرت أن أخفف عنه فسألته :

– ماذا تفعل لو وجدت عيالك في البيت ثائرين؟

.. ابتسم ولمعت عيناه وقال:

– أطلب منهم أن يركبوني"[٢٨].

من الواضح أن محفوظاً – وهو من المجندين الصغار في قوات الأمن المركزي ومن محدودي الثقافة – قد لقّنه رؤساؤه ما يقوله، وما صار عنده يقيناً راسخاً، لكنه يملك روح الدعابة، ويتضح هذا من رده الأخير على الصحفي.

إنه ليس شريراً بالطبع، والسليقة، وإنما تمكّن رؤساؤه من "غسل مخه" وإقناعه بأن هؤلاء المتظاهرين "مجرّد أدوات .. هناك زعماء كبار وبالتأكيد شيوعيون يدفعونهم لهذا"!!

وقد اقتص القاص للمقموعين والمضروبين في المظاهرات من محفوظ، فشهدت قصة "عصر بهانة" نهاية هذا المتسلط الصغير:

"لكن الطلبة هبوا فجأة، وانهالوا على الجميع بالحجارة، مطر غزير من الصخور المدببة .. الأذرع إلى أقصى ما تستطيع تُلقي، والحجارة تطير وتطير ثم تسقط فوق الرؤوس وعلى الصدور وفي الأرض.

وشرع الجميع في التحول بنظراتهم نحو السماء في محاولة لاتقاء الحجارة، لكن الرعب جمّدهم وقد فوجئوا أن الحجارة تصل إلى أبعد مكان ينتصب فيه ضابط.

امتلك بعض الضباط قدراً من الشجاعة ساعدهم على أن يُحاولوا حماية الرتب الأعلى بصدورهم، وفي الوقت نفسه يُطلقون الأوامر بالضرب والسحق.

تساقطت القنابل من أيدي بعض الجنود لأنهم سقطوا .. حتى الذين يرتدون الخوذات وحاميات الوجوه المصنوعة من البلاستيك الشفاف. ومع ذلك تعلقوا بالثقة والأمل. سوف يُسيطرون على المظاهرة، وسوف يتلقى هؤلاء الطلبة درسهم الأخير.

...ثم سمع الضابط صوت ارتطام قريب، وفوجئ بالدم ينفجر من رأس محفوظ ويندفع نحوه، ومحفوظ يُغطّي وجهه بذراعه ثم يتداعى. ذُعر الرجال ذعراً حقيقياً حين وجدوا رجلهم الأول مقتحم المظاهرات، ومحطم الثورة المضادة يسقط على الأرض والدماء تنبثق من كل مكان فيه، وتهز قلوب الجميع.

تهاوى محفوظ وهو بين الوعي والغيبوبة ولم يعرف الذين حاولوا معاونته لماذا كان الدم أيضاً يسيل من فمه .. لكنهم وجدوا جرحاً غائراً في مؤخرة رأسه وفي جبينه.

تطلعت عيناه الشاردتان إلى السماء بهدوء .. وأمر الضابط بأن تحمله سيارته إلى أقرب مستشفى ومنها إلى بيته(٢٩).

٣ - الآخر :

في قصة "ليلة يهودية" وهي أطول قصص المجموعة، وتقع في تسع وعشرين صفحة، يتناول فيها القاص من خلال حديث الراوي / البطل قصة شاب مصري عمل في ليبيا فترة - في عزلة تُشبه السجن - وهاهو ينزل مدينة روما عاصمة إيطاليا لأول مرة، فينبهر بنسائها الجميلات الرائعات اللائي يُدرن الرؤوس، وبخاصة تلك الفتاة الرائعة التي تُريد - بمساعدة الرجل ذي الرأس الأصلع الضخم والصدر العريض والعين الزجاجية - الإيقاع به، وتجنيده، ولكن البطل المصري (الشرقي المتعطّش للارتواء الجنسي والمتعة الحرام) يُقدم على التجربة الجنسية معها، وهو واعٍ بما يُراد منه، مصراً على أن يأخذ متعته الحرام منها دون أن يعطي شيئاً، يتمثّل في خيانة الوطن(٣٠).

ويرى صبري حافظ أن هذه القصة يُمكن أن نضعها في دائرة "خطاب الاستغراب" في مواجهة "خطاب الاستشراق"، ويوضّح رأيه بقوله:

"تنتمي هذه القصة إلى ما أُسمِّيه بخطاب الاستغراب، أي خطاب الذات العربية عن الغرب وتصوراتها له، وهو المقابل الآخر للخطاب الاستشراقي الذي يكتبه الغرب عنا، وإن كانت له نفس وظائفه. فإذا كان الخطاب الاستشراقي ينهض على تعريف الآخر الشرقي بالمغايرة من إجل إرهاق وعي الذات الغربية بذاتها وباختلافاتها الجوهرية مع هذا الآخر الغريب عنه، فإن الخطاب الاستغرابي يسعى هو الآخر لصياغة صورة للغرب من خلال عيون شرقية، وهي صورة تستهدف معرفة الآخر بقدر ما تسعى إلى بلورة وعي الذات الشرقية بهويتها المُغايرة والمناقضة لتلك التي تحتوي عليها الصورة الاستغرابية.

و"ليلة يهودية" تقدِّم لنا صورة نموذجية لهذا الخطاب الاستغرابي في رحلة مبكرة من صياغته وتصوراته ورؤاه، حيث تمتزج فيها عناصر الرهبة من الآخر والتخوف منه بنزعات التطلع إلى معرفته والانبهار به ..."(٣١) .

الفصل الثاني : الدراسة الفنية .

قبل أن ندخل إلى دراسة تفصيلية لجماليات القص عند فؤاد قنديل، يمكن للدارس فنيا أن يُلاحظ على قصص هذه المجموعة أربع ملاحظات:

الأولى: إن ثلاث قصص من قصص المجموعة التسع تدور حول دائرة واحدة من الشخصيات والبيئة والظروف، وهي قصص "أمنيات بهانة" و"عصر بهانة" و"ابن بهانة"، وقد سبق أن عرضنا لها في الدراسة الموضوعية، ويُمكن أن نُسميها "ثلاثية بهانة"، ويسميها أحد النقاد بنية "الحلقة القصصية"، ويعُدها "بنية سردية جديدة نسبياً على الأدب العربي الحديث" وإن كانت القصة الغربية قد عرفتها منذ نهاية القرن الماضي في "صور الرياضي التخطيطية" لإيفان تورجنيف وبداية هذا القرن في "أناس من دبلن" لجيمس جويس، وفي "فن الجوع" لكافكا، و"مراعي السماء" و"النهر الأحمر" لجون شتاينبك(٣٢) ... وغيرهم.

الثانية: إن المظهر الذي تشترك فيه قصص المجموعة هو خروجها عن نموذج القصة الكلاسيكية المستندة إلى حبكة وشخصيات وزمان ومكان (تدور جميعاً في إطار الحكاية أو التمحور حول الحدث) وتقسيم للأجزاء الفاصلة بين البداية والنهاية.

الثالثة : إن قصص المجموعة تندرج فيما يُعرف بـ"القصة التجريبية"، وهي تلك التي تستغني عن الحدث والحبكة وجدليّتهما لتقوّضهما معاً بالاهتمام بالأبعاد غير الدرامية، وهي تلك الأبعاد النفسية والتفاصيل الصغيرة

التي تشحن اللحظة المنتقاة، وتملؤها بالتفاصيل واللقطات الموحية، وإن كان القاص لم يُغفل الحدث والحبكة نهائياً في قصص هذه المجموعة، لأنه كما يقول في الغلاف الخلفي للمجموعة "مُغرَم بالتجريب الهادئ، أي التجريب الذي لا ينسلخ مرة واحدة عن الأشكال والأُطُر التي تعوّدها القارئ العادي، ومن ثم فإن تجريبه متمهِّل وجسور في آن".

الرابعة: أن الكاتب يقول ما يريد قوله في وضوح فني – وليس في تقريرية فجة كما سنرى – ولم يلجأ إلى الغموض المُلغِز الذي اتجه إليه بعض كتاب جيله وأغرقوا فيه، والتي جعلت ناقداً كبيراً مثل الدكتور شكري عيّاد يصف مثل تلك الأعمال بأنها "تبدو للقارئ أشبه بلغز يطلب الحل، وعندما يعرض القارئ حلا يعود فيسأل نفسه، إذا كان هذا هو المعنى المقصود، أفما كان الأولى أن يُقدَّم بأيسر من هذا الأسلوب؟ إن هذا اللون من الأدب يبدو، في كثير من الأحيان وكأن الغرض منه هو الهروب من الالتزام بفكرة، لا إعطاء دلالة يتعذّر توصيلها بغير هذا الأسلوب"[٣٣].

وتقودنا هذه الملاحظات إلى التأكيد على ما قاله أحد النقاد حول الفنان من أن "رؤية الفنان كلما كانت عميقة كان عالمه خصباً ومركباً ومتشابكاً، وكل ما نطالب الفنان به أن تكون أدوات تعبيره قادرة على توصيل خصوبة عالمه وتشابكه، أما إذا كانت أدواته الفنية عاجزة عن توصيل ما يريده إلينا فسنصبح نحن في موقف العاجز عن تفهم عالمه أو رؤيته على الإطلاق"[٣٤].

تنتمي قصص هذه المجموعة إلى ما يمكن أن نسميه "الواقعية المصرية الشفيفة"[٣٥].

(واقعية) لأنها تنطلق من واقع فؤاد قنديل المعاش في إحدى القرى القريبة من بنها، حيث تنتسب معظم شخصيات أبطاله إلى قرية "سندنهور" كاشفة عن خصائص هذه القرية المصرية، النموذج، وآمال ناسها الصغار، وحب هؤلاء الناس للحياة، واحتفاؤهم بها. ومن ثم فهو ينقل مشاهد حية من هذه الحياة في قصصه، وواقعية فؤاد قنديل أقرب إلى الواقعية التي يعتنقها موباسان و"ترى أن الحياة تتكوّن من لحظات منفصلة"[٣٦] تحدث أثراً كلياً رغم إفراطها في تصوير الجزئيات الحميمة.

وهذه الواقعية (تصويرية شفيفة) لأن صاحبها يضع بين نصه وواقعه مسافةً ما، فيحوّل هذا الواقع بزخمه وحيويته وناسه ومواشيه إلى واقع تصويري شفيف، يتوسل بالفن، ويُقدِّم رؤيته من خلاله.

ومن الأدوات الفنية التي يستخدمها للإيحاء برمزه في واقعيته التصويرية الشفيفة ما يلي:

١ – شاعرية اللغة.

٢ – التجسيم.

٣ – التضخيم.

٤ – المفارقة التصويرية (الجزئية والكلية).

٥ – الرمز.

٦ – السخرية.

وسنتوقف أمامها محللين شارحين :

١ – شاعرية اللغة :

نقصد بشاعرية اللغة أن يعتمد القاص على التصوير لا التقرير، وأن تكون جمله محمّلة بطاقات تعبيرية ثرية مبعثها التخييل في الجمل والعبارات، و"استغلال الطاقة الكامنة في لغة الشعر من حيث الإيحاء والتكثيف والتركيز والتصوير، والدقة في اختيار الكلمات"[٣٧].

ونجد هذا في كثير من قصص المجموعة، يقول السارد في قصة "فرح التراب":

"الأولاد يتسلّقون التوتة .. هزُّوا الفرع .. سقط التوت بوفرة غريبة .. تلوّنت الأرض بالثمر .. فرح التراب بالثمر .. سكنه التراب .. هبط بعضُ الأولاد قفزاً من فوق الأفرع العالية.

خفق قلبي لهم .. هلّلوا وداسوا على الثمر، ثم جروا وعبروا السور .. صمّمت أن أزجرهم، لمْ أستطعْ .. تعوّدوا

أن يلعبوا بيننا في الدوّار الفسيح .. يضجون بالصخب ويجرون .. لا يتوقفون ولا يملون.

كثرة رحلوا من العائلة .. لماذا يتفجّر من تحت أقدامنا الرحيل ولا يجيء من البعيد؟ .. هاهو شبح الرحيل يمضي أمامي عملاقاً مهيباً أسود البشرة واليدين، له عينان حمراوان ونظرة قاسية .. عليه عباءة سوداء يبسطها فتطير وتلف الكون .. يعم الدنيا ظلام متوحش ويسحق القلوب والعظام، يمضي فوقها بلا خشوع، ثم يلم العباءة في قبضته ويختفي"(٣٨).

إن شاعرية اللغة هنا تعتمد على القدرة على الوصف التفصيلي، مع إهمال أدوات الربط أحياناً، وهذه القدرة التعبيرية على الوصف هي التي يستعيض بها الكتاب الجدد عن الحبكة، كما يتضح في قول ناتالي ساروت عن الرواية الجديدة:

"ثار كتاب الرواية الجديدة على العقدة، كمحور ارتكاز للعمل الفني، ولكنهم اتخذوا من الوصف محور ارتكاز لمشروعهم الجمالي، إن النظرة إلى الفنان كوعي يُسجِّل، حولته إلى عين أو كاميرا، ترى وتطوف على سطح الأشياء. إن العين هنا تُسجِّل الملمس الخارجي، دون أن تغوص إلى ما يُسمّى بالعمق المطلق، أو بالأماكن المظلمة، وهي في تسجيلها تقف عند الخطوط الخارجية، وتُقاوم بعناد شديد التصور الذهني، إن الفنان يُقدِّم الأوصاف بموضوعية تامة، ويُصور الشيء في استقلالية، تُقاوم المفاهيم الإنسانية"(٣٩).

وهذا ما حاول أن يفعله فؤاد قنديل في هذه المجموعة، وبخاصة في قصة "فرح التراب" السابقة، مما جعل الدكتور عبد القادر القط يقول عن هذه القصة: "على أن أقرب قصص المجموعة إلى طبيعة الشعر قصة "فرح التراب"، والحق أنها أشبه بالشعر المنثور منها بالقصة القصيرة"(٤٠).

وإن كانت قصصه الأخرى لم تخل من اللغة الشعرية، كقوله في قصة "ليلة يهودية" مناجياً وطنه:

"يا صاحبة القلب المتأجج دوماً بالشوق إلى الأحباب.. لا تخافي .. لن تُحرِّضني البيضاء الجميلة عليك .. ولا تخشي عليّ شيئاً من دهشتي .. وجهك لا ينطمس ولا تعلوه كتابة أخرى غير ما كتب له في الزمن الوليد فاطمئني .. قد يكون في الرجوع إليك أمانٍ من مهالك "(٤١).

٢ - التجسيم:

فؤاد قنديل مبدعاً يعي إنجازات الفن المصري الحديث في التصوير والنحت، ولعله - من خلال نصه القصصي المُنجَز - يتمثّل مصر التي أنجبت النحت، وسبقت العالم كله متفوِّقةً فيه، عندما تميّز تراثُها القديم من الفنون النحتية التي لاتزال شاهدة بعظمة المصريين وقدرتهم، وإذا تأملنا تصويره في قصصه في هذه المجموعة فسنراه يرسم على الورق تخطيطات لصور وتماثيل تُحاول أن تنقل لنا تجسيماً حيّاً لنماذج مليئة بالحركة والثراء في حياتنا، وتذكّرنا بالتماثيل العظيمة التي أبدعها الروّاد من الفنانين، مثل "نحو ماء النيل" لمحمود مختار (١٩٢٧م)، و"زوجة شيخ البلد" لمحمود مختار (١٩٢٨م)، كما تذكّرنا بلوحات التصوير الشفيفة المؤثرة، مثل "بنات بحري" لمحمود سعيد (١٩٤٨) أول المصوِّرين في تاريخ مصر الحديثة.

ومن ثم فنحن نراه ينحت شخصيات في وجدان المتلقي، حتى ليقيم بيننا تمثالاً لهذه الشخصية أو تلك؛ ومن هذه الشخصيات شخصية "بهانة"، هذه القرويّة الكادحة من بنات كفر "سندنهور" وهي في طريقها اليومي إلى بنها لبيع محصولها اليومي من الخضر في السوق، حتى تُشارك زوجها كفاحه في كسب القوت، وحتى يستطيعا معاً أن يُواصلا رحلة الحياة:

"القفة المحشوّة بحزم البقدونس والجرجير والكرّات ثقيلة، الرقبة المشدودة تُعين الرأس على حملها، وذراعها اليمنى تحرسها من الوقوع بينما تحتضن رضيعها بالذراع اليسرى، تضمه إلى الصدر المجهد والقلب،

الرضيع بفمه وقبضته وعدد من الأظفار الناعمة يتشبّث بالثدي الذي يُشبه بالونة فُرِّغت من الهواء"(٤٢).

هذه هي الملامح العامة للتمثال الذي يُريده القاص/ النحّات.

ومن المعروف أنه عندما يختار الكاتب شخصيات قصصه "يلزم أن يُعايشها فترة في خاطره ووجدانه، حتى تتشكّل لكل شخصية أبعادها الجسمانية والاجتماعية والنفسية في نفسه" (٤٣)، ونظن أن فؤاد قنديل عايش بهانة كشخصية فنية معايشة طويلة قبل أن يرسمها في الفقرة السابقة.

وفي الفقرات التالية بعض الإضافات:

"تشق الحجب في ردائها الأسود كشبح مهيب يجتاز فضاءً لا نهائيّاً .. القدمان الحافيتان أصبحتا من طول الحفاء قطعتين عتيدتين من العظم والجلد المشقق ... بثوب الأم كانت طفلة صغيرة تتعلّق وتندفع في خطو متعثّر دون أن تقع"(٤٤).

هذه هي "بهانة" – أو فلاّحة فؤاد قنديل التي رسمها – كما كان محمود سعيد يرسم بنات بحري – بتأنٍّ ورويّة، حتى لكأنَّك تراها، وما أظن أن صورتها هذه ستُفارق القارئ وهو يقرأ القصص الثلاث الأولى في هذه المجموعة "أمنيات بهانة" و"عصر بهانة" و"ابن بهانة"(٤٥).

وفي آخر قصص المجموعة وأطولها "ليلة يهودية" يصف الراوي الفتاة اليهودية التي حاولت أن توقعه في شباكها، وتجعله جاسوساً ضد بلده بهذا الوصف:

"شعر يتدلّى على جانبي وجهها أسلاكاً من الذهب .. وجه مرمري يتفجّر منه الدم .. ملامح دقيقة ومنسجمة، عينان خضراوان واسعتان، ترتدي بلوزة بيضاء فضفاضة تتجمّع عند الخصر الرهيف، على جانب الصدر وردة صغيرة حمراء يحملها غصن أخضر يمتد إلى نهاية البلوزة، وتنتشر حول الوردة أوراق نضرة"(٤٦).

وتشكل بعض الجمل – قبل هذه الفقرة وبعدها – بعض الإضافات لهذه الحسناء اليهودية التي تُريد أن توقع البطل المنتمي (والذي يحب بلاده بإخلاص، ويرفض أن يكون جاسوساً ضدّها) في شباكها، ومن هذه الجمل:

"أشرقت على المقهى فتاة .. آية في الجمال .. سحر.. فتنة .. غواية .. لو حكمت شعباً لعبدها أكثر مما تعبد الشعوب المتخلّفة حكامها! .. سبحان الخلاّق العظيم الذي أبدع الجمال من الرأس إلى القدم .. جلست بالطريقة التي تجلس بها الملكات على العرش .. تبعث الأمل في قلب كل من يرنو إليها"(٤٧).

وكأنه بهذه الجمل المتقدمة يحاول أن يُقيم تمثالاً لشيطانة عصرية من شياطين الغواية من بنات يهود.

٣ - التضخيم:

ومن الأساليب الفنية التي تلجأ إليها مجموعة "عسل الشمس" أسلوب التضخيم "الذي يعني تضخيم المشهد وتكبيره حتى يكون أكثر دلالة وأبعد تأثيراً في التعبير عن الواقع(٤٨) وقد يكون لقطة في إحدى القصص، ويتسع أحياناً ليشمل القصة كلها.

* فلكي يعرفنا أن "العسكري" (زميل زوج بهانة) زلق اللسان – في قصة "عصر بهانة" – يقول: "قال العسكري أبو لسانين"(٤٩)، وواضح ما في هذه الصورة من التضخيم المشوب بالسخرية.

* ولكي يبين لنا ضيق الزوجة الصغيرة بالحماة، وعدم قدرة الزوج على مجابهة هذه الزوجة التي تعبث طول النهار بوجهها، وعدم رضا الأم عن الجميع يقدم لنا هذا في نص جميل هو "عسل الشمس" التي حملت المجموعة اسمها عنواناً لها:

"زوجة أصغر أبنائها – التي تعبث بوجهها طيلة النهار – قالت له: إن أمك تضع خرزات المسبحة المقطوعة للبط.

لم تُدافع العجوز عن نفسها حين قال لها:

– أرجوك يا أمي لا تفعلي شيئاً.

وكأنها فقدت الإحساس بالظلم، لم تهتم بأن تقول له إنما وضعت للبط حبات الفول.

- جيل مجنون، هل يُعقَل أن أرمي للبط خرزات المسبحة؟

صحيح أن رؤيتها بالعين مضطربة، أو ربما معدومة، لكنها تستطيع أن تتعرّف على الأشياء، وتُحدِّدها باللمس إذا أمسكتها.

وبعدها تستطيع أن تُفرِّق بين رغيف صُنِع بقمح خالص ورغيف أضيف إليه قليل جداً من الذرة".

فتضخيم كيد الزوجة للحماة عند زوج الأولى وابن الثانية يتضح في الادّعاء بأنها "تضع خرزات المسبحة المقطوعة للبط".

والراوي يتدخّل هنا بقوله :

"صحيح أن رؤيتها بالعين مضطربة، أو ربما معدومة، لكنها تستطيع أن تتعرّف على الأشياء، وتُحدِّدها باللمس إذا أمسكتها".

وربما يكون هذا هو صوت الحماة التي ضعف نظرها فعلاً، لكنها تستطيع من اللمس أن تُفرِّق بين الأشياء المتشابهة.

ويُرينا اتهام الزوجة - الذي ضخّمه القاص - كراهية الزوجة للحماة، ومحاولة تهميش دورها في الحياة، وتقليص أهميتها في عينيْ ابنها.

وقد يمتد التضخيم ليشمل القصة بأكملها، كما نرى في قصة "وقائع المشهد المثير" حيث تُختار بنها - المُتاخمة لقرية الراوي - مكاناً لعقد مؤتمر عالمي يبحث مستقبل مصر سنة ٢٠٠٠م، ويتصادف أن يُعقَد المؤتمر يوم الإثنين (وهو اليوم نفسه الذي يُعقد فيه سوق بنها الأسبوعي)، ويصف القاص هذا المشهد بواقعيته الشفيفة عن طريق التضخيم على النحو التالي:

"نزلنا مع الضيوف، كان علينا فقط أن نعبر الطريق العريض مشياً على الأقدام لنصل إلى مبنى مجلس المدينة حيث قاعة المؤتمر، مسافة لا تزيد على مائة متر، تقدّم العلماء والباحثون والخبراء ورجال الإعلام، وما إن حاولوا بضع خطوات حتى فوجئوا بعدد هائل من الحمير يطلع عليهم، ولما حاولوا أن يتعرّفوا على آخر هذا الزحف ولم يجدوا له آخر أسقط في أيديهم، واضطرب موكبهم والحمير تتدافع مضطرة نحوهم".

"التف رجال المرور حولها، يبسطون أيديهم ليحولوا بينها وبين اجتياح الضيوف، وخشية الاندفاع نحو أرتال السيارات القادمة من الإسكندرية في نزيف لا يتوقّف. لكن المسألة أفلتت إذ وجدت الحمير المدفوعة بتزايد الأعداد، وبسبب الضرب النازل عليها من رجال السوق ثغرة بين رجال المرور، فنفذت منها، فإذا هي تقطع الطريق على شلال السيارات"(٥٠).

إن الحمير تحتل واجهة الفندق، والعلماء يتراجعون في مشهد مثير:

"تراجع العلماء، وقد بدت على ملامحهم علامات التمزُّق والحيرة، والحمير تتقدّم بجوانبها نحوهم. خطا الضيوف إلى الخلف خطوات، ثم تمهّلوا يبحثون عن طريق. لم يكن ثمة طريق. كانت الحمير محتشدة في غير نظام تتدافع، وتتكدّس بيضاء، وقليل منها الأشهب والقاتم. غلب اللون الناصع على المكان، وألهب ضوء النهار، وقع بعض الضيوف المسنين، وتعثّر البعض وثار البعض.

أغمضت عيني لحظات لأهرب من مشهد المصيبة، إننا على حافة الفاجعة ... بدت الحمير متداخلة وملتحمة وممتزجة ... كائن واحد يتدحرج وتتلاطم أجزاؤه ... زحفت علينا الحمير ... كان الحل الأنسب فعلاً ... أن يتراجع العلماء مؤقتاً إلى الفندق، ويحل محلهم الحمير"(٥١).

والغرض من التضخيم في هذه اللوحة المتعة واضح في الجملة الأخيرة التي تعني أن الجهل يسود بينما العلم يتراجع ونحن على أبواب العام ٢٠٠٠م ، الذي يُعقد المؤتمر حوله!

ويمتزج التضخيم بالسخرية في قصة "ابن بهانة"، الذي ركب القطار المزدحم من القاهرة إلى بنها، وفوق رأسه الحذاء الضخم للجندي! ويطلب "ابن بهانة" من

الجندي أن يُبعد حذاءه عن رأسه، ولأن الجندي لا يجد مكاناً لرجله يقترح عليه "ابن بهانة" أن يخلع حذاءه، ثم يمضي النص على هذا النحو:

"قلع الجندي الفردتين على فخذيه ... اندلعت فجأة في أنفه رائحة كريهة بشكل قاتل .. لم يتصوّر إلا أنها رائحة تصدر من جثث ألف كلب ماتت منذ أيّام وتعفّنت .. كم هي بشعة رائحة اللحم الحي بعد أن تخرج منه الروح وينفجر فيه الموت .. لم تكتف الرائحة بالوقوف أو النفاذ في أنف جلال، لكنها تسلّلت إلى عينيه فلم يعد يُبصر، وإلى شفتيه فكاد يبصق، وإلى معدته فأوشك على التقيؤ .. شرع جسده كله ينتفض من التقزز، حبس أنفاسه أطول مدة حتى كاد يختنق، وتساءل عن سر الرائحة رغم أن القطار يجري بين المزارع .. ما الذي سيحدث في الكون .. هل يوشك على نهاية مبتكرة وبشعة؟ ..

فكّر في النهوض والهرب .. لكن لا سبيل .. اكتشف أن الرائحة التي كهربت الجو كله وسمّمته هي رائحة جورب الجندي .. تنفّس بصعوبة وألم، فقد تذكّر أنه هو الذي طلب إليه أن يخلع الحذاء.

عاد إلى العيون يستفتيها .. بعض العيون كانت تنظر في بلاهة ورضا .. بعضها أسقطت الأهداب وراحت في نوم يبدو عميقاً .. بعضها هربت إلى الطريق المظلم، ترقب الأشباح التي تجري فيه وتتبادل الأضواء الخاطفة والاختفاء.

لم يستطع أن يرفع رأسه إلى الجوارب المشعة التي يُمكن أن تُستخدم كوسيلة من وسائل الحرب الكيماوية"[٥٢].

فهو في الفقرات السابقة يضخّم الرائحة، فيجعلها "يُمكن أن تُستخدم كوسيلة من وسائل الحرب الكيماوية"، مازجاً التضخيم بالسخرية في مثل قوله " لم يتصوّر إلا أنها رائحة تصدر من جثث ألف كلب ماتت منذ أيّام وتعفّنت .. كم هي بشعة رائحة اللحم الحي بعد أن تخرج منه الروح وينفجر فيه الموت".

ويقصد بهذا التضخيم التنفير والكراهية من هذا المنظر الذي يتكرّر في قطارات الدرجة الثالثة، وهو ركوب الجنود فوق رءوس الركاب في الأماكن المخصصة للحقائب، ثم خلعهم الأحذية لتنبعث الرائحة الكريهة تقتل الحياة في المكان!

٤ - المفارقة التصويرية :

المفارقة التصويرية تقنية فنية يستخدمها القاص الجديد لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض، و"هي أن يجمع الكاتب في ألفاظه وتعبيراته ودلالاتها المتناقضات، فتحمل المعنى ونقيضه"[٥٣].

و"التناقض في المفارقة التصويرية فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف"[٥٤].

والمفارقة التصويرية إحدى الوسائل التي لجأ إليها القاص في مجموعة "عسل الشمس" لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين، ليوضّح حدثاً أو يرسم شخصية، وقد يتسع التناقض في المفارقة التصويرية ليقوم عليه بناء قصة بأكملها.

وتجيء المفارقة عند فؤاد قنديل من خلال نص محكم، ثم يتولّى السرد - أو الهوامش التي يستخدمها بذكاء ومهارة - إحكام بناء المُفارقة التي يُريد أن يُحدثها.

وتقوم المفارقة التصويرية بدور فاعل في كل قصص المجموعة بلا استثناء، وقد تكون المفارقة جزئية أو كلية، لكنها في كلتا الحالتين لها دورها في بناء القصة وإحداث الأثر الفني المطلوب في قارئها:

أ - المفارقة الجزئية :

وهي التي تقوم بدور بنائي داخل القصة، في الحدث، أو الحوار، أو السرد.

ومنها هذا الجزء من قصة "عصر بهانة":

* في النص: "حطّت (أي "بهانة") الرضيع في ركن، ومن نفسها أسرعت أخته تجلس إلى جواره، تهش عنه

الذباب، وتدسُّ في فمه البزّازة المعلّقة على صدره بدبُّوس.. وتعود وتدسها في فمه لأن العفريت يلفظها بلسانه، مصراً على طلب الأصل".

* وفي الهامش: "الأهالي في كفرنا (يقصد قريته كفرسندنهور) يسمُّون البزّازة لهّاية، لكن معظم أطفال بلدنا لا تخدعهم هذه اللهّاية"(٥٥).

إن المقابلة هنا تبيِّن أن البزازة/ اللهاية لم تنطل على الطفل، فكأنه أفسد على الكبار لعبتهم بمحاولة خداعه!

والمقابلة الجزئية - في النص - مرة ثانية تُبرز هنا إصرار الولد (العفريت) الذي عرف اللعبة وحدودها وتمرّس عليها - على التمسُّك بثدي أمه، وأمه مضطرة إلى تركه مع أخته "والبزازة المعلقة على صدره بدبوس" - رغم يقينها أن أخته والبزّازة غير كافيتين لإلهائه عن أمه التي تنهمك في الانشغال عن ابنها في دوّار العمدة حتى لا تفقد الأسرة جميعاً "عشاءً دسماً"(٥٦).

ومن هذه المفارقات الجزئية - في القصة نفسها -:

"قال العسكري أبو لسانين:

- الطلبة من النجمة بيهتفوا.

أسرع محفوظ يقولون:

- ضدي"(٥٧).

إنهم لا يهتفون ضد العسكري محفوظ بالطبع، وإنما لأنه "نال شهرة كبيرة في تفريق المظاهرات "أي مظاهرة مهما بلغ حجمها ودرجة هياجها كان قادراً على صدِّها والسيطرة عليها وإصابة عدد كبير من رجالها وأسر عدد أكبر"(٥٨). ومن ثم فهو يتصور أن كل هتاف في مظاهرة هتاف ضده شخصياً.

وفي هذه المفارقة الجزئية يريد الكاتب أن يلفت ذهن المتلقي إلى ظواهر خاطئة من خلال الهوامش التي تومئ ولا تصرح - وبتعريتها للنص - وللكشف عن الجانب الخفي المستور من الحدث أو الظاهرة.

يقول عن محفوظ:

* في النص: "هو واثق تماماً أن المتظاهرين في كل أنحاء العالم وبخاصة في مصر قبضوا مبالغ لقاء هتافاتهم التي لا يفهمون معناها ولا يقصدونها، وأن وراءهم فئة كل مرادها زعزعة النظام وتعويق الإنتاج"(٥٩).

* وفي الهامش: الله يجازي الذي كان السبب في غرس هذه الفكرة اللعينة عن المظاهرات في رأس محفوظ، وللأسف لا هو ولا أنا نعرف من الذي حفر عميقاً في مخه، وزرع هذا الاعتقاد. الله يسامحه مطرح ما راح، هو في دار الحق ونحن في دار الباطل، مؤكّد من زرعها مات من آلاف السنين"(٦٠).

وهذا النص يحمل مجموعة من المفارقات التي تومئ وتصرح، وتُفشي وتُراوغ، وتقول ولا تبوح؛ فبينما النص صريح نجد الهوامش مُراوغة؛ فـ "الله يجازي الذي كان السبب" ستوحي للقارئ أنه قد يقصد رؤساءه (سيادة الوزير، أو السيد المحافظ، أو الباشا اللواء مدير الأمن ... أو غيرهم من الذين أشار إليهم النص فيما بعد(٦١)، لكن فؤاد قنديل - في دهاء الفلاح المصري (الحويط)، الذي يحمل ميراثاً من الخوف من السلطة عُمقه آلاف السنين من السلطة والمتسلطين - يتراجع "وللأسف لا هو ولا أنا نعرف من الذي حفر عميقاً في مخه، وزرع هذا الاعتقاد".

وقد توحي للقارئ: "الله يسامحه مطرح ما راح، هو في دار الحق ونحن في دار الباطل"، أن صاحب هذا الرأي في المظاهرات والمتظاهرين هو رئيس راحل كان يصف المتظاهرين بمثل هذه الصفات، فإذا بالهامش يُراوغ مرة ثانية: "مؤكّد من زرعها مات من آلاف السنين"، ولا ندري هل كان في مصر من آلاف السنين مظاهرات مُناهضة للحكومة وجنود أمن مركزي؟.

وأحياناً تتآزر المُفارقة مع التضخيم من خلال جدل النص مع إرجاعات الهامش وتعليقاته، لإبراز التناقض الموجود، ولوضع اليد على الجرح أو على الخلل والداء، كما في النص التالي وهامشه:

* النص: "باستطاعة محفوظ أن يقتحم أية مظاهرة وأية معركة مدنية، ويُسيطر عليها، ويُبهر رؤساءه بقيادته للجنود ورفضه استعمال القنابل المسيلة للدموع إلا في المظاهرة الضخمة التي لا تستطيع سوى الدبابات السيطرة عليها .. ساعتها يمكن أن يستخدم المسيلة، وهو لا يرفضها رحمة بالشباب الغض والمُضلّل، لكن التعجل باستخدامها إقرار بعجزه.

تعوّد أن يبدأ بالاعتماد على نفسه .. ونفسه تنوب عنها "الصاعقة" .. لا بد أن تمسح عصاه الغليظة على الرؤوس والجباه، ولا بد أن تشنف آذانها بما يصدر عن العظام المتكسّرة من أنغام ..

ويأتي بعد "الصاعقة" دور قدمه التي تُشبه كلباً أسود صغيراً وشرساً، وهذه القدم الأسطورية قادرة على أن تقذف الشخص الذي تلحق به عدة أمتار، وبعد أن ينكفئ على وجهه تتركه لمحفوظ شخصياً، فيقفز عليه ويحمله من قفاه حملاً .. وهذا معناه نهاية الثائر الصغير.

ضرب محفوظ طلبة جامعة القاهرة في عدة مناسبات، وطلبة جامعة عين شمس والإسكندرية، وعمال شبرا الخيمة وحلوان والمحلة، وعموم الشعب الخارج في مظاهرات من الجامع الأزهر، وميدان التحرير والحسين والسيدة وآدم .. واختير أيضاً على رأس مجموعة لفرض مرشّح الحكومة في دائرة بنها أيام السبعينيات أيام الديمقراطية، وسافر إلى أسيوط ومدن أخرى عدة مرات خصيصاً لوقف نشاط الجماعات الإسلامية وغير الإسلامية.

ومحفوظ لا يعد نفسه موظفاً، ولا يتعامل مع المهام التي تُطلب منه بوصفه عملاً رسمياً يتقاضى لقاءها راتباً، ويجب أن يُحلله، ولكنه يتعامل معها من منطلق الهواية والمزاج الشخصي، فهو يجد في فض المظاهرات والإمساك بالمجرمين والعبث بالمتمردين من أي صنف ولون لذة شخصية وغالباً لايجد مثلها عند بهانة ولا في حضن أولاده.

ولم يتعوّد محفوظ على العمل البوليسي الذي يقوم على مجرّد الملاحظة أو الحوار، وهو غير مقتنع أبداً بالعمل في السكك الحديدية حارساً في القطارات أو عسكرياً في ميدان ينظم المرور، أو حتى صولاً في قسم يكتب المحاضر".

* الهامش : لا علمَ لنا بما أُشيع أخيراً عن الطلب الذي تقدّم به جيش الدفاع الإسرائيلي إلى وزارة الداخلية تطلب فيه إعارتها محفوظ ثلاثة أشهر قابلة للتجديد للمساهمة في فض الانتفاضة الفلسطينية في الضفة وغزة، ونظن أن الطلب جاء متأخراً بعض الوقت، وعلى أية حال فقد وضع الطلب الحكومة في موقف حرج. أما الطلبات التي جاءت من بورما وباكستان والفلبين وكوريا الجنوبية وأمريكا اللاتينية فقد رفضتها الحكومة"(٦٢).

وبالتأمل في هذا النص وهامشه نجد عدداً لا حصر له من المفارقات الجزئية:

–جندي الأمن المركزي الذي يُحب تفريق المظاهرات، ويجد فيها مزاجاً شخصياً، ولا يرضى بوظيفة أخرى سهلة، ولا يعدّها مجرد وظيفة لأكل العيش، وإنما "رسالة"!

–الطلب الذي تقدّم به جيش الدفاع الإسرائيلي إلى وزارة الداخلية المصرية:

الطلب نفسه مُفارقة، وكيفيته مفارقة أخرى (من جيش إلى وزارة داخلية / وليس وزارة لجيش مثله)، والغرض فيه مفارقة ثالثة، وهو: فض الانتفاضة الفلسطينية أو القضاء عليها (كأنَّ هذا العمل الدنيء "فض الانتفاضة" ينبغي أن يكون من مهمّات جندي الأمن المركزي / محفوظ).

– الطلبات التي تقدّمت بها حكومات العالم الثالث لإعارة محفوظ لها، وكأنها – رغم ما اشتهرت به من تسلط وجبروت على مواطنيها – لا تستطيع أن تجد مثيلاً لمحفوظ عندها من مواطنيها!.

– وهناك المفارقة اللفظية في عبارة: "واختير أيضاً على رأس مجموعة لفرض مرشّح الحكومة في دائرة بنها أيام السبعينيات أيام الديمقراطية"، كان من المفروض أن

يقول "أيام غياب الديمقراطية. ولكن صوغ الجملة على هذا الشكل أبرز التناقض: فكيف تكون أيام الديمقراطية مع فرض مرشحين بذاتهم لينجحوا حتى مع رفض جماهير الناخبين لهم؟

ثم هاهي المُفارقة الأعمق: إنه يُصادر إرادة أهله في اختيار مرشحهم؛ فهو من (كفر سندنهور) من مركز بنها، ولكنه يُصادر اختيار أهله ليفرض عليهم مُرشَّح الحكومة!

ب – المفارقة الكلية :

وهي التي يُحدثها السرد والأحداث من خلال الإيقاع العام للقصة، ويتضح ذلك في قصص كثيرة في المجموعة، يمكننا أن نُشير إلى ثلاثيته عن بهانة ("أمنيات بهانة" و"عصر بهانة"، و"ابن بهانة").

ويمكن أن نتوقف عند القصة الأولى منها "أمنيات بهانة".

"تبدأ القصة بعبارة دالة "لم يبق حتى تبلغ المدينة غير كيلو متر واحد"(٦٣).

وكأنه يريد أن يثبِّت موقعها من المدينة، ويحرص على بقائها خارجها. فسوف تهل عليها من المدينة كل النكبات؛ فالمدينة – كما ستوضح ثلاثية بهانة – لاتأتي منها إلا المصائب لبهانة رغم محاولاتها التقرب منها .

وفي قصة "عصر بهانة" تحلم الزوجة بالترقية التي ستأتي لزوجها (محفوظ العسكري)، ويفوز بشريطة جديدة، ولكنه – في اليوم نفسه – يُصاب في مظاهرة من المظاهرات التي أَلِفَ تفريقها، ويعود إلى بيته جريحاً منكسراً، وتطمئن الزوجة عليه، وتخرج للعمل في بيت العمدة، وتنتهي القصة بقول القاص:

"اطمأنّت عليه .. ساعدته في خلع ملابسه .. تركته يرتاح وعادت إلى الحاجة صفية حتى لا يفقدوا عشاءً دسماً قالت له :

– ابعث لي العيال بعد المغرب"(٦٤).

وفي قصة "ابن بهانة" نرى الطالب الفقير (جلال) يفوز بثلاثين جنيهاً – كراتب شهري من جمعية خيرية – ويعود ليحمل لأسرته النبأ السعيد، فيُطارده حذاء الجندي ورائحة رجله الكريهة.

ويرى الدكتور صلاح فضل أن "المفارقة بدرجاتها المختلفة وشروطها المتعددة من أبرز مظاهر شعرية السرد، وتُعادل في أهميتها وخطورتها الوظيفية نفس الدور الذي يقوم به المجاز في شعرية القصيد، وذلك لاعتمادها على خاصية جوهرية تتفق مع المجاز، وهي أنها تقول شيئاً وتقصد شيئاً آخر، بالأصالة المرنة إلى الموقف والظروف المحيطة بعملية التواصل اللغوي خارج النص. عندئذ لا يمكن الاكتفاء بالمعنى الحرفي وتصديقه بشكل مباشر، وإلا وقعنا في دائرة البلاهة والغفلة والعجز عن فهم المقصود، فهي إذن تنفيس فني عن ذكاء الإنسان وتعبير عن قدرته على رفض ما يُقال له ونقده وتأويله حتى يتسق مع ما لديه من وعي ومعلومات.

ومن هنا فإن المفارقة – كما يرى الفيلسوف الوجودي الكبير كير كجارد – "أسلوب فني ينظر إلى الأساليب العادية باستعلاء وترفع، إذ إنه يرحل بعيداً، ويتم في دوائر عليا". وكلما كانت المفارقة مرهفة ودقيقة كانت أبلغ وأحفل بالشعرية، فالسخرية المباشرة والتهكم الصريح لا يُثيران من انتباه المتلقي وحساسيته ما تُثير روح الفكاهة الجميلة العذبة"(٦٥).

وقد رأينا المفارقة في مجموعة قصص "عسل الشمس" لفؤاد قنديل قادرة على النفاذ إلى روح الأشياء، ولم تكتف بالوقوع على السطح، وقد استغلّها – كأداة فنية – بمهارة ليُطلعنا على ثراء عالمه.

٥ - الرمز :

يميل بعض كتابنا المعاصرين إلى استخدام الرمز في أعمالهم الفنية، ويتفاوت استخدام الأديب الواحد للرمز من عمل إلى آخر ضمن منظومة إنتاجه، وكل فن حقيقي رامز "واحتمال الرمز في الفن آت من طبيعته الخاصة من حيث كونه تعبيراً عما في ذات الفنان ، فهو غوص في الأعماق النائية عن التحديد والتسطيح"(٦٦).

ولا يمكن فصل الرمز عن نسيج العمل الفني أو النظر إليه بوصفه الهدف الذي يريد الكاتب أن يقدمه لقارئه، إنما هو وعي الفنان بعصره ووسيلته الفنية المتخفية القادرة على الإشارة والإيحاء، المتفقة مع وسائل التقنية في الجنس الأدبي الذي يكتبه الأديب لإحداث هدف آخر متخف يريد أن يحققه الفنان المهتم بمجتمعه، الحامل لهمومه تحت جلده حياةً وإبداعاً في عمله الفني "وهذا الاهتمام ليس معناه التعمد، فالتعمُّد عملية آلية بينما الاهتمام نابع من التفاعل حين تتركّز رؤية المبدع في أمر محاولاً معالجته بوسائله الفنية. ويأتي الناقد بعد ذلك ليُعيد الاكتشاف مُسلِّطاً الضوء على ذلك الموجود الخافي"(٦٧).

ولأن الأدب "ظاهرة اجتماعية تتمثل في تلقي الواقع وإعادة تشكيله من خلال الصور المبدعة، فمعيار العمل الفني الأول هو صدقه في مدى عكسه الواقع المتخيَّل بجميع مكوِّناته"(٦٨)، ومن ثم فإننا نرى أن مدى وعي الفنان بمجتمعه الذي ينطلق منه ويُحيط به يُحدد مستوى رمزه، كما أن مستويات الرمز تختلف حسب الاتجاه الفني، أو المدرسة الفنية التي ينتمي لها الأديب، وكلما اقترب الأديب من الواقعية بدرجاتها المختلفة كان فنه أكثر رمزاً للواقع وإشارة له والتحاماً به، فأدبه في هذه الحالة "مؤسس للوعي التاريخي والاجتماعي بقدر ما هو نتيجة له"(٦٩).

ويتمثل الرمز في مجموعة "عسل الشمس" في ثلاثة أقسام، هي الرمز العام، والرمز الإيحائي، والرمز التوليدي.

أ – الرمز العام :

الرمز العام في هذه المجموعة هو الانتماء. وهو لا يصل اعتباطا أو بعفوية إلى ما يرمز إليه، ولا يُشير بعبارات مباشرة، إنما يصل إلى ما يبغيه من خلال جدلية الحدث / المكان / البطل / الزمان.

ففي هذه المجموعة نجد الحدث يتصل بالمكان؛ بمعنى أن المكان لو تغيَّر ما وُجِد الحد ف "مشهد الوقائع المثيرة" مرتبط بمدينة بنها، وعمل "بهانة" في بيع الخضر، وأزمتها مرتبطان ببنها (سوق الخضر وما حوله، من تاجر الجملة، والعسكري البشع "سليم" الذي لا يشبه زوجها العسكري)، ومحفوظ – جندي الأمن المركزي وزوج بهانة – نشاطه ووجوده بل كينونته ذاتها ترتبط جميعاً بأرض المظاهرات وتفريقها والقضاء على مرتكبيها، وحدَث الغواية النسائية في قصة "ليلة يهودية" مرتبط بمدينة روما، بمعنى أنه كان من المستحيل أن يحدث على أرض ليبيا التي كان يعمل فيها بطل القصة، أو أرض مصر التي هو عائد إليها بعد عبور محطة روما.

وعلاقة البطل بالزمان علاقة فيها تمرد وثورة، فالبطل في قصة "ليلة يهودية" حريص على أن يذكر التاريخ "اليوم هو الخامس من يونيو ١٩٧٥م"(٧٠)، وهو اليوم الذي افتتح فيه الرئيس الراحل أنور السادات قناة السويس للمرة الثانية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م الظافرة، ويمثل تاريخ (٥ يونيو) في الوجدان المصري الهزيمة والانكسار، فقد هُزمت مصر أمام إسرائيل هزيمة مرة في هذا اليوم من عام ١٩٦٧م.

والحدث في قصص "عسل الشمس" من خلال جدلية البطل / المكان / الزمان (أو صراع البطل في المكان والزمان) يفرز لنا رمز الانتماء من خلال أبطاله المُطاردين:

فالبطل في قصة "ليلة يهودية" شاب مصري عمل في ليبيا، ينزل مدينة روما عاصمة إيطاليا لأول مرة، تُراوده فتاة يهودية عن خيانة وطنه، ولكنه لا يستجيب لهذا النداء؛ وهذا البطل المنتمي – كما أسلفنا في الفصل الأول – يُمثل البطل المنتمي في قصص السبعينات – التي كُتبت بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م.

لكن الوجه الآخر للانتماء هو المطاردة (وكأنها قدر المنتمين داخلياً وخارجياً)؛ ففي الخارج نرى بطل "ليلة يهودية" مُطارداً من قوى الشر، المتمثلة في الفتاة اليهودية الجميلة، والرجل الأصلع الضخم ذي العين الزجاجية.

و"بهانة" في قصة "أمنيات بهانة" تُريد أن تبيع الخضر بأمان في سوق بنها، وهي امرأة كادحة فقيرة لا

حول لها ولا قوة، ولكنها مطاردة من العسكري ذي الشرائط وتاجر الجملة.

و"الأم" في قصة "عسل الشمس" - وهي نموذج لن يتكرّر في الأدب المصري كثيرا - وُلدت يوم شنق زهران الذي قاوم المستعمر الإنجليزي وشُنِق في دنشواي - مع مَن شُنِق في الحادثة المعروفة - هذه الأم مُطاردة من زوجة ابنها الجميلة "التي تعبث بوجهها طيلة النهار، وتلوك في شدقها في خلاعة فص اللادن"(٧١)، ومُطاردة أيضاً من ابنها "المركوب"(٧٢) من زوجته، والذي بلا حول ولا قوة تجاهها. كما أن القصة تبدأ بمطاردة الذباب لها، بهذه الفقرة المعبرة:

"دفعته عن أنفها فعاد وحطّ على جبهتها، بصعوبة رفعت يدها وأبعدته .. حام وهبط على فمها، صبرت عليه لحظات، ثم نفخته فطار .. عاد فوقف على خدِّها العظمي .. تأكّدت أخيراً أن الذباب لم يُخلق إلا لها، وأنه لن يرحل عن وجهها"(٧٣).

وهكذا يكون رمز الانتماء (المتمثل في انتماء الإنسان المصري البسيط، ابن قرية كفر سنتهور الصغيرة المتاخمة لبنها) هو البطل لهذه المجموعة القصصية، ولكنه ليس بطلاً منتمياً فحسب، بل شاعت الحقبة الزمنية (حقبة الثمانينات) التي أفرزت هذه المجموعة المتفوقة أن ترينا إياه بطلاً مُطارداً (٧٤) : مُطارد من خارج بلاده من الآخر/ العدو الذي يُريد أن يسلبه انتماءه، ويجعل منه جاسوساً ضدّ بلاده ومصالحها، ومُطارد في الداخل من القوى الأكبر منه، رغم أنه باحث عن الحياة، ومُشارك فيها، ومُطارد - في آخر الأمر، ويا للفجيعة! - من داخل أسرته، قلعته الصغيرة، كما رأينا "العجوز" في قصة "عسل الشمس" مُطاردة من زوجة ابنها، وتابعها (الابن المركوب).

ب - الرمز الإيحائي :

ولأن الرمز - في عمومه - ليس عملية ميكانيكية أو حسابية بسيطة؛ بمعنى أن نقول إن الرمز كذا، والمرموز إليه كذا، فإننا يمكن أن نشير إلى أن القاص في هذه المجموعة يستعمل الرمز الإيحائي(٧٥) كثيراً، وهو صفة أو جملة يُفهم من السياق ما ترمز إليه.

- ففي قصة "عصر بهانة" حينما تخبر بهانة زميلاتها البائعات الصغيرات بدخول ابنها جلال الكلية، يهنئنها في تلقائية وحميمية صادقة، بينما يصف السارد واحدة من هؤلاء الزميلات على هذا النحو:

"سألتها كريمة الصفراء، التي يلبس وجهها ستين وجهاً في الدقيقة، ويتلوّن بعشرين لوناً في الثانية الواحدة: كلية إيه إن شاء الله؟"(٧٦).

وواضح من الوصف السابق أن القاص يوحي بحقد كريمة، من خلال وصفها بأنها "صفراء" وهذا وصف شعبي تستعمله العامة للتعبير عن الحقد والكراهية، وأرى أن قوله بعد ذلك: "يلبس وجهها ستين وجهاً في الدقيقة، ويتلوّن بعشرين لوناً في الثانية الواحدة" لا يضيف جديداً تعبيرياً للنص، ولو اكتفى بوصفها أنها صفراء لكان رمز الصفرة كافياً في التعبير عما يريده.

ج - الرمز التوليدي :

ويدور حول الألفاظ أو "الصور الرمزية التي تتولّد منها صور أخرى لها دلالات إيحائية ورمزية"(٧٧). وتتآزر في هذا الرمز التوليدي الصورة واللفظة لإحداث الأثر المطلوب.

ومن حيث الألفاظ معروف أن لكل كاتب معجمه الخاص الذي يتردّد في قصصه، ويمتح منه، و"لا يمكن تحديد كلمة بعينها ليرمز بها القاصون جميعاً إلى شيء معين، كما "لا يُمكن حصر ألفاظ بعينها للدلالة على رموز معينة في قصص الكتّاب، فلكل كاتب رموزه الخاصة، التي يستعملها في بنائه القصصي"(٧٨).

ويتضح هذا المعجم الخاص في اختيار العنوان "عسل الشمس"، والعنوان - كما يرى أحد النقاد - "سؤال مبدئي من أسئلة النص، وجملة العنوان ليست مجرد إعلان خارجي ... إنها عنوان النص وعلامته الأولى، وهي الرابط الذي يربط ما بين القارئ والنص، فكأنها عقد وميثاق

يقدمه المؤلف لنتواطأ معه على هذا العنوان بوصفه قيمة دلالية وشفرة نستفتح بها النص ومن ثم نفسره بها، أو نُسائله عنها"(٩٧).

وإذا كان ذلك صحيحاً فمن حقنا أن نسأل عن دلالة العنوان على النصوص التي انضوت تحته في هذه المجموعة القصصية الفاتنة.

إن قصة "عسل الشمس" التي أعطت مجموعة فؤاد قنديل اسمها "هي مرثية امرأة عجوز تتأمّل الحياة وتتذكّر ماضيها في زمن وهنها ووحدتها، وتتأرجح بين التطلع للموت والتعلق بالحياة (أو التنعم بدفء الشمس أو عسل الشمس)، بعد أن عانت طوال سني العمر، وأنجبت الكثير من الأبناء والأحفاد، وعادت وحيدة كفيفة ضعيفة في هذا العالم"(٨٠).

إن "عسل الشمس" تعني التأمُّل في ما مضى من أحداث في روية وهدوء، والتنعم بتذكّر زخم الحياة والكفاح، لأن المقابل هو الموت. فكأن فؤاد قنديل يُريد أن يتأمّل معنا (أو يجعلنا نتأمّل معه) في نماذج مأخوذة من الحياة، وهو ما لاحظناه بالفعل في الدراسة الموضوعية والفنية.

وعلى هذا الأساس يُمكننا أن نقول مع الدكتور صابر عبد الدايم أن هذه الجملة – في العنوان "تُحاول اكتشاف سر إيقاع الحياة ... فالشمس مصدر القوة، وسر حركة الحياة، والعسل رؤية جمالية للحياة، وانسجام مع إيقاعها، ومهما اضطرب ذلك الإيقاع وتصادمت توقيعاته فهو لم يزل دائراً متوهجاً في مدار الرؤية الفنية مستمداً رحيقه من "عسل الشمس""(٨١).

وكما يستخدم القاص ألفاظه ببراعة، فإن الصور تُشكل الإطار الأكبر الذي يحتوي الألفاظ، ولا تأتي الألفاظ منفصلة عن هذا السياق، داخل البناء القصصي مُحدثةً الأثر الذي يريده القاص.

إن الصور الرامزة كثيرة في هذه المجموعة، وتكاد لا تخلو صفحة من صفحات المجموعة من هذه الصور، وسنتوقف هنا عند نموذج دال في قصة "عسل الشمس"، حيث نجد العجوز تتحاور – داخلياً – مع ثنائية الحياة والموت، في هذه الفقرات الكاشفة:

"لم تنتبه إلى أنها – في السنة الأخيرة بالذات – كلما أسرفت في نبش الماضي، في محاولة للانتقال إليه، طافت بها مخلوقات غير مرئية، وخفقت بأجنحتها لتسمح لها بالتعرُّف عليها، فتقول:

– ارجعوا .. ليس الآن .. ارحلوا.

كانت تعلم أنهم رسل الموت، يطلبون إليها الاستعداد، فقد آن الأوان"(٨٢).

في هذا العالم الذي يتنازعه الموت، وتُقاومه العجوز برغبة الحياة نجد الضوء، والصوت، والنباح، والحركة .. ترمز للحياة في مقابل الظلام والعتمة اللذين يرمزان للموت، يقول السارد:

"استدارت العجوز إلى الحائط واعتمدت عليه ونهضت .. السحابات السوداء على عينيها لا تكاد تُتيح لها الفرصة كي ترى الخطوط المُحدِّدة لمعالم الأشياء.

تقدّمها ذراعها يحوم في الفضاء كقرن الاستشعار، يكشف لها الطريق إلى الحارة، اجتازت العتبة وأكملت ثلاث خطوات، ثم جلست.

هذا مقامها النهاري. هنا أقرب مكان إلى الدنيا .. تمضي خلاله في دراسة صامتة لما يدور حولها، رأسمالها الوحيد سمعها الذي يعمل بكفاءة .. تُميِّز هذه البنت عن أختها، وهذا الولد عن أخيه، وتُميِّز صوت الشيخ جوهري وأقدام ولدها، وتميز نباح كلبهم من كلب البنداري.

منذ سنوات وهي تُراقب نفسها تمضي في طريق شاحب الضوء، سرعان ما بدأ الظلام يكسوه، ومع مضي الزمن الرديء تُحيط بها العتمة كلفافة من خيوط العنكبوت.

لا أحد يحنو عليها في هذه الدنيا إلا الشمس المهيبة الحنون، وما عدا ذلك فالكل أعداؤها ويودون أن ترحل"(٨٣).

إننا نرى الحركة في: استدارت، واعتمدت، ونهضت، وتقدمها، ويحوم ...

ونرى الصوت في أصوات الحفدة، والشيخ جوهري، ووقع الأقدام، ونباح الكلاب.

ونرى الضوء ودرجاته في شاحب الضوء، والظلام، والعتمة، والشمس ..

وهذه المفردات جميعاً توحي بالحياة التي تتمسك بها العجوز.

٦ - السخرية :

تتميّز كتابات فؤاد قنديل بحس ساخر يتضح جليّاً في هذه المجموعة، وقد لاحظنا طرفاً منه ونحن نتحدّث عن المفارقة (الكلية والجزئية) التي تتولّد منها السخرية.

لكن يُمكننا أن نميز في سخريته هنا ثلاثة ملامح بارزة:

الأول : عطف الجمل غير المتماثلة، كأن يجمع بين ما لايجتمعان لتتولّد السخرية.

والثاني : الفهم المغلوط الذي يحدث السخرية.

والثالث : التعليق الذي يُبرز صوت السارد.

فمن عطف الجمل غير المتماثلة حديث السارد عن ضعف العجوز وفقدها البصر واعتمادها على السمع كوسيلتها الوحيدة، يقول:

"رأسمالها الوحيد سمعها الذي يعمل بكفاءة .. تُميِّز هذه البنت عن أختها، وهذا الولد عن أخيه، وتُميِّز صوت الشيخ جوهري وأقدام ولدها، وتميز نباح كلبهم من كلب البنداري"[٨٤].

فعطفه الأقدام على الصوت يرُينا دقة تمييزها، لكنه عطف متوقع، أما عطف نباح الكلب عليهما فهو الشيء غير المتوقع الذي يُحدث السخرية.

ومن الفهم المغلوط للأمور، الذي يحدث السخرية: ما نراه من موقف "محفوظ" في قصة "عصر بهانة"، حيث يرى نفسه رمزاً من رموز السلطة - وهو المجنّد الصغير في قوّات الأمن المركزي، والذي تضطر زوجته للعمل بائعة للخضر حتى تستطيع أن تُسهم معه في تحمّل نفقات البيت، والذي يضطر ابنه "جلال" الطالب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية أن يطلب معونة من جمعية خيرية حتى تساعده في الإنفاق على نفسه ليكمل تعليمه.

محفوظ هذا الذي يرى نفسه رمزاً من رموز السلطة ما إن يجيء متأخراً إلى زملائه ويهتف العسكري "أبو لسانين" أن الطلبة يهتفون من الصباح الباكر، حتى يقول "محفوظ" في حميمية وتلقائية: "ضدي"[٨٥] وكأنه هو الدولة، أو الحاكم!

ومن التعليق الذي يُبرز صوت السارد ما يُعلّق به - في الهامش - بعد أن أشار إلى بطولات محفوظ في فض المظاهرات:

"ليس مرادنا من استعراض قدرات محفوظ هو الإعلان بهدف اتساع رقعة الاستفادة منه في فض المظاهرات سواء الخاصة أو العامة[٨٦]، ولا يمكن أن تكون لنا مصلحة، ومع ذلك يمكن التأكد من قولنا بالرجوع إليه في قريته التي يستجم فيها الآن بعد ما حدث له، وهي قرية "كفر سندنهور" مركز بنها قليوبية[٨٧].

بقي أن نقول في النهاية: أنه رغم اتجاه فؤاد قنديل للرمز في كثير من قصصه، فإنه يُحمد له أنه ابتعد في هذه المجموعة القصصية عن الغموض - هذه الآفة الفنية التي انتشرت انتشاراً كبيراً في إنتاج جيل السبعينات القصصي - فلم نجد في قصصه أي مظهر من مظاهر الغموض، بل قال ما يُريد قوله في سهولة ويُسر.

وقد عاب الدكتور أحمد هيكل على يوسف إدريس لجوءه إلى الرمز المستغلق، لدرجة أن بعض أعماله كانت تقترب من الرموز والأحاجي، وعاتبه في ذلك عتابا عذباً قال فيه: "ليتك يا صديقي تترك الأحاجي والألغاز في كل أعمالك، مهما كان ذلك بسبب التقية أو البحث عن شكل جديد، فأنت ترتفع جداً حين تكتفي بالرمز القريب، أو الإيحاء اللطيف، وتترك لقارئك متعة الكشف بعد إعمال الذهن ... أما حين تتجاوز ذلك إلى الإلغاز والتعمية فإنك تبتعد عن قارئك كثيراً وتكاد تنفصل عنه، وفرق بين الارتفاع والانفصال وأنت سيد العارفين"[٨٨].

وقصص فؤاد قنديل لا تلجأ إلى الرمز المستغلق أو غير الواضح مراميه، وإنما تقول ما تريد أن يصل إلى القارئ مع بذل الأخير بعض الجهد ليصل إلى المطلوب.

إن فؤاد قنديل في قصصه يومئ ويُشير ويترك القارئ ليستنتج ويضيف إلى النص المقروء تجربته وخبرته ليقرر المعنى الذي قد يقصد إليه المؤلف. وهو في هذا الإطار يذكرنا بمقولة رشاد رشدي:

"يجب على الكاتب أن يتحاشى تقرير المعنى في قصته، فالمعنى في القصة يتخلّلها في البداية والوسط والنهاية، ولا يُمكن أن يُفهَم إلا من مجموع الأجزاء الثلاث، أما إذا احتوى جزء على المعنى دون الأجزاء الأخرى، فإن ذلك يعني أن القصة لا تصور حدثاً متكاملاً له وحدة"[٨٩].

وكل قصص فؤاد قنديل إذا لخصناها نُفقدها معناها، فالمهم عنده كيف صاغ القصة لا ماذا قالت القصة؛ فالقصة الجيدة "لا تستطيع أن تُلخصها وترويها دون أن تُفقدها معناها، لأن القصة لا تُعنى بنقل الخبر بل بتصوير حدث متكامل له وحدة"[٩٠].

الخاتمة:

يعد فؤاد قنديل واحداً من أبرز قاصي الجيل الذين يبدعون في القصة القصيرة إبداعاً متميزاً، وقد أصدر ست مجموعات قصصية هي "عقدة النساء" (١٩٧٨م)، وكلام الليل" (١٩٧٩م)، و"العجز" (١٩٨٣)، و"عسل الشمس" (١٩٩٠م)، و"شدو البلابل والكبرياء" (١٩٨٩م)، و"الغندورة" (١٩٩٦م) ... وله قصص أخرى لما تُجمع بعد في مجموعات.

وقد تناولنا في هذه الدراسة فن القصة القصيرة عند فؤاد قنديل من خلال مجموعته "عسل الشمس" التي صدرت عام ١٩٩٠م، والتي بتنوع أدائها الموضوعي والفني أبرزته صوتاً قصصياً متميزاً، وقد تناولت هذه المجموعة رؤيةً وأداءً في فصلين:

في الفصل الأول من هذه الدراسة وعنوانه "الدراسة الموضوعية"، تعرّفنا من خلاله على أهم القضايا التي تطرحها مجموعة "عسل الشمس" من خلال ثلاثة عناوين كبرى، هي القرية / السلطة / الآخر.

وقد لاحظنا في هذه المجموعة تعبير الكاتب عن الهامشيين، وتصويره للقرويين في موقفهم من المدينة، وانتماء الفقراء لمصر وحبهم لها، كما تعرفنا على تصويره للطغاة ووصفهم بأنهم مرضى.

ويُمكن القول إن هذه المجموعة قد حققت موضوعياً ما نادى به أحد النقاد البارزين حين قال:

"إن القصة في صورتها الجديدة التي نتوقها، وطال شوقنا إليها في مصر، هي التي ترد إلى الناس إيمانهم بالوطن، وولاءهم للعمل، وتُشيع فيهم التفاؤل والأمل، وتُقوّي بينهم روح المقاومة، وتُبشّر بوطن جديد، تزدهر فيه الحرية والديمقراطية والعدل الاجتماعي، وبغد جميل لاقهر فيه ولا إرهاب، تفعل ذلك فناً يتسرّب إلى النفس في خفاء، ويعمل في داخلها دون ضجيج"[٩١].

وقد استخدم الكاتب مجموعة من الأدوات الفنية – توقفنا عندها بالتحليل في الفصل الثاني – ومن هذه الأدوات: شاعرية اللغة، والتجسيم، والتضخيم، والمفارقة التصويرية (الجزئية أو الكلية)، والرمز، والسخرية.

بقي أن نُشير في ختام هذه هذه القراءة لهذه المجموعة القصصية المتفوقة لفؤاد قنديل إلى أن القصة القصيرة عنده تقدّم الإنسان المصري في الثمانينات الميلادية، مستفيدة من إنجازات فن القص العربي ومحاولات التجديد فيه، مضيفة بصمتها الخاصة – أو صوتها الخاص – في واقعيتها المصرية الشفيفة، التي توقفنا في الفصل الثاني أمام بعض ملامحها، وفي لغتها الآسرة التي تختلف مستوياتها ووظائفها من قصة إلى أخرى، وفي داخل القصة الواحدة بأدواتها المختلفة والمتباينة.

ونرجو أن تكون هذه الدراسة قد كشفت عوامل التفرد في فن القصة القصيرة عند فؤاد قنديل من خلال هذه المجموعة القصصية الجميلة "عسل الشمس".

والله من وراء القصد.

الحواشي

(١) وُلد فؤاد قنديل في قرية كفر سندنهور من أعمال بنها في ٥/١٠/١٩٤٤م، وقد حصل على درجة الليسانس في الفلسفة وعلم النفس، وهو يكتب القصة القصيرة من عام ١٩٦٦م، ونشرها في معظم الصحف والمجلات العربية . نال عدداً من الجوائز ؛ منها الجائزة الأولى من نادي القصة بالقاهرة عام ١٩٧٣م ، كما حصل على كأس أحسن كاتب قصة قصيرة عام ١٩٧٩م من جمعية القباني الأدبية، وحصل على جائزة نجيب محفوظ للوطن العربي عام ١٩٩٧م.

وهو عضو نادي القصة بالقاهرة، وعضو اتحاد الكتاب، ويعمل منذ ١٩٩٠م مديراً للنشر بالثقافة الجماهيرية، انظر فؤاد قنديل: **عشق الأخرس**، كتاب اليوم (العدد ٢٦٠)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة ١٩٨٦م، ص٣. وانظر عبد الله محمد بديع: حوار مع الروائي فؤاد قنديل، "**المجلة العربية**"، العدد (٢٦١)، شوال ١٤١٩هـ – فبراير ١٩٩٩م، ص٩٩.

(٢) سيد حامد النساج: **أصوات في القصة القصيرة المصرية**، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٤م، ص٤٠ .

(٣) كمال نشأت: "عسل الشمس" مجموعة قصصية لفؤاد قنديل، مجلة "**الثقافة الجديدة**"، القاهرة عدد خاص عن فؤاد قنديل، ١٩٩٢م، ص٣٥.

٤ – انظر: **عشق الأخرس**، كتاب اليوم (العدد ٢٦٠)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة ١٩٨٦م.

٥ – انظر : **مجموعة العجز**، روايات الهلال، (العدد ٧١٤)، دار الهلال، القاهرة سبتمبر ١٩٨٣م

٦ – محمد جبريل: **نجيب محفوظ: صداقة جيلين**، سلسلة "كتابات نقدية" (١٦)، مطابع الأهرام، القاهرة ١٩٩٣م، ص١٦٠.

٧ – عبد الحميد القط: **يوسف إدريس والفن القصصي**، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م، ص٢٩٩.

٨ – انظر المشهد كاملاً في: فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م، ص٧.

٩ – السابق، ص٨.

١٠– السابق، ص١٥.

١١ – يرى فؤاد قنديل الفلاحين "غلابة، طيبين، ... كل أملهم في الدنيا عشاء ساخن، وأقصى أمنيات الأم جلباب لها، وصندل لابنها" قصة "قرية فوق الأرض"، من **مجموعة العجز**، ص١٣٧.

١٢– السابق، ص٣٤.

١٣– توفيق الحكيم: **فن الأدب**، مكتبة الآداب،القاهرة د.ت. ، ص٢٢٦.

١٤– السابق، ص٣٧.

١٥– انظر نص الحوار في جريدة "**المسائية**"، العدد (٣٩٠٧)، الصادر في ١٣/١٢/١٩٩٤م، ص١٠.

١٦– السابق، ص١٠.

١٧– تشارلس مورجان: **الكاتب وعالمه**، ترجمة: د. شكري محمد عياد، الألف كتاب (العدد ٥٠٠)، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٤م، ص٣٥.

١٨– نصر محمد عباس: **البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة : دراسة نقدية تحليلية**، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص٨٥.

١٩– فؤاد قنديل : **عسل الشمس** ، ص٧.

٢٠– صبري حافظ : بنية الترجيعات النغمية المتداخلة والحلقات

القصصية، مجلة "**الثقافة الجديدة**"، القاهرة عدد خاص عن فؤاد قنديل، ١٩٩٢م، ص١٦.

٢١- السابق، ص١٦.

٢٢ - فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، ص١٢١ ، ١٢٢.

٢٣- السابق، ص١٣.

٢٤- السابق، ص١٢.

٢٥- السابق، ص١٤ ، ١٥.

٢٦- السابق، ص٢٥ ، ٢٦.

٢٧- في الأصل: مقاولون، وهو خطأ نحوي ظاهر.

٢٨- السابق، ص٢٩.

٢٩- السابق، ص٣٢ ، ٣٣.

٣٠- وكأن التفريط في الدين بارتكاب جريمة الزنا بطولة، وليس (خيانة) لشرع الله أيضاً.

٣١- صبري حافظ: بنية الترجيعات النغمية المتداخلة، مرجع سابق، ص١٩.

٣٢- صبري حافظ: بنية الترجيعات النغمية المتداخلة والحلقات القصصية، مرجع سابق، ص١٥.

٣٣- شكري محمد عياد : **الأدب في عالم متغير**، ط١، الهيئة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧١م، ص١٤٨.

٣٤- عبد المحسن طه بدر: **الروائي والأرض**، ط١، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧١م، ص٣٣ ، ٣٤.

٣٥- حسين علي محمد: **جماليات القصة القصيرة**، ط١، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٦م، ص٤٧.

٣٦- رشاد رشدي: **فن القصة القصيرة**، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٤م، ص١٠.

٣٧- أحمد فضل شبلول: **أصوات سعودية في القصة القصيرة**، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية ١٩٩٨م، ص١٨٢.

٣٨- فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، ص٩٥.

٣٩- عبد الحميد إبراهيم: **مقالات في النقد الأدبي (الجزء الحادي عشر)**، آمون للطباعة والتجليد، القاهرة ١٩٨٧م، ص١٤٥.

٤٠- عبد القادر القط: الإبداع القصصي في مجموعة قصص "عسل الشمس"، مجلة "**الثقافة الجديدة**"، القاهرة عدد خاص عن فؤاد قنديل، ١٩٩٢م، ص٩.

٤١- فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، ص١٢٢.

٤٢- فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، ص٧ ، ٨.

٤٣- السيد مرسي أبو ذكري: **العمل الأدبي بين الإبداع والأداء**، ط١، دار الطباعة الحديثة، القاهرة ١٩٨٧م، ص٣٤٤.

٤٤- السابق، ص٨.

٤٥- السابق: ابن بهانة (ص ص-١٥)، وعصر بهانة (ص ص١٩-٢٤)، وابن بهانة (ص ص٣٧-٤٦).

٤٦- السابق، ص١٠٤،١٠٥.

٤٧- السابق، ص١٠٤ ، ١٠٥.

٤٨- حامد أبو أحمد : تنويعات في الواقعية، مجلة "**إبداع**"، عدد نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٠م، ص١٨.

٤٩- فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، ص٢٤.

٥٠- السابق، ص٨٣.

٥١- السابق، ص٨٥.

٥٢- السابق، ص٤٤ ، ٤٥ .

٥٣- مسعد بن عيد العطوي: **الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية**، ط١، نادي القصيم الأدبي، بريدة ١٤١٥هـ، ص١١٩.

٥٤- علي عشري زايد: **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، ط٢، مكتبة دار العلوم، دار مرجان للطباعة، القاهرة ١٩٧٩م، ص١٣٧.

٥٥- السابق، ص٢٠.

٥٦- السابق، ص٣٤.
٥٧- السابق، ص٤٢.
٥٨- السابق، ص٢٥.
٥٩- السابق، ص٢٥.
٦٠- السابق، ص٢٥.
٦١- السابق، ص٣١.
٦٢- السابق، ص٢٦ ، ٢٧.
٦٣- السابق، ص٧.
٦٤- السابق، ص٣٤.
٦٥- صلاح فضل : **أساليب السرد في الرواية العربية**، سلسلة "كتابات نقدية"(٣٦)، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٥م، ص٣٤.
٦٦- سليمان الشطي: **الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ**، ط١، المطبعة العصرية الكويت ١٩٧٦م، ص٧.
٦٧- السابق، ص٧.
٦٨- حسين علي محمد: **البطل في المسرح الشعري المعاصر**، ط٢، مطابع الفارس العربي، الزقازيق ١٩٩٦م، ص٢٠.
٦٩- السابق، ص٢٤١.
٧٠- فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، ص١٠٠.
٧١- السابق، ص٥٢.
٧٢- السابق، ص٥٢ ، ٥٣. وتحمل كلمة "المركوب" في التراث الشفاهي المصري معنى أقرب إلى (الحذاء).
٧٣- السابق، ص٤٩.
٧٤- عرضنا تجليات المطاردة في أكثر من كتاب لنا، انظر "البطل الحاصر في قصة "الخروج من غرناطة" لصالح الصياد، في كتابنا **جماليات القصة القصيرة**، مرجع سابق، ص ص١٣٧-١٤٤، وانظر بحثنا : **صورة البطل المطارد في روايات محمد جبريل**، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية ١٩٩٩م.
٧٥- انظر عن الرمز الإيحائي كتابنا: **جماليات القصة القصيرة**، مرجع سابق، ص٢٣.
٧٦- فؤاد قنديل : **عسل الشمس**، ص٩.
٧٧- مراد عبد الرحمن مبروك: **الظواهر الفنية في القصة القصيرة المعاصرة في مصر (١٩٧٦-١٩٨٤)**، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م، ص٢٢٧.
٧٨- مراد عبد الرحمن مبروك: **الظواهر الفنية في القصة القصيرة**، مرجع سابق، ص٢٤٨.
٧٩- عبد الله الغذامي: **القصيدة والنص المضاد**، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩١ ٤٩٩٤م، ص١٦٠(بتصرف).
٨٠- أحمد محمد عطية: فؤاد قنديل بين الفاشية والصهيونية واليهودية، مجلة "**الموقف العربي**"، العدد (٥٣٠)، في ١٩٩٢/٦/١٥م، ص٤٨.
٨١- صابر عبد الدايم: إيقاع الحياة في "عسل الشمس" بين الواقع والفن"، مجلة "**الثقافة الجديدة**"، القاهرة عدد خاص عن فؤاد قنديل، ١٩٩٢م، ص٥٢.
٨٢- فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، ص٥٠.
٨٣- فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، ص٥١.
٨٤- فؤاد قنديل: **عسل الشمس**، ص٥١.
٨٥- السابق، ص٢٤.
٨٦- الأصوب تعبيرياً: سواء أكانت الخاصة أم العامة.
٨٧- السابق، ص٢٧.
٨٨- أحمد هيكل: النسيج القصصي عند يوسف إدريس، مجلة "**الهلال**"، سبتمبر ١٩٧٢م، ص١١٣.
٨٩- رشاد رشدي: **فن القصة القصيرة**، ص١٢٧.
٩٠- السابق، ص٤١.
٩١- الطاهر أحمد مكي: **القصة القصيرة : دراسة ومختارات**، ط٦، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٢م، ص١٣٣.

المصادر والمراجع

أحمد زلط :

١ – جماليات القصة القصيرة في "عسل الشمس"، مجلة "**الثقافة الجديدة**"، القاهرة عدد خاص عن فؤاد قنديل، ١٩٩٢م .

٢ – **في جماليات النص**، الشركة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٥م .

أحمد فضل شبلول :

٣ – **أصوات سعودية في القصة القصيرة**، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية ١٩٩٨م .

أحمد محمد عطية :

٤ – قصص فؤاد قنديل: بين اليهودية الفاشية والصهيونية، مجلة "**الموقف العربي**"، العدد ٥٣٠، في ١٩٩٢/٦/١٥م.

أحمد هيكل :

٥ – النسيج القصصي عند يوسف إدريس، مجلة "**الهلال**"، سبتمبر ١٩٧٢م.

تشارلس مورجان :

٦ – **الكاتب وعالمه**، ترجمة: د. شكري محمد عياد، الألف كتاب (العدد ٥٠٠)، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٤م .

توفيق الحكيم :

٧ – **فن الأدب**، مكتبة الآداب،القاهرة د.ت.

حامد أبو أحمد :

٨ – تنويعات في الواقعية، مجلة "**إبداع**"، عدد نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٠م .

حسين علي محمد :

٩ – **البطل في المسرح الشعري المعاصر**، ط٢، مطابع الفارس العربي، الزقازيق ١٩٩٦م.

١٠ – **جماليات القصة القصيرة**، ط١، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٦م .

١١ – حوار مع الروائي فؤاد قنديل، جريدة "**المسائية**"، العدد (٣٩٠٧)، الصادر في ١٩٩٤/١٢/١٣م .

١٢ – **صورة البطل المطارد في روايات محمد جبريل**، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، الإسكندرية ٩٩٩١م .

رشاد رشدي :

١٣ – **فن القصة القصيرة**، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٤م.

سليمان الشطي :

١٤ – **الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ**، ط١، المطبعة العصرية الكويت ١٩٧٦م.

السيد مرسي أبو ذكري :

١٥ – **العمل الأدبي بين الإبداع والأداء**، ط١، دار الطباعة الحديثة، القاهرة ١٩٨٧م .

سيد حامد النساج :

١٦ – **أصوات في القصة القصيرة المصرية**، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٤م .

شكري محمد عياد :

١٧ – **الأدب في عالم متغير**، ط١، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧١م .

صابر عبد الدايم :

١٨ – إيقاع الحياة في "عسل الشمس" بين الواقع والفن"، مجلة "**الثقافة الجديدة**"، القاهرة عدد خاص عن فؤاد قنديل، ١٩٩٢م.

صبري حافظ :

١٩ – بنية الترجيعات النغمية المتداخلة والحلقات القصصية، مجلة "**الثقافة الجديدة**"، القاهرة عدد خاص عن فؤاد قنديل، ١٩٩٢م.

صلاح فضل :

٢٠ – **أساليب السرد في الرواية**

العربية، سلسلة "كتابات نقدية"(٣٦) ، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٥م .

د. الطاهر أحمد مكي :

٢١ – **القصة القصيرة : دراسة ومختارات**، ط٦، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٢م .

عبد الحميد إبراهيم :

٢٢ – **مقالات في النقد الأدبي (الجزء الحادي عشر)**، آمون للطباعة والتجليد، القاهرة ١٩٨٧م .

عبد الحميد القط :

٢٣ – **يوسف إدريس والفن القصصي**، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م.

عبد القادر القط :

٢٤ – الإبداع القصصي في مجموعة قصص "عسل الشمس"، مجلة **"الثقافة الجديدة"**، القاهرة عدد خاص عن فؤاد قنديل، ١٩٩٢م.

عبد الله الغذامي :

٢٥ – **القصيدة والنص المضاد**، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٤م .

عبد الله محمد بديع :

٢٦ – حوار مع الروائي فؤاد قنديل، **"المجلة العربية"**، العدد (٢٦١)، شوال ١٤١٩هـ – فبراير ١٩٩٩م.

عبد المحسن طه بدر :

٢٧ – **الروائي والأرض**، ط١، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧١م .

علي عشري زايد :

٢٨ – **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، ط٢، مكتبة دار العلوم، دار مرجان للطباعة، القاهرة ١٩٧٩م، ص٧٣١.

فؤاد قنديل :

٢٩ – **العجز**، روايات الهلال، (العدد ٧١٤)، دار الهلال، القاهرة سبتمبر ١٩٨٣م .

٣٠ – **عسل الشمس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م .

٣١ – **عشق الأخرس**، كتاب اليوم (العدد ٢٦٠)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة ١٩٨٦م .

٣٢ – **الغندورة** ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٦م .

كمال نشأت :

٣٣ – "عسل الشمس" مجموعة قصصية لفؤاد قنديل ، مجلة **"الثقافة الجديدة"**، القاهرة عدد خاص عن فؤاد قنديل، ١٩٩٢م.

محمد جبريل :

٣٤ – **نجيب محفوظ: صداقة جيلين**، سلسلة "كتابات نقدية" (١٦)، مطابع الأهرام، القاهرة ١٩٩٣م.

مراد عبد الرحمن مبروك :

٣٥ – **الظواهر الفنية في القصة القصيرة المعاصرة في مصر (١٩٦٧ – ١٩٨٤)**، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م .

مسعد بن عيد العطوي :

٣٦ – **الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية**، ط١، نادي القصيم الأدبي، بريدة ١٤١٥هـ .

نصر محمد عباس :

٣٧ – **البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة: دراسة نقدية تحليلية** ، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

غرائب مالك بن أنس لابن المظفر البزاز (ت ٣٧٩ هـ)

تحقيق : طه بن علي بوسريح

أبو عبدالباري رضا بوشامة الجزائري

الجزائر

البزاز ، أبو الحسين محمد بن المظفر (ت ٣٧٩هـ) / غرائب مالك بن أنس ؛ تحقيق طه علي بوسريح .- بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٨م .

يعدّ موطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة من أكثر الكتب ذيوعاً في العالم الإسلامي ، وقد حظي بخدمة أجلة العلماء ، فعكف عليه أسلافنا من بين شارح له ومختصر، ومرتّب له على أبواب معينة ، وموصل لأحاديثه المقطوعة والمرسلة ، ومبيّن لألفاظه الغريبة ، إلى غير ذلك مما حواه من العلوم الجمة ، والفوائد الكثيرة .

ومن تلك المؤلفات التي عُنيت بالموطأ ما وضعه الإمام الحافظ أبو الحسين محمد بن المظفر البزاز (ت ٣٧٩هـ) في ذكر غرائب حديث مالك بن أنس رحمة الله عليه سنداً ومتناً ، وبيَّن علل الروايات المخالفة للمشهور عن مالك ، فخرج الكتاب لطيفاً في موضوعه ، قوياً في مادته ، أسند المؤلف أحاديثه ، وبيَّن العلل ، وذكر المحفوظ والشاذ .

وقمت بتحقيق هذا الكتاب وخدمته – حسب القدرة والاستطاعة مع قلة البضاعة – ونشر في طبعته الأولى سنة (١٤١٨هـ) بدار السلف بالرياض ، ونال إعجاب بعض الباحثين ، ولله الحمد والمنَّة .

وبعد برهة قليلة من الزمن اطلعتُ على تحقيق آخر للكتاب قام بتحقيقه رجل من البلاد التونسية يُسمى طه بن علي بوسريح ، نشرته دار الغرب الإسلامي عام (١٩٩٨م) في طبعته الأولى – وهي الدار التي عُنيت أيما عناية بإخراج الكتب التراثية التي تخدم مذهب إمام دار الهجرة سواء الفقهية كانت أم الحديثية – ولَمَّا وقفتُ على الكتاب أعجبني إخراجه الفني ، وساءني إخراجه العلمي – ومن قبل عهدت المحقق مصحِّفاً بدءاً بكتاب الجوهري «مسند الموطأ» الذي أخرجه مع زميله لطفي الصغير وفيه من التصحيف والسقط الشيء الكثير، ولعل الله أن ييسِّر إخراج تلك الملاحظات حول الكتاب إن شاء الله – فبدأت أقرأ وأتصفح كتاب غرائب مالك لابن المظفر، فإذا بي أقف على عَبَث بتراث الأمة، وصورة من صور التحقيق المشوَّه، يُذكِّرني بتحقيقات (تصحيفات) ذلك المصري المتسلِّط على تراث الأمة محمد زينهم محمد عزب ، فبدأت أقارن النصَّ المطبوع بالمخطوط فهالني ما فيه من الفروق والنسخة واحدة لا ثانية لها ، فتحقيقه كما قيل :

أقول له زيداً فيسمع خالداً
ويكتبه عمراً ويقرأه بشراً

وبعد أن انتهيتُ من التعليق على كتابه وبيان تلك الفروقات، نصحني بعض الغيورين على العلم وتراث السلف بكتابة مقال أبيِّن من خلاله ما وقع فيه المحقق ! من أغلاط وأخطاء ، فعزمت المضي في ذلك لا للتشهير بالمحقق وتعييره، وإنما نصحاً لله وكتابه ، كيف لا والمحقق في كتابه أشار إلى بعض التصحيفات الواقعة في كتب من قبله من المحققين والمعلقين ، فمذهبه بيان الأخطاء والتصحيفات الواقعة في الكتب ، فانتهجنا مذهبه ، بل هو المذهب الحق الذي يجب اتباعه لحماية التراث من الجناية عليه على أيدي العابثين (١) .

قال السخاوي رحمه الله : «وكذا صنف فيه (٢) الخطابي وابن الجوزي ، لا لمجرد الطعن بذلك من أحد منهم في واحد ممن صحف ولا للوضع منه ، وإن كان

المُكثر ملوماً والمشتهر بين النقاد مذموماً ، بل إيثاراً لبيان الصواب وإشهاراً له بين الطلاب ، ولهذا لما ذكر الخطيب في جامعه أنه عيب جماعة من الطلبة بتصحيفهم في الأسانيد والمتون ، ودوّن عنهم ما صحفوه، قال : وأنا أذكر بعض ذلك ليكون داعياً لمن وقف عليه إلى التحفظ من مثله إن شاء الله ، لا سيما وينبغي لقارئ الحديث أن يتفكر فيما يقرؤه حتى يسلم منه ، وقول العسكري إنه قد عيب بالتصحيف جماعة من العلماء ، وفضح به كثير من الأدباء وسُمُّوا الصحيفة ، ونهيُ العلماء عن الحمل عنهم محمول على المتكرر منهم، وإلا فما يسلم من زلة وخطأ إلا من عصم الله ، والسعيد من عُدت غلطاته» (٣) .

وقد وقع محقق كتاب غرائب حديث مالك في أخطاء كثيرة بعضها ناتج عن سوء قراءة النص ، وبعضها عن جهل بالتحقيق وأصوله .

وقد انتهجت في بيان تصحيفاته وأخطائه المنهج التالي:

قسمت ما وقع فيه المحقق من أخطاء إلى أربعة أقسام:

الأول : السقط .

الثاني : التصحيف .

الثالث : أخطاء علمية .

الرابع : زيادات في النص .

الخامس : بياضات وفراغات تركها المحقق .

وقد تتداخل هذه النقاط في بعضها ، كأن يكون النص مشتملاً على سقط وتصحيف ، فأورده في مكان واحد، ويتبينها القارئ بالمقابلة بين النصَّين .

وقد لا أورد جميع التصحيفات التي وقع فيها المحقق، ليسر الأمر في بعضها كزيادة حرف أو إسقاطه، وهذا إذا لم يكن مخلّاً بالمعنى ، ولو تقصَّيت جميع ذلك لطال الأمر، كما أنه كثر في الكتاب الأخطاء المطبعية وهذه لا أنبِّه عليها لسهولة تداركها ومعرفتها ، وكذا وقع فيه بعض الزيادات في الأسانيد والمتون ، كنسبة الرجل وذكر اسم أبيه ، وغير ذلك ، ولعل هذا ناتج من أن صورة المخطوط عنده ليست واضحة فزاد فيها ما ظنه أنه مكمل لها ، والله أعلم .

وقد أنقل بعض التخريجات وأقوال أهل العلم من تحقيقي للكتاب، ولا أشير إلى صفحات الكتب، وإنما أكتفي بالإحالة إلى غرائب مالك بتحقيقي لمن شاء التأكد والاطمئنان .

وقد البدء في ذلك ههنا تنبيهات مهمة تتعلق بأول الكتاب وآخره :

١ - اسم الكتاب :

قال المحقق : غرائب مالك بن أنس .

والصواب : غرائب حديث أبي عبدالله مالك بن أنس .

٢ - لم يذكر المحقق السماع الموجود في اللوحة الأولى من الكتاب، وإن كان ترجم لرواته في المقدمة، وهو كالتالي:

رواية : القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن أحمد ابن يعقوب الواسطي عنه .

رواية : الشيخ الأمين أبي الفضل أحمد بن الحسن ابن خيرون الباقلاني عنه .

رواية : أبي الفتح محمد بن عبدالباقي بن أحمد بن سلمان ابن البطي الحاجب عنه لإسماعيل بن عبدالله بن عبدالمحسن ابن الأنماطي الأنصاري رفق الله به آمين.

٣ - لم يذكر المحقق ما ورد في آخر الكتاب ، وهو كالتالي :

آخر الجزء والحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

كتبه لنفسه : إسماعيل بن عبدالله بن عبدالمحسن ابن الأنماطي الأنصاري المصري بدمشق في ربيع الآخر سنة ثنتي عشرة وستمائة .

٤ - لم يورد المحقق السماعات الموجودة في آخر النسخة مع أهميتها من حيث إثبات صحة نسبة الكتاب للمؤلف ، وكذا تداول العلماء لهذه النسخة وسماعها، فلعله تركها لصعوبة قراءة بعض الأسماء فيها ، ومن أرادها فلينظرها في تحقيقي للكتاب (ص ٢٥٣ - ٢٥٤) .

وهذا أوان الشروع في المقصود .

أولاً : السقط في النصوص ، وقد أخلَّ ذلك بالمعنى سواء من ناحية الإسناد أو المتن . وجعلتُ الساقط بين معقوفين فليتنبه له .

الحديث رقم (١) :

أنا القاضي أبو العلاء محمد [بن علي] بن أحمد بن يعقوب الواسطي .

الحديث رقم (٩) :

حدَّثناه أبو الفضل جعفر بن الصقر بن الصلت [بمصر] ، نا أبو الشريف .

الحديث رقم (٢٥) :

حدثنا [أبو بكر] محمد بن زبَّان .

ثم قدم الثوري فحدثنا به عنك .

الحديث رقم (٣٥) :

نا الحسن [بن علي] الحلواني .

الحديث رقم : (٣٦) .

أن رسول الله ﷺ أكل كتف شاة [ثم صلى] ولم يتوضأ .

الحديث رقم (٥١) :

وحدثنا [علي بن أحمد نا] أحمد بن سعيد .

الحديث رقم (٥٢) :

حدثني أبو بكر أحمد [بن محمد] بن عبدالوهاب .

الحديث رقم (٧٠) :

سقط في آخره قول المصنف : [في الموطأ : مالك ، عن أبي بكر بن نافع] .

الحديث رقم (٩٦) :

نا [إبراهيم] بن مرزوق .

الحديث رقم (١٣٧) :

عن ابن وهب، حدثني مالك [والليث]، عن يحيى بن سعيد.

الحديث رقم (١٦١) :

عن أبي النضر [سالم] ، ثنا عبيد الله بن أبي رافع .

ثانياً : التصحيف والتحريف ، وهذا كثير في الكتاب، مما جعل المحقق يقع في أوهام وأخطاء علمية شنيعة ، وجعله يأتي بأشياء لا معنى لها ، فغيَّر المعنى واختلق أسانيد لا وجود لها .

الحديث رقم (٤) :

يسقطن في حَجْرِي .

الصواب : يسقطن في حُجرتي .

الحديث رقم (٩) :

عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن مطيع عن نوفل .

الصواب : عن أبي بكر بن عبدالرحمن ، عن عبدالرحمن بن مطيع عن نوفل .

الحديث رقم (١١) :

والله ما علمنا إلا عاملاً صالحاً .

وعلق المحقق على كلمة «عاملاً» فقال : الكلمة غير واضحة في الأصل .

الصواب : والله ما علمنا إلا عفافاً وصلاحاً .

قلت : والكلمة واضحة في الأصل لا تحتاج إلى تصحيف !

الحديث رقم (١٢) :

أنتم تزرَّون على صاحبكم ، قال : قلت : الشافعي ما رأى محمد بن الحسن مثل مالك .

ثم علق المحقق على كلمة «تزرّون» وقال : الكلمة غير واضحة في الأصل .

الصواب : أنتم تُزرون على صاحبكم ، قال محمد بن طالب الشافعي : ما رأى محمد بن الحسن مثل مالك .

وقوله : «تُزرون» واضحة في الأصل وفي اللغة ، قال ابن فارس : «الزاء والراء والحرف المعتل يدل على احتقار الشيء والتهاون به، يُقال : زريتُ عليه إذا عبت عليه، وأزريت به : قصرّت به . انظر : معجم مقاييس اللغة (٥٢/٣) .

الحديث رقم (١٦) :

حدثني محمد بن غيلان ، نا عبدالله بن يزيد .

الصواب : حدثني يحيى بن غيلان ، نا عبدالله بن بزيع .

الحديث رقم (٢٧) :

فكان يبدأ فيغسل رأسه .

الصواب : فكان يبدأ فيغسل يديه .

الحديث رقم (٣٠) :

فجاء إلى النبي ﷺ وهو واضع رأسه .

الصواب : فجاء ورسول الله ﷺ واضعٌ رأسه .

الحديث رقم (٣١) :

فقام رسول الله ﷺ على أثره .

الصواب : فقام رسول الله ﷺ على التماسه .

فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضعٌ رأسه على فخذي فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول .

الصواب : فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضعٌ رأسه على فخذي قد نام ، فقال ما شاء الله أن يقول .

الحديث رقم (٣٣) :

وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بحمص .

وعلق المحقق على كلمة «حمص» فقال : غير واضحة بالأصل ، وأظنها بمصر ، وما أثبته جاء في تاريخ بغداد .

قلت : الصواب أنها مصر كما هي واضحة في النسخة ، وما جاء في تاريخ بغداد تصحيف .

- نا مالك بن أنس ، نا ثور بن زيد الديلي .

الصواب : نا مالك بن أنس ، عن ثور بن زيد الديلي .

الحديث رقم (٣٤) :

قلت لمالك بن أنس : قد حدثنا ابن جريج فحدثنا عن الثوري عنك .

الصواب : قلت لمالك بن أنس : قدم علينا ابن جريج فحدثنا عن الثوري عنك .

الحديث رقم (٣٥) :

عن يزيد بن عبدالله بن الهاد .

الصواب : عن يزيد بن عبدالله بن قُسيط .

الحديث رقم (٤٢) :

حدثنا أبو عروبة الحسين بن محمد بن مشدود .

ثم علق المحقق على كلمة «مشدود» فقال : غير واضحة بالأصل .

قلت : بل هي واضحة ، وصوابها : مودود . ثم لو رجع المحقق إلى ترجمة الرجل لاتضحت له الكلمة !!

- من أكل من هذه الشجرة الخبيثة أو المنتنة - مالك يشك - .

الصواب : من أكل من هذه الشجرة الخبيثة أو المنتنة ، قال : أنا أشك .

الحديث رقم (٤٤) :

نا هُوير بن معاذ .

الصواب : هَوبر بن معاذ .

قلت : والمحقق نقل ترجمته من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، وفيها هوبَر بالباء الموحدة ، مع ذلك صحف في الأصل وفي التعليق !!

الحديث رقم (٤٥) :

فأحكم له بقدر ما أسمع .

الصواب : فأقضي له بقدر ما أسمع .

الحديث رقم (٤٨) :

نا جعفر بن عبدالواحد قال : لنا ابن حرب ، نا مالك.

الصواب : نا جعفر بن عبدالواحد : قال لنا مطرف ، نا مالك .

قلت : والمحقق لم يعرِّف لنا بهذا الراوي عن مالك المخترع (ابن حرب) !!

الحديث رقم (٤٩) :

عن عروة ، عن عائشة ، «صامت هي وحفصة» .

الصواب : عن عروة : أن عائشة صامت هي وحفصة.

الحديث رقم (٦١) :

قال له تميم الداري : يا رسول الله ألا أجعل لك منبراً أتكئ عليه ما شئت أو أفعل فجعل له مرقاته بموضع لمجلسه .

الصواب : قال له تميم الداري : يا رسول الله ألا أجعل لك منبراً تتكئ عليه ؟ قال : ما شئت أو افعل ، فجعل له مرقاتين وموضعاً لمجلسه .

الحديث رقم (٦٣) :

نا عمر بن مرزوق قال : نا مالك .

الصواب : نا عمرو بن مرزوق قال : نا مالك .

في الموطأ عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

الصواب : في الموطأ عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة نحو هذا الحديث .

الحديث رقم (٦٦) :

حدثنا أبو بكر محمد بن مسكين بن عبدالله .

الصواب : حدثنا أبو بكر محمد بن بشر بن عبدالله .

الحديث رقم (٧٣) :

نا ابن وهب، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيدالله، عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود : دخل على طلحة يعوده .

الصواب : نا ابن وهب ، أخبرني مالك ، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيدالله ، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود : أنه دخل على أبي طلحة يعوده .

الحديث رقم (٨١) :

الثُّيب أحق بأنفسهن من وليهن والبكر تُستأمر في نفسها .

الصواب : «الثُّيب أحق بأنفسهن من وليهن والبكر يستأذنها أبوها» .

الحديث رقم (٨٩) :

الغسل يوم الجمعة واجب ، فقالوا له هذا عن النبي ﷺ قال : لا تُلقني .

الصواب : الغسل يوم الجمعة واجب ، فقال رجل : عن النبي ﷺ ؟ قال : لا تُلقني .

الحديث رقم (٩٤) :

نا سليمان بن منيف .

الصواب : نا سليمان بن سيف .

الحديث رقم (١٠٣) :

حدثنا أحمد بن علي .

الصواب : حدثنا أحمد بن عبدالله البيِّع .

الحديث رقم (١٠٨) :

نا محمد بن حوان بن شعبة ، نا خالد بن مخلد ، عن مالك ، عن أبي نعيم وهب بن كيسان ، عن عمر بن أبي سلمة قال : قال رسول الله ﷺ .

الصواب : نا محمد بن جُوَان بن شعبة ، نا خالد بن مخلد ، نا مالك ، عن أبي نعيم وهب بن كيسان ، عن عمر ابن أبي سلمة قال : قال لي رسول الله ﷺ .

الحديث رقم (١١٥) :

نا عيسى بن أدهم .

الصواب : نا عيسى بن إبراهيم .

الحديث رقم (١١٧) :

حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن علي الحضرمي .

الصواب : حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن علي الجوهري .

الحديث رقم (١١٩) :

حدثنا علي بن أحمد بن سليمان .

الصواب : حدثنا محمد بن محمد بن سليمان .

الحديث رقم (١٢١) :

حدثنا يحيى بن محمد من أصل كتابه وأحمد بن عمرو بن بن جابر قالا : نا محمد بن عوف ، قرأت على إسحاق بن إبراهيم الحُنيسي عن مالك عن نافع .

الصواب : حدثنا يحيى بن محمد ، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن جابر ، قالا : نا محمد بن عوف : قرأت على إسحاق ابن إبراهيم الحُنَيْني ، عن مالك ، والعُمري ، عن نافع .

الحديث رقم (١٢٢) :

حدثناه يحيى بن محمد بن يحيى بن سليمان بن نضلة.

الصواب : حدثناه يحيى بن محمد ، نا يحيى بن سليمان بن نضلة .

الحديث رقم (١٢٩) :

نا ابن وهب ، حدثني سعيد بن عبدالرحمن الجمحي ، عن مالك بن أنس .

الصواب : نا ابن وهب ، حدثني سعيد بن عبدالرحمن الجمحي، ومالك بن أنس .

الحديث رقم (١٥٤) :

حدثنا عبدالله بن محمد بن محمد ، نا طاهر بن خالد ابن نزار ونا أبي .

الصواب : حدثنا عبدالله بن محمد بمصر ، نا طاهر ابن خالد بن نزار ، نا أبي .

الحديث رقم (١٥٥) :

حدثنا أحمد بن عمير، نا القاسم بن مروان بن يوسف.

الصواب : حدثنا أحمد بن عمير ، نا الهيثم بن مروان ابن يوسف .

ثم إن ذكر يوسف في الأصل المخطوط خطأ نبهت عليه في تحقيقي للكتاب .

الحديث رقم (١٥٨) :

حدثنا أيوب بن محمد بن محمد بن داود القرى بمصر ، نا ابن سهل الحضرمي .

الصواب : حدثنا أبو بكر محمد بن داود المقرئ بمصر ، نا مسعود بن سهل الحضرمي .

الحديث رقم (١٥٩) :

حدثني زيد بن يحيى بن عبيدالله ، عن مالك .

الصواب : حدثني زيد بن يحيى بن عبيد ، نا مالك .

الحديث رقم (١٦٣) :

حدثنا أحمد بن نصر ، نا محمد بن سهم الأنطاكي .

الصواب : حدثنا أحمد بن نصر ، نا أحمد بن إبراهيم الأنطاكي .

الحديث رقم (١٦٥) :

نا الوليد بن مسلم ، حدثني مالك بن أنس .

الصواب : نا الوليد بن مسلم ، حدثني مالك وغيره .

الحديث رقم (١٦٧) :

حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالله الواسطي ، نا طليق بن محمد بن السكن الواسطي ، نا عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل ... عن هانئ بن هانئ ، عن علي ، عن النبي ﷺ قال : «استأذن عمار على النبي ﷺ [ائذنوا] مرحباً ، للطيّب المطيَّب» .

الصواب : حدثنا أبو الحسن علي بن إسماعيل الدقاق، نا طليق بن محمد بن السكن الواسطي، نا عبيدالله بن موسى، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، عن هانئ بن هانئ ، عن علي ، عن النبي ﷺ قال : استأذن عمار على النبي ﷺ فقال : «مرحباً ، ائذنوا للطيب المطيب .

الحديث رقم (١٧٩) :

حدثنا أسامة بن علي ، نا عبدالرحمن بن خالد ، نا عبدالرحمن بن الرصافي ، نا زهير بن إسحاق السلولي ، عن أبي عامر الخزاز ، عن أبي بصرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «إن آية النفاق أن تذكر القوم وما ذُكروا فإا أمسكت عنهم لم يُذكروا ، فلا تذكروا فلا تكونوا كاليهود إذا تليت عليهم التوراة ما دوالها وإذا لم يكن من وراء ذلك شيء» .

الصواب : حدثنا أسامة بن علي ، نا عبدالرحمن ابن خالد ، نا عبدالرحمن بن زياد الرصاصي ، نا زهير ابن إسحاق السّلولي ، عن أبي عامر الخزاز ، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «إن آية النفاق أن يذكر القوم ما ذُكروا ، فإذا أمسك عنهم لم يذكروا ، فلا تكونوا كاليهود إذا تليت عليهم التوراة نادوا(٤) لها ، وإذا أمسك عنهم لم يكن من وراء ذلك شيء» .

الحديث رقم (١٩٤) :

حدثنا إسحاق بن بيان بن معن الأنماطي ، نا أبو همام الوليد بن يحيى شجاع .

الصواب : حدثنا إسحاق بن بُنَان بن معن الأنماطي ، نا أبو هَمَّام الوليد بن شجاع .

ثالثاً : أخطاء علمية وقع فيها المحقق ، وهذه كثيرة وهي أخطر ما في الكتاب ، بعضها ناتج من قلة ممارسته لهذا الفن – أعني علم الحديث ودراسة الأسانيد – والكثير منها سببه التصحيف والتحريف ، أنتجا له عدم الوقوف على تراجم كثيرة لرواة صحف أسماءهم ، ثم أداه اجتهاده أن يحكم على بعضهم بالجهالة ، فبالتالي ضعف الأسانيد التي صحفها ، وهذا فيه تسور وتجاسر على تراث الأمة ، وهو أخطر شيء ينتجه التصحيف والتحريف، والله المستعان .

الحديث رقم (٨) :

ضعَّف المحقق إسناد هذا الحديث بمخالفة عبدالرحمن بن إسحاق لأبن أبي ذئب ، وسرد بعض أقوال أهل العلم في عبدالرحمن بن إسحاق ، وأنه متكلَّم فيه ، وقال في آخر التعليق : مَن كان هذه حاله لا يقوى على مخالفة من هو أوثق منه ممن هو مثل ابن أبي ذئب ، فيغلب على الظن أن زيادته تلك في الإسناد خطأ، والله أعلم .

قلت : يعني بالزيادة في الإسناد ما رواه عبدالرحمن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن عبدالرحمن ، عن عبدالرحمن بن مطيع ، عن نوفل بن معاوية . وابن أبي ذئب يرويه عن الزهري ، عن أبي بكر ، عن نوفل بن معاوية، ولم يذكر عبدالرحمن بن مطيع .

فأعلَّ المحقق رواية عبدالرحمن بن إسحاق برواية ابن أبي ذئب ، وهذا صحيح لو انفرد بهذا الإسناد عبدالرحمن بن إسحاق ، فكيف وقد تابعه ثقتان ، صالح ابن كيسان عند البخاري ومسلم ، وإبراهيم بن سعد عند أحمد في المسند .

ثم إن ابن أبي ذئب متكلَّم في روايته عن الزهري .

وقد قال الحافظ ابن رجب : «ورواه ابن أبي ذئب عن الزهري فأسقط من إسناده عبدالرحمن بن مطيع» .أتعليق المحقق يُقبل أم تعليل ابن رجب رحمه الله ؟ ! انظر : غرائب مالك بتحقيقي (ص ٤٥ – ٤٦) .

الحديث رقم (١٣) :

قال المحقق معلقاً عليه : إسناده صحيح رجاله ثقات .

قلت : أنَّى لإسناده الصحة ، وشيخ المصنف متروك الحديث ؟ !

الحديث رقم (١٦) :

علق المحقق على هذا الإسناد فقال : إسناده صحيح .

ثم أخرج الحديث من الموطآت ، كرواية ابن القاسم ويحيى وغيرهما .

قلت : أولاً : الإسناد ضعيف ، فيه عبدالله بن بزيع الذي صحفه المحقق إلى يزيد وهو ضعيف .

ثانياً : الصواب في هذا الإسناد أن عبدالله بن بزيع يرويه عن روح بن القاسم عن الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مرفوعاً ، وسقط من النسخة ذكر النبي ﷺ ، والصواب إثباته ، خاصة أن المصنف ذكر قبل هذا الحديث إسناد ابن وهب إلى مالك موقوفاً على أبي هريرة، ثم أردفه بهذا الإسناد الغريب عن مالك مرفوعاً، وهذا الذي ذكره ابن عبدالبر في التمهيد ، كما بينت ذلك في تحقيقي للكتاب (ص ٥٣) .

الحديث رقم (٢٠) :

علق المحقق على أبي سبرة أحد رواة الحديث فقال في الحاشية (٢) : «أبو سبرة محمد بن عبدالرحمن القرشي المدني ، ذكره المزي في الرواة عن مطرف (٧٢/٢٨) ، ولم أجد ترجمته إلى الآن ، ويبدو أنه مجهول .

قلت : كيف استساغ المحقق أن يحكم على رجل بالجهالة بحجة أنه لم يقف على ترجمته ، فلعل المحقق من كبار الحفاظ ؟ !! أم أنه استقصى جميع كتب الرجال ؟ أم أنه ادعاء وتطفُّل على العلم ؟ كيف لا وكثير من كتب الرجال في عداد المفقود لم يطلع عليها كبار المحققين والعلماء، كالتمييز للإمام النسائي ، وتاريخ نيسابور للحاكم ، وغيرها كثير ، فكيف بطالب علم ، فكيف بمصحِّف جاهل .

وأما أبو سبرة فهو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن أبو سبرة المدني ، قال الدارقطني : يروي عن مطرف عن مالك أحاديث عدد يخطئ فيها عليه ، وقال أيضاً كثير الوهم . كما ضعفه أبو أحمد الحاكم والذهبي . انظر : تعليقي على الكتاب (ص ٥٧) .

الحديث رقم (٢١) :

نا محمد بن سعد البيروتي : قرأتُ في نسخة الأوزاعي : عطاء بن أبي العشرين عن أبيه ، عن الزهري .

ثم علق المحقق الفاضل ! على الحديث فقال : «إسناده ضعيف . عطاء وأبوه لم أجد ترجمتها إلى الآن ،

ولم يذكروا في الرواة عن الزهري أبا العشرين» .

قلت : وعلى تعليقه عدَّة ملاحظات :

١ - التصحيف الذي وقع فيه وصوابه : نا محمد بن سعد البيروتي : قرأتُ في نسخة ابن الأوزاعي بخط ابن أبي العشرين - عن أبيه ، عن الزهري .

٢ - لا ينبغي أن يضعف إسنادَ حديث ما من هو مبتدئ في هذا الفن بزعم أنه لم يقف على ترجمة رجل من رجال الإسناد فضلاً عن مصحِّف لا يدري ما يكتب ولا ما يقرأ !

٣ - عطاء بن أبي العشرين لا وجود له في الدنيا ، فلو بحث المحقق ! كلَّ كتب الرجال المؤلفة مخطوطها ومطبوعها لن يجد رجلاً اسمه عطاء بن أبي العشرين يروي عن أبيه وأبوه يروي عن الزهري !

٤ - نتج عدم وجود ترجمة عطاء وأبيه من تصحيف المحقق فابن الأوزاعي واسمه محمد بن عبدالرحمن ابن عمرو - ولم يعرِّج المحقق لبيان اسمه ولا من هو - يروي عن أبيه نسخة كتبها ابن أبي العشرين ، واسمه عبدالحميد ابن حبيب ، وهو كاتب الأوزاعي كما في ترجمته . فلا عطاء في الإسناد ولا أبوه ، وإنما هو : قرأتُ في نسخة ابن الأوزاعي بخط ابن أبي العشرين عن أبيه - أي الأوزاعي - والله المستعان .

الحديث رقم (٢٤) :

قال الشيخ : في الموطأ : مالك ، عن الزهري ، عن سعد .

علق المحقق على قول أبي المظفر فقال : «لم أجده في الموطآت التي اطلعت عليها المخطوطة والمطبوعة ! فإما أن يكون في بعضها مما لم يصل إلينا أو سبق قلم من المؤلف رحمه الله تعالى .

قلت : لو اقتصر المحقق على التعليل الأول لكان مقبولاً ، أما أن يكون سبق قلم من حافظ يدري ما يقول وما يكتب ، فهل اطلع المحقق على الموطآت كلها وهو يعلم أنه روى عن مالك موطَّأه أكثر من سبعين رجلاً .

مع أن هذا الإسناد عزاه لأبي مصعب في موطئه أبو العباس الداني في أطراف الموطأ .

وهو في موطأ ابن وهب وابن القاسم كما في الجمع بين روايتيهما (ل : ١٢٢/ب) والمحقق كثير العزو لهذه النسخة ولم يبين أنها جمع بين روايتين .

وأخرجه الدارقطني في غرائب مالك كما في فتح الباري لابن حجر من طريق ابن وهب .

وهو في موطأ محمد بن الحسن إلا أنه قال : عن ابن شهاب ، بلغني عن سعد . انظر : تحقيقي للكتاب (ص ٦١- ٦٢) .

الحديث رقم (٢٨) :

علق المحقق في الحاشية (٢) على هذا الحديث فقال : «... وتوسط فيه البخاري في التاريخ الكبير (٧٩١/١) فقال : مستقيم الحديث» .

قلت : لم يرد هذا القول في التاريخ الكبير للبخاري بالمجلد نفسه والصفحة المذكورة ، ولم يُعهد عن البخاري أنه يقول في الراوي مستقيم الحديث ، وإنما هو قول ابن حبان في الثقات (١٠٧/٩) .

الحديث رقم (٣٧) :

حدثنا أبو الحسن علي بن سعيد بمصر .

ثم أخذ المحقق يترجم لعلي بن سعيد المعروف بعليّك !!

قلت : **الصواب** : حدثنا أبو رافع أسامة بن علي بن سعيد بمصر .

وأبو رافع هذا أيضاً من شيوخ المصنف وله ترجمة في تاريخ الإسلام للذهبي ، وروى عنه المصنف في مواضع أخرى من هذا الكتاب !

الحديث رقم (٣٩) :

علق المحقق على هذا الحديث بكلام كثير وطويل رد فيه على بعض المحققين المعاصرين ، وألصق الوهم في الحديث بمعن بن عيسى وذكر أنه فهمه من كلام أبي نعيم وابن عبدالبر والمؤلف .

قلت : المؤلف ساق الإسناد ولم يتعقبه بشيء ، وابن

عبدالبر لا يفهم من كلامه أن الخطأ فيه من معن ، وأما أبو نعيم ففي كلامه ما يدل أن معناً تفرد به عن مالك .

ولا يلزم من هذا كله أن الخطأ فيه من معن ، بل الخطأ فيه من الراوي عنه، وهذا الذي ذكره الدارقطني وأبو العباس الداني . انظر: تعليقي على الحديث (ص٨٠).

الحديث رقم (٤٠) :

قال في تعليقه : أبو سبرة بن محمد بن عبدالرحمن مضى الكلام عليه تحت حديث رقم (٢٠) وبينت هناك أنه مجهول .

قلت : كذا قال غفر الله له ، مع أنه لم يذكر هناك أنه لم يجد له ترجمة ، فهو مجهول عند المحقق الحافظ !

والواقع أن الرجل ليس بمجهول بل هو معروف كما تقدم التنبيه عليه .

الحديث رقم (٥٨) :

حدثنا أحمد بن سليمان .

ثم علق عليه المحقق فقال : زيادة من هامش الأصل ، وعليه علامة التصحيح .

قلت : ما كان ينبغي له أن يُعلق عليه بذلك ؛ لأن ما كان ملحقاً مصححاً فهو من الأصل ، ثم إن الصواب أنه محمد بن محمد بن سليمان لا أحمد بن سليمان وهو واضح في هامش الأصل .

الحديث رقم (٥٩) :

علق المحقق الحافظ على إسناد هذا الحديث بقول : إسناده ضعيف من هذه الطريق والحديث صحيح .

ثم ذكر علة الإسناد وهو محمد بن عبدالرحيم بن شروس ، ولم يجد فيه قولاً بجرح أو توثيق ، ثم قال : ابن شروس ليس فيه من الكلام أكثر من هذا ، والظاهر أنه مجهول الحال والله أعلم .

قلت : كذا قال ، وكأنه استقرأ جميع كتب الرجال وحكم على الرجل بالجهالة مع أنه ثقة كما قال الخليلي في الإرشاد ، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا التواضع والمعرفة بقدر أنفسنا .

الحديث رقم (٦٣) :

علق المحقق على إسناد هذا الحديث . فقال : جعفر ابن هاشم لم أجد ترجمته ولم يذكره المزي في الرواة عن عمرو بن مرزوق .

قلت : هو ابن يحيى أبو يحيى العسكري ، وله ترجمة في تاريخ بغداد ، وهو ثقة .

الحديث رقم (٦٤) :

علق فضيلة المحقق على الحديث فقال : تبين لي باستقراء صنيع المؤلف في هذا الكتاب أن قوله : «في الموطأ» يعني به المحفوظ عن مالك ، أو الصحيح عن مالك ونحو هذا والله أعلم .

قلت : ومستند المحقق الحافظ المستقرئ أن الحديث لا يوجد في الموطآت المطبوعة، وكأنه تغافل أن المصنف يروي الأحاديث التي يقول فيها «في الموطأ» من طريق ابن وهب، وابن القاسم وغيرهما من أصحاب الموطأ، وعدم وجود الحديث في الموطآت المطبوعة لا يعني عدم وجوده في كل الموطآت ، ثم إن المصنف يعبر في بعض الأحيان بقوله : «المحفوظ كذا» فهو إذا قال في الموطأ يعني أن الحديث في أحد الموطآت كذا، ثم يسرد الحديث من طريق أحد رواة الموطأ، فلا يحتمل كلامه ما ادعاه المحقق فليراجع استقراءه .

الحديث رقم (٧٥) :

علق المحقق على إسناد هذا الحديث فقال : «وأما زين فهو ابن شعيب المعافري روى عن مالك بن أنس ... روى عنه يحيى بن عبدالله بن بكير ، وعبد الأعلى بن عبدالواحد أبو يزيد مرة ، قاله ، قال الدارقطني في المؤتلف والمختلف ١١٦٨/٣، فهو مجهول الحال والله أعلم» .

قلت : كيف يكون مجهول الحال ، وقد قال فيه ابن حبان : «مستقيم الحديث» ، وقال فيه تلميذه ابن بكير : «كان والله زيناً» .

الحديث رقم (٧٦) :

حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن بشر بن عبدالله . بمصر ، نا أبو أمية محمد بن إبراهيم ، نا عبيد الله

ابن موسى ، نا [من سمع] صفوان بن سليم ، عن عطاء ابن يسار .

علق المحقق على كلمة [من سمع] فقال : غير واضحة بالأصل ، وأثبتها هكذا .

ثم قال : إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن صفوان .

قلت : كلمة غير واضحة في الأصل ، تجرأ المحقق أن يضعف بها الإسناد فالذي لم يتضح عنده يجعله مجهولاً، بينما هي كلمة واضحة بل هو علَم من أعلام المحدثين وهو سفيان بن عيينة الذي جهَّله المحقق ! ولو خرَّج المحقق الحديث لتبين له أنه سفيان بن عيينة ؛ إذ خُرج من طريقه في مصادر عدة ، ذكرتها في تحقيقي للكتاب .

الحديث رقم (٧٨) :

حدثني عبدالله بن الحسن الكاتب ، أنا عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن شبيب بن عبدالرحن بن إسحاق قال : وجدت في كتاب جدّي ، نا إدريس بن يزيد، عن عمَّن رواه ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم» .

الصواب : حدثني عبدالله بن الحسن الكاتب ، أنا عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن شيبة بن عبدالرحمن بن إسحاق قال : وجدت في كتاب جدّي ، نا إدريس بن يزيد ، عن عثمان بن واقد ، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» .

ثم علق عليه فقال : «إسناده ضعيف ؛ لجهالة الراوي عن صفوان بن سليم وللكلام في عبدالرحن بن إسحاق هذا ما تبين لي من ظاهر الإسناد وبعض رجاله لم أعرفهم وقد يكون فيه تصحيف» .

قلت: بل المجهول عندك [عن عمَّن رواه] معروف، والمحقق هو الذي وقع في التصحيف، والصواب أنه عثمان بن واقد.

الحديث رقم (٨٦) :

نا ابن لهيعة ، حدثني عيسى بن موسى بن أبي جهم العدوي ، نا مالك بن أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة يأثره قال .

وكلمة يأثره أي يرفعه .

ثم علق المحقق على عيسى بن موسى، فقال : «لم أجد ترجمته ولم يذكره الخطيب ولا القاضي عياض في الرواة عن مالك ، والله أعلم» .

قلت : بل ذكره الخطيب في الرواة عن مالك كما في مختصر رشيد الدين العطار .

الحديث رقم (٩١) :

علق المحقق على إسناده فقال : أبو سبرة بن محمد ابن عبدالرحمن هو علة الإسناد ، فإني لم أجد له ترجمة فيما لديَّ من المصادر .

قلت: بل له ترجمة في أقرب المصادر لديك، الميزان ولسانه.

الحديث رقم (١٢٢) :

وعلق المحقق على إسناده فقال : «إسناده معضل، وهو غريب عن مالك ... ويبدو أنه تفرد برواية هذا الحديث عن مالك (أي يحيى بن سليمان) دون أصحابه الكبار والله أعلم.

قلت : بل رواه أصحاب مالك الكبار في الموطأ، منهم: يحيى بن يحيى الليثي ! وأبو مصعب الزهري ويحيى ابن بكير .

الحديث رقم (١٢٦) :

نا الوليد بن مسلم ، حدّثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك : «أن رسول الله ﷺ نهى الذين قتلوا ....» .

الصواب : نا الوليد بن مسلم ، حدّثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، [عن كعب بن مالك] : «أن رسول الله ﷺ نهى الذين قتلوا ....».

قلت : وما بين المعقوفين سقط من الأصل المخطوط ، لذا لم يذكره المحقق في كتابه، وقال : «إسناده شاذ»، ولم يبين وجه الشذوذ .

والشذوذ في رواية الوليد بن مسلم أنه رواه عن مالك موصولاً خالف أصحاب الموطأ الذين أرسلوه ، ويدل عليه

كلام المصنف بعد إذ قال : «في الموطأ مرسل»، ثم الذين أخرجوا الحديث من طريق الوليد ذكروه عنه موصولاً ، كالطحاوي ، والطبراني ، وابن عبدالبر .

الحديث رقم (١٤٦) :

نا معن ، نا مالك بن أنس ، عن عبدالله بن أبي بكر ، عن عبدالله بن واقد بن عمر : أن عبدالله بن عمر قال : «نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث» ، في الموطأ مرسل .

الصواب : نا معن ، نا مالك بن أنس ، عن عبدالله بن أبي بكر ، عن عبدالله بن واقد بن عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر قال : «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الأضاحي بعد ثلاث» ، في الموطأ مرسل .

– ثم علق المحقق على إسناده فقال : «شاذ بهذا الإسناد ، معن وإن كان ثقة فقد خالف أكثر الرواة عن مالك ، فزاد في هذا الإسناد عبدالله بن عمر ! وتابعه محمد بن الحسن في موطئه» .

قلت : كذا قال المحقق ! وقال إمام علم العلل الدارقطني رحمه الله : «القولان محفوظان عن مالك» .

الحديث رقم (١٦٧) :

حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالله الواسطي ، نا طليق بن محمد بن السكن الواسطي ، نا عبدالله بن موسى ، عن إسماعيل ... عن هانئ بن هانئ ، عن علي ، عن النبي ﷺ قال : «استأذن عمار على النبي ﷺ [ائذنوا] مرحباً ، للطيب المطيب» .

الصواب : حدثنا أبو الحسن علي بن إسماعيل الدقاق، نا طَليق بن محمد بن السكن الواسطي ، نا عبيدالله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ ، عن علي، عن النبي ﷺ قال: استأذن عمار على النبي ﷺ فقال : «مرحبًا ، ائذنوا للطيّب المطيب».

وعلق المحقق على هذا الحديث فقال : «وإسماعيل الراوي عنه (أي عن هانئ) يحتمل أن يكون إسماعيل بن عبدالملك بن أبي الصفير الأسدي لأنه روى عمن هو في طبقة هانئ بن هانئ، وذكروا أن من الرواة عنه عبيدالله ابن موسى ... وهذا الرجل قال فيه ابن حجر : صدوق كثير الوهم» .

قلت : وهذا التعليق ناتج عن تصحيف وعدم قراءة النسخة بتأنٍّ ، وإلا فإسماعيل هو ابن أبي خالد الأحمسي، يروي عن أبي إسحاق السبيعي ، عن هانئ بن هانئ ، كما هو واضح في النسخة الخطية ، والحديث مروي من طرق عدة عن أبي إسحاق ، وإحدى طرقه أوردها المؤلف بعد هذا الحديث .

الحديث رقم (١٧٠) :

عن أبي الأشهب جعفر بن حبان ، عن عبدالرحمن بن طرفة ، عن عرفجة بن أسعد قال : أصيب أنفي يوم الكِلاب في الجاهلية .

الصواب : عن أبي الأشهب جعفر بن حيَّان، عن عبدالرحمن بن طرفة ، عن عرفجة بن أسعد قال : أصيب أنفي يوم الكُلاب في الجاهلية .

لطيفة : قال أبو أحمد العسكري : حدثني شيخ من شيوخ بغداد أثق به قال : كان حيان بن بشر قاضي الشرقية ببغداد ، قد ولي القضاء بأصبهان ، وكان من جلة أصحاب الحديث ، قال : فروى يوماً أن عرفجة قطع أنفه يوم الكِلاب – كسر الكاف – وكان مستمليه رجلاً يقال كجّة، فقال : أيها القاضي ، إنما هو يوم الكُلاب . فأمر بحبسه . فدخل الناس إليه فقالوا: ما دهاك ؟ فقال: قُطع أنف عرفجة يوم الكُلاب في الجاهلية ، وامتحنت أنا به في الإسلام .

انظر : تصحيفات المحدّثين (١/١٥) ، وأخبار المصحفين (ص ٤٥) كلاهما للعسكري .

قلت : فهولاء حَبَسوا من نطق الكُلاب على الصواب ولم يُصحف ، فما أجدر أن يُحبس من تجرأ على تراث السلف فصحَّف الكلاب والكتب .

الحديث رقم (١٧٩) :

عن أبي عامر الخزاز ، عن أبي بصرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ .

ثم علق المحقق على إسناد هذا الحديث ، فقال : أبو بصرة هو حُميل بن بصرة بن وقاص الغفاري صحابي سكن مصر ومات بها .

قلت : بل هو أبو نضرة بالنون ، المنذر بن مالك بن قطعة، مشهور بالرواية عن أبي سعيد .

رابعاً : زيادات في النص زادها المحقق ، وسببها أن النسخة فيها بعض الطمس ، ولعل المصورة التي اعتمدها أكثر ، فزاد أشياء من عند نفسه ، ولم ينبه عليها في حاشية الكتاب ، وقد وضعت الزائد الذي زاده المحقق وليس في النسخة الخطية بين معقوفين .

الحديث رقم (١) :

نا مالك [بن أنس] ، عن عمرو .

الحديث رقم (٥) :

فقال عُبادة [بن الصامت] : كذب أبو محمد .

الحديث رقم (٣١) :

حدثني [جدي] ليث بن عاصم .

الحديث رقم (٣٣) :

ليس [هذا] في الموطأ .

الحديث رقم (٣٩) :

مالك ، عن ربيعة ، عن [سعيد] أبي الحباب .

قلت : ولا أدري لِمَ أقحم المحقق كلمة «سعيد» بين معقوفين ولم يعلِّق عليها بشيء، والكلام واضح فأبو الحباب اسمه سعيد !!

الحديث رقم (٥٥) :

عن سالم ، عن عبدالله بن عمر، [عن عمر]: أن غيلان.

الحديث رقم (١٥٩) :

حدثنا [أبو جعفر محمد بن] أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، نا علي بن معبد بن نوح ، حدثني زيد ابن يحيى بن عبيد [الله] .

الحديث رقم (١٦١) :

حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر [بمصر] .

خامساً : بياضات وفراغات تركها المحقق ولم يستطع قراءتها ، وذلك لسوء المصوَّرة التي اعتمدها .

الحديث رقم (٢٩) :

حدثنا علي بن أحمد ... بن ركيز ، أخبرنا عبدالرحمن بن خالد بن نجيح ، نا حبيب بن إبراهيم ، نا مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر .

الصواب : حدثنا أحمد بن يحيى بن زكير بمصر ، نا عبدالرحمن بن خالد بن نجيح ، نا حبيب بن إبراهيم ، نا مالك بن أنس ، عن نافع ، عن أبي سعيد .

الحديث رقم (٤٣) :

نا عقبة بن علقمة ، عن مالك بن أنس ، عن أبان ...، عن أنس بن مالك ... رجلاً يقرأ بالألحان فرفع حريرة كانت على حاجبه فأرانا ... من كان يعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ .

الصواب : نا عقبة بن علقمة ، عن مالك بن أنس ، عن أبان بن أبي عياش : «سمع أنسُ بن مالك رجلاً يقرأ بالْحان فرفع حريرة كانت على حاجبه - فأرانا عقبة - فقال أنس : ما كان يعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ» .

الحديث رقم (٧٢) :

حدثناه أبو الحسن بن سراج المصري ، نا أبو زهير عبد ... بن إبراهيم الدمياطي .

الصواب : حدَّثناه أبو الحسن علي بن سراج المصري، نا أبو زهير عبدالمجيد بن إبراهيم الدمياطي .

علق المحقق على الإسناد فقال : إسناده صحيح .

قلت : كيف يحكم على الإسناد وهو لم يستطع كتابته بكامله!!

الحديث رقم (٧٤) :

حدثنا محمد بن أحمد بن ... ، نا أبو محمد عبدالرزاق بن منصور ، نا المغيرة بن عبيدالله بن عم حية ابن حابس ، نا ... بن صفوان بن سليم .

الصواب : حدثنا محمد بن أحمد الموصلي الصيرفي ، نا أبو محمد عبدالرزاق بن منصور ، نا المغيرة بن عبدالله ابن حي بن حاتم ، نا ابن سمعان ، عن صفوان بن سليم.

الحديث رقم (٧٥) :

حدثنا محمد بن محمد بمصر ، نا ... عبداللطيف بن نباتة .

الصواب : حدثنا محمد بن موسى الحضرمي بمصر ، نا عبداللطيف بن نباتة .

الحديث رقم (١٣٨) :

حدثنا ... محمد بن رمح .

الصواب : حدثناه محمد بن زبّان ، نا محمد بن رمح.

الحديث رقم (١٤٣) :

نا أبو جعفر أحمد بن موسى بن ... ، نا يحيى ابن السكن .

الصواب : نا أبو جعفر أحمد بن موسى بن عطاء بن بحر ، نا يحيى بن السكن .

الحديث رقم (١٤٩) :

قال لي سليمان بن بلال : قلت لربيعة ... والله ما رأيت عالماً قط بِعَيْبِك إلا ذلك الأصم .

الصواب : قال لي سليمان بن بلال : قلتُ لربيعة في شيء، فقال : والله ما رأيتُ عالماً قط يُعينك إلا ذلك الأصم.

الحديث رقم (١٧٧) :

نا محمد بن ... بن عياش ... عبدالرحمن بن قيس ، نا الأعمش، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : كان علياً عليه السلام خارجاً يوم الجمعة ... فتوجه للصلاة .

الصواب : نا محمد بن تمام بن عباس بن سابق ، نا عبدالعزيز بن قيس ، نا الأعمش، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : رأيت علياً عليه السلام خارجاً يوم الجمعة من السدّة فتوضأ للصلاة .

الحديث رقم (١٧٨) :

نا محمد بن ... .

الصواب : نا محمد بن بشير .

هذا آخر ما تيسر جمعه من تصحيفات وزيادات وأخطاء علمية وغير ذلك مما وقع فيه طه بن علي بوسريح في تحقيقه لكتاب غرائب حديث الإمام مالك بن أنس ، وتركتُ كثيراً منها لئلا يطول هذا الفصل .

ولم أرد بهذا البيان التشهير بالمحقق ولا التعيير، وإنما هو بيان الحق والدفاع عن تراث الأمة الغالي ، ثم هو دفاع عن الإمام مالك والكتب التي خدمت مذهبه الحديثي ، ولا ريب أن كل أحد يقع منه شيء من السهو والغلط إلا أن العبرة بالكثرة والغالب .

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : «ونحن نخطئ ومن يسلم من الخطأ ؟» [٥] .

قال الإمام مسلم رحمه الله : «فليس من ناقل خبر وحامل أثر من السلف الماضين إلى زماننا - وإن كان من أحفظ الناس وأشدهم توقياً وإتقاناً لما يحفظ وينقل - إلا والغلط والسهو ممكن في حفظه ونقله» [٦] .

وتقدم قول الإمام السخاوي في ذلك ، وأن العبرة في الردِّ والتحذير هو بالغالب من أمر الناس ، والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله .

الهوامش

١ - انظر : ما كتبه الشيخ بكر أبو زيد في جزئه القيم : «الرقابة على التراث دعوة إلى حمايته من الجناية عليه» طبع دار العاصمة بالرياض ، (١٤١٢هـ) .

٢ - أي في بيان التصحيف .

٣ - فتح المغيث (٧٣/٣) .

٤ - هذا الأقرب في رسمها، وتحتمل غير هذا .

٥ - انظر : فتح المغيث (٢٣٨/١) ، شرح الموطأ للزرقاني (١١٦/٣) ، (٨٥/٤) .

٦ - التمييز ، (ص ١٧٠) .

الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام

حتى نهاية العصر الأموي لإلهام البابطين

مراجعة : هزاع بن عيد الشمري

الرياض

صدر كتاب : «الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي» لإلهام أحمد البابطين ، وهو من الإصدارات الخاصة في (٥٥٠) صفحة تحمل معلومات مستقصاة ومهمة بل وبعضها نادر عن المجتمع المكي زمن الدراسة ، بشئونه وشجونه وأحاطت بالتفصيل الدقيق حياته وأساليبه مثل : التركيب السكاني لهذا المجتمع آنذاك ومنذ ظهور الإسلام وما سبقه من زمن كان كافياً لتشكيلة المجتمع كالقرشيين واجتماعهم بمكة وبطونهم وتوزيعهم في أرض مكة وحول الحرم والعلاقة بينهم وزعامتهم وبيوت الشرف والسيادة والرياسة فيهم ووظائف هذه البيوت ، وحلفاء قريش من سكان مكة وتاريخ حلفهم مع قريش وأصولهم وسكناهم مكة ومنزلتهم الاجتماعية ووظائفهم التي شاركوا بها قريشاً .

فالموالي والرقيق والفئات الأخرى من المجتمع المكي وطبقاتهم وعلاقتهم بقريش وغير قريش وأصولهم ووظائفهم والدور الذي أداه هؤلاء في المجتمع وأثرهم عليه ومكانتهم الاجتماعية وسكناهم في مكة .

كما فصلت بالدقة نفسها التغيرات السكانية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي عام ١٣٢هـ ، كالهجرة من مكة وتأثير ذلك عليها وعلى ناسها والهجرة المعاكسة إلى مكة في العصر الأموي وتأثيرها على النمو السكاني والتجاري وحياة الناس وكذلك أثر التغير الذي سببه الإسلام والهجرات على أوضاع الموالي والرقيق .

وفي الفصل الثاني من الكتاب تناولت المؤلفة بالدراسة المحصة المتمعنة المتعمقة النشاط السكاني كالأعمال الإدارية والقضاء والحسبة والشرط والحرس والتعليم والتأديب وأهل العطاء وأهل التجارة والزراعة والرعاة والحرف الصناعية والمهنية الأخرى والأنشطة الترفيهية مبينة أعداد هؤلاء وحجم أعمالهم وأنواعها .

وبالجدية والتقصي أيضاً نقلتنا في الفصل الثالث حيث خصصته لدراسة الأسرة في المجتمع المكي آنذاك مثل مراحل التكوين والخطبة والزواج والإنجاب وتربية الأولاد والعادات تجاه المولود وإرسال الأطفال إلى المراضع والحواضن، وبعض التغيرات في تنشئة الأطفال ، والختان، والوأد والتبني والطلاق، وعادات الحزن ومراسم الوفاة .. ومسكن الأسرة ، والآنية المنزلية وفرش الدور .. ثم جعلت لأساليب المعيشة فصلاً مفصلاً تناولت فيه الأشربة والأطعمة ووجبات الطعام ، وأنواع ذلك .. ثم الألبسة وأنواعها والألبسة المشتركة بين الرجال والنساء وأصنافها، وألبسة الأطفال . ثم الزينة والحلي وأصناف ذلك وأنواعه للنساء والرجال وكذلك أنواع الطيب الذي يستعملة النساء والآخر الذي يستعمله الرجال .

وبالإحاطة التفصيلية الدقيقة نفسها تخصص الدراسة في فصلها الخامس للبحث في المجالس وأساليب الترفيه في ذلك المجتمع فتتحدث عن المجالس بصفة عامة، والمجالس العلمية ، ومجالس الشعر ، ومجالس الغناء بصفة خاصة ... والخروج إلى

المتنزهات ، والصيد ، والألعاب .

ثم ختمت الكتاب بنتائج مهمة ظهرت للمؤلفة ، وهي عدة من بينها: «أن بطون قريش تعود في أصلها إلى جد واحد هو النضر بن كنانة ، وأن الذي وحدها هو قصي بن كلاب وهو الذي انتزع السيادة في مكة من قبيلة خزاعة في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي. وأن مجتمع مكة عند ظهور الإسلام مجتمع حضري مستقر لكنه قائم على أساس قبلي ، وأنه يتكون من ثلاثة عناصر أهمها وأكثرها عدداً ونفوذاً القرشيون، وكانت لهم السيادة وقد تمتعوا بعقلية فذة في إدارة شئون مكة ، وفي إدارة علاقتهم مع القبائل المجاورة والبعيدة . وأن زعماء العشائر أو الملأ نجحوا في حفظ المصالح والتوازن وإرضاء جميع الأطراف فعرفوا كيف يسوسون بلدهم ويقومون بمسئولياتهم تجاه الكعبة وتجاه التجارة فأفادوا من الوجهين أكبر فائدة . وأن العلاقة بين بطون قريش كانت تتسم بصفة عامة بالتكاتف من أجل تحقيق مصالح مشتركة ودفع المخاطر .

وأن نسبة قريش من إجمالي عدد سكان مكة عند ظهور الإسلام تقدر بـ٦٣,١٢٪ ويمثل بنو مخزوم أكثر البطون القرشية عدداً حيث بلغت نسبتهم ١٩,٨٪ يليهم بنو عبد شمس حيث بلغت نسبتهم ٩,٣٪ وفي تقدير آخر كانت نسبة قريش ٦١,٣٪ ونسبة بني مخزوم ٢٣٪ ونسبة بني عبد شمس ١١,٢٪ . أما أقل البطون القرشية في عدد رجالها فهم بنو نوفل وبنو عبدالمطلب . وأن نسبة الحلفاء هي ٢٧٪ من عامة السكان وأن هؤلاء ينتمون إلى قبائل عربية غير قريش جاؤوا إلى مكة وحالفوا أهلها وتزاوجوا مع قريش وأن أسباب مجيئهم إليها كانت لأسباب اقتصادية أو أمنية . وأن الفئة الثالثة من السكان هم الموالي والرقيق ونسبتهم من السكان ١٠٪ وأنهم من أصول أفريقية وفارسية ورومية ويعود بعضهم إلى بعض أقاليم شبه الجزيرة العربية وأنهم مارسوا أعمالاً ومهناً مختلفة . وأنه بسبب الإسلام والإدارة الحكومية المركزية – في النصف الثاني من فترة الدراسة – لوحظ تغير مهم في التركيبة السكانية لمكة حيث بلغت نسبة الموالي إلى السكان ٣٤,٨٨٪، ونسبة القرشيين ٣٢,٥٥٪، ونسبة العرب ١٢,٤٠٪، وغير محددي الأصول ٢٠,١٥٪،. وأن الكثير من الموالي أصبحوا يحتلون مراكز اجتماعية جيدة وكانت العلاقة بينهم وبين قريش والعرب علاقة حميمة يسودها المحبة والاحترام ويشكلون نسيجاً اجتماعياً متشابكاً .

وتقدر المؤلفة عدد سكان مكة في أول فترة الدراسة بـ (٨٠٠ ,٢١ نسمة) وفي نهايتها بـ (٨٠,٠٠٠ نسمة) .

كما أن الكتاب مزود برسوم بيانية إحصائية ومشجرات وخرائط توضيحية مهمة كما ذيل بفهارس عامة بأسماء الأشخاص والبلدان والمواضع والقبائل .

وكان الكتاب في الأصل رسالة دكتوراه في جامعة الملك سعود بالرياض بإشراف أستاذ التاريخ بكلية الآداب / عبدالعزيز بن صالح الهلابي الذي استهل الكتاب بتقديم مركز أبدى فيه ثناءً على المؤلفة ونتائج بحثها وعده متميزاً .

وبعد ؛ فالكتاب بمجمله دراسة نادرة بالغة الجدية والعمق والموضوعية وعالية الأسلوب الخالي من الحوشي والزوائد ووُظِّفت نصوص المراجع في المتن بدقة ورُبطت ربطاً محكماً حسب مواضعها مما يدل على العناية الفائقة بإخراج هذا الكتاب الذي لا أظن أن معنياً بهذا الفن سيستغني عنه .

وحسبي بالمؤلفة النبيلة أنها من أهل العزم ، وإلاّ لما كان هذا الجهد المتفرد الذي تشكر عليه .

وأتمنى على المؤلفة أن لا تقف عند هذا الحد بل تستمر في البحث والدراسة المشابهة ، فإن عملاً آخر بالمستوى كهذا وأمثاله ضرورة .

أبو الوليد ابن رشد : مصنفاته وما كتب عنه

رد على رد

أمين سليمان سيدو
مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض

فقد اطلعت على ما كتبه أحمد عبدالحليم عطية في العدد المزدوج الخامس والسادس من المجلد الثاني والعشرين حول القائمة الببليوجرافية التي أعددتها عن : «أبو الوليد ابن رشد : مصنفاته وما كتب عنه» ، ونشرت في العدد المزدوج الرابع والخامس من المجلد الواحد والعشرين من مجلة عالم الكتب .

وأود في البداية أن أشكر الناقد على ما أبداه من ملاحظات حول البحث ، واستفدت من بعضها ، أما بالنسبة للملاحظات الذي كان متجنياً عليَّ بها ، فإنني أردُّ عليها تبياناً للحقيقة ، وتوضيحاً للحق ، وقبل ذلك أودُّ أن أوضح نقطتين مهمتين ، هما :

* أن النقد الببليوجرافي بات خطوة مهمة نحو تطوير الدراسات الببليوجرافية والارتقاء بمستواها علمياً وفنياً لتكون في مصاف العلوم الأخرى، ولكن بشرط أن يلتزم الناقد بقواعد النقد وأصوله العلمية ، وأن يتحلى بأدب الحوار بعيداً عن استخدام التعابير التي لا تخدم البحث العلمي ، ولا تضيف إليه أي جديد . ولا يخلو النقد الذي مارسه أحمد عبدالحليم عطية هنا من بعض التعابير التي لا تخدم أدب الحوار ، ولا تناسب البحث العلمي ، ولا تليق بالناقد الحصيف .

* إن غاية أي عمل ببليوجرافي هو حصر أوعية المعلومات التي تتناول موضوعاً بذاته ، وبيان الوصف المادي لها ، وتنظيمها بطريقة علمية مقننة ، تسهل من عملية البحث فيها . وليس مهمة الببليوجرافي المتخصص أن يكون «ناقداً أو محللاً لما يعرضه من مادة علمية ...» . كما أراد له ذلك أحمد عبدالحليم عطية .

يقول الناقد : «كان على المصنف أن يذكر لنا الببليوجرافيا الحديثة التي تناولت مؤلفات ابن رشد» .

* يبدو أن عطية لا يميز بين الببليوجرافيا كعلم له أصوله ، وفن قائم بذاته، وبين الأعمال الببليوجرافية التي هي قوائم حصرية بموضوع محدد ، لهذا أورد مصطلح الببليوجرافيا، وليس الببليوجرافيات . وهذه بعض الببليوجرافيات التي ذكرتها خلافاً لما ذهب إليه الناقد، وهي :

– ابن رشد : حياته ، كتبه وفلسفته / لفيليب حتي، ص ص ٣٠١ – ٣٢٦ . في صانعو التاريخ العربي . ترجمة أنيس فريحة ، مراجعة محمود زايد .– [د . م] : دار الثقافة ، ١٩٦٩م (انظر صفحة ٣٥٦) .

– ما كتب عن ابن رشد في المراجع الحديثة / لصبيح صادق .– المورد .– مج ٢، ع٢ (صيف عام ١٩٧٨م) .– ص ص ٢٧٧ – ٢٨٦ (انظر صفحة ٣٦٩) .

– مؤلفات ابن رشد / لجورج شحاته قنواتي .– ص ص ٣٧٧ – ٣٨٥ . في مهرجان ابن رشد : الذكرى المئوية الثامنة لوفاته . تقديم محيي الدين صابر ، تصدير إبراهيم مدكور .– الجزائر : المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون ، ١٩٧٨م (صفحة ٣٤٦) .

ولا تخلو مادة من المواد التي حصرتها دون الإشارة

إلى مؤلفات ابن رشد ؛ فكل هذه الأبحاث كانت مراجعي في حصر مؤلفات ابن رشد ، ووقفت على معظمها . وما أشرت إليه في ص ص ٣٤٥ – ٣٤٦ «من أنه يمكن الرجوع إلى المصادر التالية لمعرفة آثار ابن رشد» لا تعني بالضرورة أن عشرة مراجع فقط هي التي يعول عليها لمعرفة مصنفات ابن رشد رغم أن هذه المراجع كافية لحصر مؤلفات ابن رشد ، وإنما أشرت مجرد إشارة لبعض المصادر التي حصرت آثار ابن رشد وليست كل المصادر .

ويقول أيضاً : «وأوفى قائمة بمؤلفات ابن رشد التي نشرها أرنست رينان في كتابه ابن رشد والرشدية .. بالإضافة إلى مؤلفات ابن رشد لجورج قنواتي وهي الوحيدة التي يذكرها المصنف .. وتناول صبيح صادق ما كتب عن ابن رشد في المراجع العربية» .

* لكن يبدو أنه لم ينتبه إليها ، وإلا لماذا يتجاهلها ويتهمني بأنني لم أذكرها؟!!

انظر على سبيل المثال :

– ابن رشد والرشدية / لأرنست رينان ، نقله إلى العربية عادل زعيتر – القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م (انظر ص ٣٦٨) .

– مؤلفات ابن رشد / لجورج قنواتي .. (انظر صفحة ٣٤٦) وقد أشير إليه آنفاً .

– ما كتب عن ابن رشد في المراجع الحديثة / لصبيح صادق (انظر صفحة ٣٦٩) ، وأشير إليه آنفاً أيضاً .

ويقول أيضاً : «ويذكر في نهاية صفحة ٣٤٥ المصادر التالية لمعرفة آثار ابن رشد .. بالإضافة إلى مقال عن ابن رشد دون ذكر اسم مؤلفه» .

* إذا كان البحث نشر في المجلة دون بيان اسم الكاتب ، فهل يريد مني الناقد أن أذيله بأي اسم يخطر في ذهني . الأمانة العلمية ، وقواعد الفهرسة تقضيان أن يكون المدخل بعنوان المادة إذا لم يتضح كتابة اسم المؤلف.

ويقول أيضاً : « ... الكشف عن مناهج الأدلة وتهافت التهافت .. والكليات في الطب والضروري في السياسة صدرت لها تحقيقات دقيقة لا يشير إليها أو إلى بعضها أو إحداها المصنف . لماذا ؟ لا يعطينا إجابة مقنعة اللهم عدم معرفته بها» .

* أكتفي بسرد المعلومات التي أوردتها عن كتاب تهافت التهافت فقط كأنموذج لخلاف ما ذهب إليه الناقد ، فقد ذكرت بأن كتاب تهافت التهافت طبع في المطبعة الإعلامية بالقاهرة سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م ، ثم طبع في المطبعة الخيرية بالقاهرة أيضاً سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، ثم طبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ، ثم طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت بعناية موريس بويج سنة ١٩٣٠م، ثم طبع في بيروت أيضاً ونشر عن دار المشرق سنة ١٩٨٧م ، ثم حقق الكتاب سليمان دنيا ونشر عن دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٤– ١٩٦٥م ضمن سلسلة ذخائر العرب رقم ٣٧، ثم قدم الكتاب وضبطه وعلق عليه محمد العريبي ونشر عن دار الفكر اللبناني سنة ١٩٩٣م (انظر صفحة ٣٥٢) .

يقول أيضاً : «ويقدم لنا المصنف بعد ذلك قائمة أطلق عليها قائمة ببليوجرافية بالمصادر العامة عن ابن رشد .. وفيما تختلف عن القائمة التالية عليها مباشرة بعنوان ابن رشد في آثار الدارسين باللغة العربية» .

* المصادر العامة هنا تتضمن جزءًا من البحث عن ابن رشد مثل : كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ص ٥٣٠ – ٥٣٣ ثلاث صفحات من الكتاب فقط عن ابن رشد، فهو مصدر عام ، أما الدراسات الخاصة مثل : كتاب ابن رشد لأنطون فرح فموضوع الكتاب كاملاً عن ابن رشد من الغلاف إلى الغلاف .

ويضيف قائلاً : «فهل المقصود بالمصادر العامة الكتب المخصصة لابن رشد فقط ؟ أم الكتب والأبحاث والفصول ... يبدو أنه يقصد كل هذا ! فما الفرق إذن بين القائمتين ؟ لا ندري..»

* يبدو أن الناقد لا يدري بالفعل ماذا يرمي من كلامه هنا! فكيف تكون المصادر العامة التي تناولت ابن رشد في صفحات معدودات كتباً عنه ؟ ! فهل يعقل أن تكون الموسوعة الإسلامية ووفيات الأعيان ، والأعلام ، وطبقات الأطباء ، وسير أعلام النبلاء، ودائرة معارف القرن العشرين ... إلخ ، كتباً مستقلة عن ابن رشد .

ويقول أيضاً : «فهو يذكر الإشارات التي جاءت عن ابن رشد في كتب معينة لا صلة لها بابن رشد ، مثل : ما ذكره أحمد أمين ص ٢٦٣ في ظهر الإسلام ، وما ذكره ديلاسي أوليري ص ٢٥٨ من كتابه الفكر العربي ومكانه في التاريخ (ص ٣٥٤) .

* قد لا تعني مثل هذه المعلومات أي شي لباحث ما . ولكنها في الوقت نفسه مهمة جداً لباحث آخر . غاية العمل الببليوجرافي هو أن يرشد القراء إلى مصادر المعلومات عن الموضوع الذي يتناوله ، فهلا رجع الناقد لهذه المصادر وصفحاتها المحددة ليتأكد ما ذهبت إليه ؟ ! لا أعتقد ذلك.

ويقول : «وما قدم في الفقرة [٤] ابن رشد في آثار الدارسين باللغة العربية تختلط فيه الدراسات الأكاديمية من رسائل الماجستير والدكتوراه مع كتب مؤلفة ودراسات مترجمة رغم تخصيصه الفقرة القادمة لتناول المستشرقين وابن رشد» .

* أعتقد أن أوعية المعلومات بأنماطها المختلفة من حيث الموضوع لا من حيث الشكل هي التي تهم الباحثين ، فما الفائدة من التوزيع الشكلي الذي يريده الناقد ، أما دراسات المستشرقين عن ابن رشد ، فإنه موضوع مميز ومن الضروري تمييز هذه الدراسات دون التقسيم الشكلي للمواد، وتنظيمها بطريقة ألفبائية، وهذا ما نهجته في البحث.

ويقول الناقد : «سنبين في القسم الثاني من بحثنا هذا عناوين ودراسات وبيانات عدد كبير من الندوات التي لم يذكر عنها شيئاً ببساطة لأنه لا يعلم عنها شيئاً» .

* أقول باختصار شديد : إن الأبحاث والدراسات التي طرحت في ندوة «ابن رشد والتنوير» تم ترتيبها وفق المنهج الذي اتبعته في تنظيم العمل ، وهو أن يكون المدخل الرئيسي باسم المؤلف ، ويتهمني الناقد - سامحه الله - بأنني لا أعلم عنها شيئاً، علماً بأنها مثبتة في ثنايا البحث ، وللتأكد من ذلك راجع الصفحات التالية : ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٦ .

وكذلك أعمال ندوة ابن رشد (أبريل سنة ١٩٧٨م) وللتأكد من ذلك أيضاً راجع الصفحات ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠، ٣٧٢ ، ٣٧٦ .

ويقول أيضاً : «ويذكر بعض الأعمال دون تحديد صاحبها : دفع وهم عن فلسفة ابن رشد والمتكلمين .. يذكر دون صاحبه والكل يعرف أنه أحد ردود محمد عبده على ما كتبه فرح أنطون عن ابن رشد وفلسفته» .

* لاحظ الحقيقة التي يقررها الناقد «الكل يعرف..» لا أعتقد ذلك ، لأن البحث منشور في أصله دون ذكر اسم الكاتب ، والمصنف يتعامل مع المادة التي أمامه كما هي ، لا مع الأوهام والتنبوءات .

وختاماً أكتفي بالرد على هذه النماذج لأن الناقد كان متجنياً عليَّ فيها ، وللحق أيضاً هناك ملاحظات أخرى كثيرة مثلها استفدت منها وأخذت بها امتثالاً لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه «رحم الله امرءًا أهدى إليَّ عيوبي».